ديوان
أبي القاسم الشابي
ورسائله

ضبط وشرح
د. محمد نبيل طريفي

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله

المكتبة العصرية

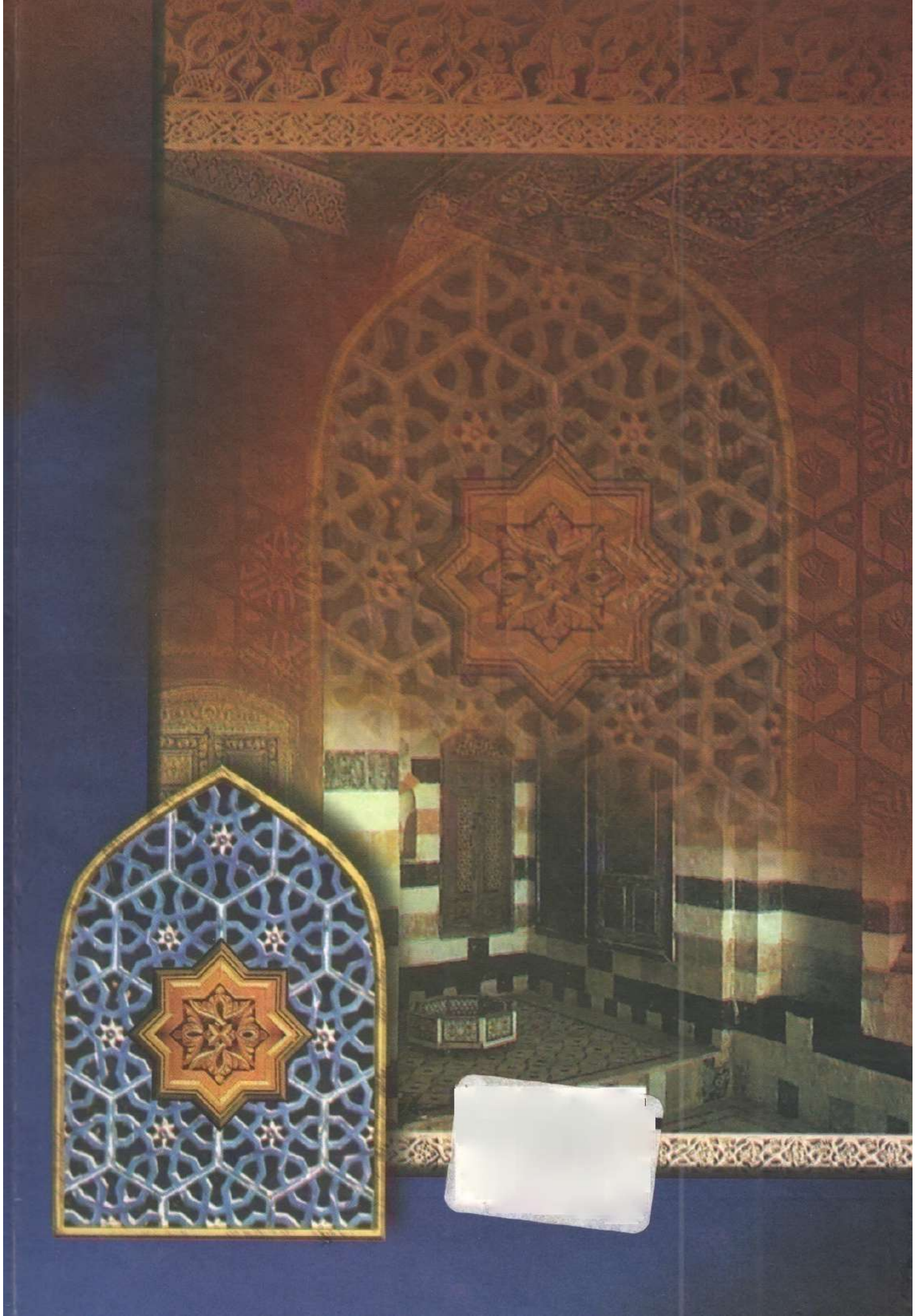

خالد مساعد

ديوان
أبي القاسم الشابي
ورسائله

ضبط وشرح
د. محمد نبيل طريفي

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٤٢٥هـ - 2004 م

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية

الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ٨٣٥٥ ١١ - تلفاكس ٦٥٥٠١٥ ٠٠٩٦١١
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٧٢٠٣١٧ ٠٠٩٦١٧

E-mail: alassrya@terra.net.lb - alassrya@cyberia.net.lb

ISBN 9953 - 435-49-9

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيِّدنا محمـــد النبيّ الأمين، وصلى الله وسلم على آله وأصحابه أجمعين وبعد،

فإننا، في المكتبة العصرية، آلينا على أنفسنا أن نختار إلى جانب كتب التراث التي نعيد طبعها ونشرها في العالمين العربي والإسلامي، مجموعة نفيســة من كتب الأدب واللغة ومن دواوين الشعراء قديمهم وحديثهم.

ولقد كان إختيارنا هذه المرة، لشـــاعر طبقت شهرته الآفـــاق وذاع صيتـــه في المشرق والمغرب وقرأ ديوانه ألوف القراء والمهتمين؛ أما لماذا كان هذا الشاعر فذلك لأن مراحـــل حياته وشبابـــه على، قصـــرها، عملت على تضخيم تجربته الشعرية وتدفّقها وإزدهارها، وأطلقته من حدود البيئـــة الضيقة إلى آفـــاق إنسانيـــة أوسع وأرحب.

وقد لا يعـــرف الكثـــيرون من قراء شعر الشابي أن له رسائل لا تقل أهمية عن قصائد ديوانه، وربما كان لهذا السبب إختيارنا له لأن في الرسائل المرفقة بهذا الديوان ما يلقي الضوء على حياة الشاعر التي كانت قصيرة جداً بعدد سنواتها ولكنها كانت مليئة بالمعانـــاة الكبيرة بسبب المرض الفتاك الذي أصابه في ربيع شبابه وجعله قلقاً حزينـــاً من "التفكير في أنه سيموت قبل أن يؤدي رسالة الدنيا التي يحس أنه لم يخلق لغيرها في هذا العالم".

وبعد، أعزاءنا قراء العربية، نرجو أن نكون قد ساهمنا بنشر ديوان أبي القاسم-بجزء من رسالتنا الثقافية والله ولي التوفيق.

النـــاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

أبو القاسم الشابي[1]

1909 - 1934

من أبناء القرن العشرين الذين نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، أيام كان العالم العربي يتعثر بين حاضره الأليم ، وماضيه القريب المنقوص . ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك الفترة الانتقالية إنّما كانوا يلقون جحوداً وأذًى لا تزيدهما سيطرة الغرب على الشرق ، وشموخه بحاضره ، ووثوقه بمصيره إلا احتداماً وسطوة لدى فريق واسع من الخاصة والعامة على السواء .

بيد أن شاعرنا لم يتردد كثيراً حتى عرف سربه ، فانضم إليه ، ثم صدح محلقاً إلى أن اختطفته يد المنون ، وهو في ريعان شبابه .

كان والده[2] من خريجي الأزهر الشريف ، ومن مجازيه ، وبه درس أولاً ، فأقام بمصر في أوائل هذا القرن سبع سنين ، ثم درس بتونس بجامع الزيتونة سنتين ، حصل بعدهما على التطويع[3] ، ثم سمّي قاضياً شرعياً لسنة من ولادة بكره ـ شاعرنا ـ أبي القاسم ، فتصرف في قضاء كثير من البلدان التونسية .

كان الوالد يقضي يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل ، حيث يتبسط مع أهله ، ولقد نشأ أبو القاسم في سني تكوينه الفكري والخلقي في كنف رعايته الصالحة ، يعبّ من علمه وأدبه .

---

(1) اعتمدنا في هذه الترجمة على المقدمة التي كتبها الأستاذ محمد الأمين الشابي عن شاعرنا .

(2) هو المرحوم الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي سليل أسرة الشابية التي عرفت بالعلم . كان من حملة العلم والسيف ، وممن اكتسبت بهم هذه الأسرة مجداً سجله التاريخ التونسي .

(3) هي إجازة نهاية الدراسة بالكلية الزيتونية في ذلك العصر .

ولقد كان رحمه اللّه صادق التقى ، قوي العقيدة ، لا يخشى في الحق لومة لائم، له غيرة على شؤون الإسلام والمسلمين ، تنفعل نفسه بما يجري آنذاك من أحداث بالشرق العربي ، وطرابلس الغرب أو بلاد الريف .

يقول شاعرنا الشابي في وصفه لشخصية والده وتأثيره عليه[1] : « إنه أفهمني معاني الرحمة والحنان ، وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم ، وأقدس ما في الوجود » .

في كنف هذا الشيخ ورعايته ولد شاعرنا الشابي في الرابع والعشرين من شهر شباط لعام 1909 في بلدة «الشابية» من ضواحي «توزر» عاصمة الواحات والمناظر الخلابة .

لم ينشأ الشابي في مسقط رأسه ، فقد خرج عنه في سنته الأولى ، ولم يكد يعرفه إلا قليلاً ، أثناء قَدْمَتَيْن أقام فيهما نحواً من ثلاثة أشهر ، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره ، والثانية زائراً ، وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في بحرها بالبلاد التونسية طولاً وعرضاً ، متنقلة من قابس إلى سليانة فتالة ، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فزغوان .

وبين هذه المدن من الأميال ما يقدر بالمئات أحياناً ، وعلى نسبة اختلاف العادات والمشاهد الطبيعية . فلم تكن قابس وواحتها كبسائط مجاز الباب التي يغمرها الحصيد ، ولا هذه كبساتين رأس الجبل ، أو كجبل زغوان الذي يكسوه شجر الصنوبر ، ولم يكن حرّ قابس كثلوج تالة ، ولا حياة الفلاحين بمجاز الباب كحياة صيادي البحر بقابس أو رأس الجبل ، ولا طباع أهل الشمال كطباع أهل الجنوب .

هذه هي مراحل حياة أبي القاسم وشبابه عملت على تضخيم تجربته الشعرية وتدفقها وازدهارها ، بيد أن الشابي أفاد ما يفيده كل عابر سبيل متيقظ واعٍ ، وإذا ما استقر بأرض كان ربيبها لا ابنها الأصيل ، فأطلقه هذا المصير من حدود البيئة الضيقة ، وأكسبه تونسية إنسانية الآفاق .

قدم أبو القاسم إلى العاصمة التونسية سنة 1339 هـ - 1920 م للدراسة بجامع الزيتونة،

---

(1) كتاب الخيال الشعري عند العرب ، للشابي ، صفحة الإهداء ، وقد أهدى الكتاب لوالده .

وهو في الثانية عشرة من عمره وقد تكوّن سريعاً ، وقال الشعر باكراً[1] . كوّن لنفسه ثقافة عربية واسعة بحتة ، جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره ، وبين روائع الأدب العربي الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر ، ولم يكن يعرف لغة أجنبية ، فتمكن بفضل مطالعاته الواسعة من استيعاب ما تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب وحضارته .

ظهر شعره مجموعاً في المجلد الأول من كتاب[2] « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر » . وفي السنة نفسها ألقى بنادي قدماء الصادقية محاضرة حول « الخيال الشعري عند العرب » كانت هذه المحاضرة مادة الكتاب الذي نشره فيما بعد .

بعدها نجده وهو يواصل دراسته ويضع شعره في نصرة حركات الإصلاح التي كانت تعتلج بها النفوس آنذاك من بعث لحركة الشبان ، ودعوة لتجديد الجهاز الثقافي التقليدي ، ومناصرة لحركة تحرير المرأة[3] ، ودعوة للتجديد في الأدب ، ولقد أحدث كتابه الأول « الخيال الشعري عند العرب » ضجة كبرى ، واستهدف الشاعر بسبب الكتاب لحملة صحفية عنيفة ثبت لها ثبات المفكر المؤمن بما يقول .

هذه الآثار نشرت في حياة والده ، فلم ينكر على شاعرنا مذهبه ، ولقد وجد الشابي في تسامح أبيه ما عزز جانبه ، وثبّت خطاه .

وفي هذه الأثناء «عام 1929» ينكب الشاعر بوفاة والده المحبوب ومعلمه ، بعد مرض دام فترة طويلة ، وبموته اضطلع الشابي بأعباء عائلة كبيرة ، واختار إضافة لذلك طريقاً وعراً ، ببعده عن الارتزاق من المناصب الحكومية ، ورضي بحياة بسيطة مع أسرته .

وفي السنة نفسها يصاب بداء تضخم القلب ، وهو في الثانية والعشرين ، ورغم نهي الطبيب له ، لم يقلع عن عمله الفكري وإنتاجه الأدبي ، فلقد نشرت له مجلة

---

(1) قصيدة « يا حبّ » التي أثبتناها في ديوانه ، نظمها سنة 1342 هـ - 1923 م .

(2) الكتاب تأليف صديقه الأستاذ زين العابدين السنوسي .

(3) ناصر الشاعر صديقه الطاهر الحداد واضع كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » .

«أبولو» المصرية قصائد عملت على التعريف به وبالأدب التونسي الحديث .

ولم يكن الشاعر المريض يغادر «توزر» إلا في الصيف ، ويقصد المصطافات الجبلية ، وشرع أثناء مصيف سنة 1934 في جمع ديوانه « أغاني الحياة » بنيّة طبعه في مصر[1] ، فانتسخه بنفسه بحامة الجريد ، مستعيناً ببعض أدبائها ، لكن المنية باغتت شاعرنا ، وحالت دون ما نوى .

فقد انتابه المرض بشدة ، فقصد تونس يوم 26 من أغسطس سنة 1934 م ، وبها توفي سحراً[2] يوم 9 من أكتوبر سنة 1934 ، ثم نقل جثمانه إلى بلدة « توزر» حيث دفن .

يصفه الأستاذ البشير الفورتي بقوله[3] : « نحيف الجسم ، مديد القامة ، قويّ البديهة ، سريع الانفعال ، حاد الذهن ، تكفكف رقة طبعه من غرب عاطفته وحدّة ذهنه ، يراه أصدقاؤه بشوشاً كريماً ، وديعاً ، متأنقاً ، طروباً لمجالس الأدب ، يحب الفكاهة » .

---

(1) تطوع الأستاذ أحمد زكي أبو شادي للإشراف على طبعه .

(2) توفي بالمستشفى الإيطالي بحي «مونفلوري» .

(3) مجلة العالم الأدبي ، ديسمبر 1934 ، بقلم البشير الفورتي عميد الصحفيين التونسيين .

ديـــوان

أبي القاسم الشابي

قافية الهمزة

[1]

نشيد الجبَّار

أو هكذا غنّى برُومِيثْيُوس

قال : (الكامل)

سَأَعِيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأَعْداءِ ... كالنَّسْرِ فَوْقَ القِمَّةِ الشَّمَّاءِ[1]

أرنُو إلى الشَّمْسِ المُضِيئَةِ هازئاً ... بِالسُّحْبِ والأمْطارِ والأنْواءِ[2]

لا أَرْمُقُ الظِّلَّ الكَئِيبَ ولا أرَى ... ما في قرارِ الهُوَّةِ السَّوْداءِ[3]

وأسِيرُ في دُنيا المَشاعِرِ حالِماً ... غَرِداً وتِلْكَ سعادةُ الشُّعراءِ[4]

أُصْغِي لموسِيقَى الحَياةِ ووَحْيِها ... وأُذيبُ رُوحَ الكَونِ في إنْشائِي[5]

وأُصِيخُ للصّوتِ الإلهِيِّ الذي ... يُحيي بِقَلبِي مَيِّتَ الأصْداءِ[6]

وأقولُ للقَدَرِ الذي لا يَنْثَنِي ... عَنْ حَرْبِ آمالِي بِكُلِّ بَلاءِ[7]

لا يُطْفِئُ اللَّهبَ المؤجّجَ في دَمِي ... موجُ الأسَى وعواصِفُ الأرزاءِ[8]

---

(1) الداء : المرض . والنسر : من الطيور الجوارح، على تشبيه نفسه به . وقمة شماء : مرتفعة عالية . وأراد بالأعداء : الاستعمار الفرنسي المحتل .

(2) رنا رنواً : أدام النظر في سكون طرف . وقوله : أرنو هازئاً ، أراد ساخراً بغضب الطبيعة . والأنواء: جمع النوء ، وهو المطر الشديد .

(3) أرمق الظل : أنظر إليه وأرقبه . والقرار : المكان المنخفض يجتمع فيه الماء . والهوة : الحفرة البعيدة القعر . وأراد بقرار الهوة ، أي : باطن الحفرة .

(4) الغرد : الرافع الصوت بالغناء والطرب .

(5) الوحي هنا : الصوت .

(6) أصيخ : أستمع وأصغي . والأصداء : جمع الصدى .

(7) لا ينثني : لا يكفّ ولا يتوقف . والبلاء : المحنة تنزل بالمرء . وأراد المصائب والكوارث التي تحلّ به.

(8) اللهب : ما يرتفع من النار ، وأراد لهب نفسه . ولهب مؤجج : ملتهب مشتعل . والأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .

فاهْدمْ فُؤادِيَ ما اسْتَطَعتَ فإنَّهُ سَيكونُ مثلَ الصَّخْرةِ الصَّمَّاءِ[1]

لا يعرفُ الشَّكْوى الذّليلَةَ والبُكا وضراعَةَ الأطْفالِ والضُّعفاءِ[2]

ويَعِيشُ جَبَّاراً يُحدِّق دائِماً بالفجرِ .. بالفجرِ الجَمِيلِ النَّائِي[3]

إملأْ طَريقِي بالمَخاوفِ والدُّجَى وزَوابعِ الأشْواكِ والحَصْباءِ[4]

وانشرْ عَلَيْه الرُّعبَ وانثرْ فَوقَه رُجُمَ الرَّدَى وصَواعِقَ البأساءِ[5]

سَأَظلُّ أمشي رَغْمَ ذلك عازِفاً قِيْثارَتِي مُترنِّماً بِغِنائِي

أَمشِي بِروحٍ حالمٍ مُتَوهِّجٍ في ظُلمةِ الآلامِ والأدواءِ[6]

النُّور في قلبِي وبَيْنَ جَوانِحِي فَعَلامَ أخْشَى السَّيْرَ في الظَّلْماءِ !

إنِّي أنا النَّايُ الذي لا تَنْتَهِي أنغامُهُ ما دامَ في الأحياءِ[7]

وأنا الخِضَمُّ الرَّحْبُ لَيْسَ تزيدُهُ إلاَّ حَياةً سَطْوةُ الأنْواءِ[8]

أمَّا إذا خَمَدَتْ حَياتِي وانْقَضَى عُمُري وأَخْرسَتِ المَنِيَّةُ نائِي[9]

وخَبا لَهِيبُ الكَون في قَلْبِي الذي قَدْ عاشَ مِثْلَ الشُّعْلةِ الحَمْراءِ[10]

فأنا السَّعِيدُ بِأَنَّنِي مُتحوِّلٌ عَنْ عَالمِ الآثامِ والبغْضاءِ[11]

---

(1) الصخرة الصماء : الصلبة . أراد شدته وصلابته .

(2) لا يعرف : أراد قلبه . والضراعة : التذلل والخضوع .

(3) النائي : البعيد . وأراد الفجر الذي سيبزغ من بعيد .

(4) الدجى : سواد الليل وظلمته . والزوابع : جمع زوبعة ، وهي ريح قوية تدور في الأرض لا تقصد وجهاً واحداً تحمل الغبار . والحصباء : صغار الحجارة .

(5) وانشر عليه ، أي : على طريقي . والرعب : الخوف والفزع . والرجم : الشهب ، وهي ما يظهر في السماء ، كأنها نجوم تتساقط . والردى : الموت والهلاك . والبأساء : المشقة والهلاك .

(6) المتوهج : المتقد المتلألئ . والأدواء : جمع الداء .

(7) الناي : آلة من آلات الطرب .

(8) الخضم : البحر الواسع . والرحب : الواسع . والسطوة : البطش والقهر . وأراد شدة الأنواء . والأنواء : جمع النوء ، وأراد شدة العاصفة الماطرة .

(9) خمدت حياتي : سكنت . وأراد مات . والمنية : الموت .

(10) خبا اللهيب : سكن وخمد . والشعلة : جذوة النار المشتعلة .

(11) الآثام : جمع الإثم ، وهو الذنب . والبغضاء : شدة البغض والمقت .

لأذوبَ في فَجْرِ الجمالِ السَّرْمَديِّ وأَرْتَوي مِنْ مَنْهَلِ الأضْواءِ[1]

وأقولُ للجَمْعِ الذين تَجَشَّمُوا هَدْمِي وَوَدُّوا لَوْ يَخرُّ بِنائِي[2]

ورأوْا على الأشْواكِ ظلّيَ هامِداً فتخيَّلُوا أنّي قَضيْتُ ذَمائِي[3]

وغدوْا يَشُبُّون اللَّهيبَ بِكُلِّ ما وجدوا ليشوُوا فَوْقَهُ أشْلائِي[4]

ومَضَوْا يَمُدُّونَ الخِوانَ ليأكلُوا لَحْمِي ، ويَرْتَشِفُوا عَلَيْه دِمائِي[5]

إنِّي أقولُ لَهُمْ ، وَوَجْهِي مُشْرِقٌ وعلى شِفاهِي بَسْمَةُ اسْتِهْزاءِ

إنَّ المَعاوِلَ لا تَهُدُّ مَناكِبِي والنَّارَ لا تأتِي على أعْضائِي[6]

فارْمُوا إلى النَّارِ الحَشائِشَ والْعَبُوا يا مَعْشَرَ الأطْفالِ تَحْتَ سَمائِي

وإذا تمرّدتِ العَواصِفُ وانْتَشَى بِالهَوْلِ قَلْبُ القَبَّةِ الزَّرْقاءِ[7]

ورأيتُمُونِي طائِراً مُتَرَنِّماً فَوْقَ الزَّوابِعِ في الفَضاءِ النَّائِي[8]

فارْمُوا على ظلّي الحِجارَةَ واختفوا خَوْفَ الرِّياحِ الهُوْجِ والأنْواءِ .. [9]

وهُناكَ في أمنِ البُيوتِ تَطارَحُوا غَثَّ الحَدِيثِ ومَيِّتَ الآراءِ[10]

وترنَّموا ما شِئْتُمُ بِشَتائِمِي وتجاهَرُوا ما شِئتُمُ بِعدائِي[11]

---

(1) السرمدي : الدائم الذي لا ينقطع . والمنهل : المورد والنبع . وأرتوي : أشرب وأشبع .

(2) تجشموا : تكلّفوا المشقة في هدمي . وخر البناء : سقط من علوٍ إلى سفلٍ بصوتٍ .

(3) هامداً : ساكناً . والذماء : بقية الروح .

(4) يشبّون : يوقدون . واللهيب : لهيب النار . وأشلاء الإنسان : أعضاؤه بعد التفرق والبلى .

(5) الخوان : المائدة . ويرتشفون الماء والدم : يمصونه ، والرشف : المصّ .

(6) المعاول : جمع معول . والمناكب : جمع المنكب ، وهو مجتمع رأس الكتف والعضد .

(7) تمردت العواصف : عتت وطغت وجاوزت الحدّ . والهول : المخافة من أمرٍ . وانتشى قلب القبة الزرقاء : سكر .

(8) الترنم : التطريب والتغني . والنائي : البعيد .

(9) الهوج : جمع هوجاء . وريح هوجاء : قوية تقلع البيوت . والأنواء : جمع نوء .

(10) أمن البيوت ، أراد البيوت التي لا تخافون الحديث فيها . وتطارحوا : تبادلوا . وحديث غثّ : فاسد رديءٌ .

(11) ترنموا : تطرّبوا وتغنوا . وتجاهروا : تعالنوا ، وأراد قولوا جهاراً .

أمَّـا أنا فـأُجـيْـبـكـمْ مِـنْ فَـوْقِـكـمْ والشَّمسُ والـشَّـفـقُ الـجَمِيلُ إزائِي
مَنْ جاشَ بِالوَحي الـمُـقَـدّسِ قَـلْـبُـه لَـمْ يَـحْـتَـفـلْ بِحِجارةِ الـفـلـتـاءِ[1]

[2]

أيُّها الحبُّ

قال : (الخفيف)

أيُّـهـا الـحُـبُّ أَنْـتَ سِـرُّ بَـلائِـي وهُـمُـومِـي ورَوْعَـتِـي وعَـنـائِـي[2]
ونُـحُـولِـي وأَدْمُـعِـي وعَـذابِـي وسُـقـامِـي ولَـوْعَـتِـي وشَـقـائِـي[3]

* * *

أيُّها الـحُـبُّ ! أَنْـتَ سِـرُّ وُجُـودِي وحَـيـاتِـي ، وعِـزَّتِـي ، وإبـائِـي[4]
وشُعاعِي ما بَـيْـنَ دَيْـجُـورِ دَهْـرِي وأَلِـيـفِـي وقُـرَّتِـي ورَجـائِـي[5]
يا سُـلافَ الـفُـؤادِ يا سُـمَّ نَـفْـسِـي في حَياتِي ! يا شِدَّتِي ! يا رَخائِي[6]
أَلَـهِـيـبٌ يَـثُـورُ في رَوْضَـةِ الـنَّـفْـ ـسِ فَيَطْغَى أمْ أنْتَ نُورُ السَّماءِ[7]

* * *

أيُّها الـحُـبُّ قَـدْ جَرَعْتُ بِكَ الـحُـزْ نَ كُؤُوساً وما اقْتَنَصْتُ ابْتِغائِي[8]
فَـبِـحَـقِّ الـجَـمـالِ يـا أيُّـهـا الـحُـ ـبُّ حَـنـانَـيْـكَ بِي وهَوِّن بَلائِي[9]
لَيْتَ شِعْرِي ! يا أيُّها الـحُـبُّ قُلْ لِي مِنْ ظَلامٍ خُـلِـقْـتَ أمْ مِنْ ضِـيـاءِ ؟

---

(1) جاش القلب : هاج وغلى . ولم يحتفل : لم يبالِ . وحجارة فلتاء : تأتي فجأة عن غير تدبرٍ.
(2) البلاء : الرزء والمصيبة . والعناء : التعب .
(3) السقام : مرض الحب . واللوعة : وجع القلب من المرض والحبّ . والشقاء : الشدة والعسرة .
(4) العزة : الرفعة والامتناع . والإباء : الأنفة .
(5) الديجور : الظلام . أراد أن الحب هو النور الذي يهديه في ظلام دهره . والقرة : ما تقرّ به النفس وتهدأ.
(6) سلاف الفؤاد : خمره . والحديث عن الحب .
(7) لهيب النار : اشتعالها . وأراد الحب في قلبه كنار ملتهبة . ويطغى : يعلو كل شيء .
(8) اقتنص الشيء : اصطاده ، وأراد : ناله . أراد أن الحب جرّعه كؤوس الهجر والمرارة ولَم ينله مبتغاه .
(9) حنانيك ، أي : رحمتك ، أي : تحنناً عليّ . والبلاء : المصيبة .

قافية الباء

[3]

يا شِعر

قال : (مجزوء الكامل)

يا شِعْرُ أَنْتَ فَمُ الشُّعُورِ وصَرْخَةُ الرُّوحِ الكَئِيبْ[1]
يا شِعْرُ أَنْتَ صَدَى نَحِيبِ القَلْبِ والصَّبِّ الغَرِيبْ[2]

* * *

يا شِعْرُ أَنْتَ مَدامِعٌ عَلِقَتْ بِأَهْدابِ الحَياةْ[3]
يا شِعْرُ أَنْتَ دَمٌ تَفَجَّرَ مِنْ كُلُومِ الكائِناتْ[4]

* * *

يا شِعْرُ قَلْبِي مِثْلَما تَدري شَقِيٌّ مُظْلِمُ
فِيْهِ الجِراحُ النُّجْلُ يَقْطُرُ مِن مَغاوِرِها الدَّمُ[5]
جَمَدَتْ على شَفَتَيْهِ أَرْزاءُ الحَياةِ العابِسَهْ[6]
فَهْوَ التَّعِيسُ يُذِيبُهُ نَوْحُ القُلُوبِ البائِسَهْ[7]

* * *

---

(1) الكئيب : الحزين .

(2) الصبّ : العاشق .

(3) المدامع : جمع المدمع ، وهو مجتمع الدمع في نواحي العين . والأهداب : جمع الهدب ، وهي أغصان الشجر .

(4) الكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح .

(5) النجل : جمع النجلاء . وطعنة نجلاء : واسعة . وقوله : مغاورها ، أي : قعرها وعمقها .

(6) الأرزاء : جمع الرزء ، وهي المصيبة .

(7) التعيس : الهالك . والنوح : البكاء والعويل .

أبداً يَنوحُ بِحُرْقَةٍ بَيْنَ الأمانِي الهاوِيَهْ[1]
كالبُلْبُلِ الغِرِّيدِ ما بَيْنَ الزُّهورِ الذَّاوِيَهْ[2]

* * *

كَمْ قَدْ نَصَحْتُ لَهُ بِأنْ يَسْلُو وكَمْ عَزَّيْتُهْ[3]
فَأَبَى وما أَصْغَى إلى قَوْلِي فَما أجْدَيتُهْ[4]

* * *

كَمْ قُلْتُ : صَبْراً يا فُؤادُ ! ألا تَكُفُّ عَنِ النَّحِيبْ ؟[5]
فإذا تَجَلَّدَتِ الحَياةُ تَبَدَّدَتْ شُعَلُ اللَّهِيبْ[6]

* * *

يا قَلْبُ ! لا تَجْزَعْ أَمامَ تَصَلُّبِ الدَّهْرِ الهَصُورْ[7]
فإذا صَرَخْتَ توجُّعاً هَزَأَتْ بِصَرخَتِكَ الدُّهُورْ[8]

* * *

يا قَلْبُ ! لا تَسْخَطْ على الأيَّامِ فالزَّهْرُ البَدِيعْ[9]
يُصْغِي لِضَجَّاتِ العَواصِفِ قَبْلَ أَنْغامِ الرَّبِيعْ[10]

* * *

---

(1) ينوح : يبكي بصوت عالٍ . وحرقة البكاء : حرارته .
(2) الغريد : الرافع الصوت بالغناء والطرب . وزهور ذاوية : ذابلة يابسة .
(3) سلاه سلواً : نسيه وطابت نفسه بعد فراقه . وعزّيته : صبّرته .
(4) أجديته : نفعته .
(5) النحيب : رفع الصوت بالبكاء .
(6) تجلدت : أظهرت الجَلَد ، وهو الصبر . وتبددت : تفرقت . والشعل : جمع شعلة ، وهي جذوة اللهب المشتعلة .
(7) تصلب الدهر : تشدده وإصراره . ودهر هصور : شديد .
(8) التوجع : التفجع ، وتشكي الوجع .
(9) سخط على الأيام : كرهها وغضب منها .
(10) الضجات : جمع الضجة ، وهي الجلبة والصياح .

يـا قَـلْـبُ ! لا تَـقْـنَـعْ بِـشَـوْكِ الـيَـأْسِ مِنْ بَـيْـنِ الـزُّهُـورْ
فَـوَراءَ أَوْجـاعِ الـحَـيـاةِ عُـذُوبَـةُ الأَمَـلِ الـجَـسُـورْ[1]

* * *

يا قَـلْـبُ ! لا تَـسْـكُـبْ دُمُـوعَـكَ بِـالـفَـضـاءِ فَـتَـنْـدَمِ
فَـعَـلَـى ابْـتِـسـامـاتِ الـفَـضـاءِ قَـسـاوَةُ الـمُـتَـهَـكِّـمِ[2]

* * *

لَـكِـنَّ قَـلْـبِـي وَهْـوَ مُـخْـضَـلُّ الـجَـوانِـبِ بِـالـدُّمُـوعْ[3]
جَـاشَـتْ بِـهِ الأَحْـزانُ إذْ طَـفَـحَـتْ بِـهـا تِـلْـكَ الـصُّـدوعْ[4]

* * *

يَـبْـكِـي عـلـى الـحُـلْـمِ الـبَـعِـيـدِ بِـلَـوْعَـةٍ لا تَـنْـجَـلِـي[5]
غَـرِداً كَـصَـدَّاحِ الـهَـواتِـفِ فـي الـفَـلا ويَـقُـول لِـي[6]

* * *

طَـهِّـرْ كُـلُـومَـكَ بِـالـدُّمُـوع وخَـلِّـهـا وسَـبِـيـلَـهـا[7]
إنَّ الـمَـدامِـعَ لا تَـضِـيـعُ حَـقِـيـرَهـا وجَـلِـيـلَـهـا

* * *

فَـمِـنَ الـمَـدامِـعِ مـا تَـدَفَّـعَ جـارِفـاً حَـسَـكَ الـحَـيـاهْ[8]

---

(1) أمل جسور : مقدام جريء .

(2) المتهكم : المستهزئ المستخفّ .

(3) المخضل : المبتلّ الندي .

(4) جاشت به ، أي : بقلبه . وجاشت الأحزان : هاجت وفاضت . والصدوع : الشقوق ، الواحد صدع .

(5) اللوعة : الحرقة . ولا تنجلي : لا تنقشع ولا تزول .

(6) الغرد : الرافع صوته بالغناء والطرب . والصداح : الذي يصدح بالغناء . والفلا : جمع فلاة ، وهي الأرض الواسعة المقفرة . والهواتف : أراد بها الحمائم الهاتفة .

(7) الكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح .

(8) تدفع : اندفع . وحسك الحياة : شدائدها .

يَـرْمِـي لِـهـاوِيَـةِ الـوُجُـودِ بِـكُـلِّ مـا يَـبْـنِـي الـطُّـغـاهْ[1]

* * *

ومِـنَ الـمَـدامِـعِ مـا تَـألَّـقَ فـي الـغَـيـاهِـبِ كـالـنُّـجُـومْ[2]
ومِـنَ الـمَـدامِـعِ مـا أراحَ الـنَّـفْـسَ مِـنْ عِـبْءِ الـهُـمُـومْ

* * *

فَـارْحَـمْ تَـعـاسَـتَـهُ ونُـحْ مَـعَـهُ عـلـى أَحْـلامِـهِ[3]
فَـلَـقَـدْ قَـضَـى الـحُـلْـمُ الـبَـدِيـعُ عـلى لَـظَـى آلامِـهِ[4]

* * *

يـا شِـعْـرُ يـا وَحْـيَ الـوُجـودِ الـحَـيِّ يـا لُـغَـةَ الـمَـلايِـكْ
غَـرِّدْ فَـأيَّـامِـي أنـا تَـبْـكِـي عـلـى إيـقـاعِ نـايِـكْ

* * *

رَدِّدْ عـلـى سَـمْـعِ الـدُّجَـى أنَّـاتِ قَـلْـبِـي الـواهِـيَـهْ[5]
واسْـكُـبْ بِـأَجْـفـانِ الـزُّهُـورِ دُمُـوعَ قَـلْـبِـي الـدَّامِـيَـهْ

* * *

فَـلَـعَـلَّ قَـلْـبَ الـلَّـيْـلِ أَرْحَـمُ بِـالـقُـلُـوبِ الـبـاكِـيَـهْ
ولَـعَـلَّ جَـفْـنَ الـزَّهـرِ أَحْـفَـظُ لـلـدُّمُـوعِ الـجـارِيَـهْ

* * *

كَـمْ حَـرَّكَـتْ كَـفُّ الأسَـى أَوْتـارَ ذَيَّـاكَ الـحَـنِـيـنْ
فَـتَـهـامَـلَـتْ أَحْـزانُ قَـلْـبِـي فـي أَغـارِيـدِ الأَنِـيـنْ[6]

---

(1) الطغاة : جمع طاغية ، وهو الظالم .

(2) الغياهب : جمع الغيهب ، وهي الظلمة .

(3) نح : أمر ناح ينوح : بكى .

(4) اللظى : لهب النار . وأراد آلامه الملتهبة .

(5) الأنات : جمع أنة ، وهي التأوه . والواهية : الضعيفة .

(6) تهاملت : سالت . والأنين : الصوت من ألم وحزن .

فَلَكَمْ أَرَقْتُ مَدامِعِي حَتَّى تَقَرَّحَتِ الجُفُونْ[1]
ثُمَّ الْتَفَتُّ فَلَمْ أجِدْ قَلْباً يُقاسِمُنِي الشُّجُونْ[2]

* * *

فَعَسَى يَكُونُ اللَّيْلُ أَرْحَمَ فَهْوَ مِثْلِي يندُبُ[3]
وعَسَى يَصُونُ الزَّهْرُ دَمْعِي فَهْوَ مِثْلِي يَسكُبُ[4]

* * *

قَدْ قَنَّعَتْ كَفُّ المَساءِ المَوْتَ بالصَّمْتِ الرَّهِيبْ[5]
فَغَدا كَأعْماقِ الكُهُوفِ بِلا ضَجِيجٍ أو وَجِيبْ[6]

* * *

يَأْتِي بِأَجْنِحَةِ السُّكُونِ كَأنَّهُ اللَّيْلُ البَهِيمْ[7]
لَكِنَّ طَيْفَ المَوْتِ قاسٍ والدُّجَى طَيفٌ رَحِيمْ

* * *

ما لِلمَنِيَّةِ لا تَرِقُّ على الحَياةِ النَّائِحَهْ ؟
سِيَّانِ أفئِدَةٌ تَئِنُّ أَوِ القُلُوبُ الصَّادِحَهْ[8]

* * *

يا شِعْرُ ! هَلْ خُلِقَ المَنُونُ بِلا شُعورٍ كالجَمادْ[9]

---

(1) أراق الدمع : أساله . وجفون مقرّحة : بها آثار الألم والبكاء .
(2) الشجون : جمع الشجن ، وهو الحزن .
(3) يندب : يبكي .
(4) صان الزهر : حفظه . ويسكب ، أي : يسكب دمعه .
(5) قنعت الكفّ الموت : غطته بالقناع .
(6) الوجيب : الخفقان والاضطراب .
(7) ليل بهيم : شديد السواد .
(8) تئن : تتألم وتتوجع . والصادحة : الرافعة الصوت بالألم والشكوى .
(9) المنون : الدهر والزمان .

لا رَعْشَةٌ تَعْرُو يَدَيْهِ إذا تملَّقَهُ الفُؤادْ[1]

* * *

أَرأَيْتَ أزْهارَ الرَّبيعِ وقَدْ ذَوَتْ أَوْراقُها[2]
فَهَوَتْ إلى صَدْرِ التُّرابِ وقَدْ قَضَتْ أَشْواقُها[3]

* * *

أَرأَيْتَ شُحْرورَ الفَلا مُتَرَنّماً بَيْنَ الغُصُونْ[4]
جَمَدَ النَّشِيدُ بِصَدْرِهِ لَمَّا رَأَى طَيْفَ المَنُونْ[5]

* * *

فَقَضَى وقَدْ غاضَتْ أَغارِيدُ الحَياةِ الطَّاهِرَهْ[6]
وهَوَى مِنَ الأغْصانِ ما بَيْنَ الزُّهُورِ الباسِرَهْ[7]

* * *

أَرأَيْتَ أُمّ الطِّفْلِ تَبْكِي ذَلِكَ الطِّفْلَ الوَحِيدْ
لَمَّا تَناوَلَهُ بِعُنْفٍ ساعِدُ المَوْتِ الشَّدِيدْ ؟

* * *

أَسَمِعْتَ نَوْحَ العاشِقِ الوَلْهانِ ما بَيْنَ القُبُورْ[8]
يَبْكِي حَبِيبَتَهُ فَيا لِمَصارِعِ المَوْتِ الجَسُورْ ![9]

* * *

---

(1) تعروه : تغشاه وتصيبه . وتملقه : تودد إليه وتضرع .

(2) ذوت الأوراق : ذبلت .

(3) هوت : سقطت .

(4) الشحرور : طائر غرّيد . والمترنم : المغرّد المغني .

(5) المنون : الموت . أراد رؤية الموت جعلت النشيد يجمد في صدره .

(6) غاضت أغاريد الحياة : ذهبت وغابت .

(7) زهور باسرة : غضّة .

(8) الولهان : الثكلان النائح .

(9) المصارع : المهالك . والجسور : المقدام الجريء .

طَفَحَتْ بِأَعْماقِ الوُجودِ سَكِينَةُ الصَّبْرِ الجَلِيدْ[1]
لَمَّا رَأَى عَدْلَ الحَياةِ يَضُمُّهُ اللَّحْدُ الكَنُودْ[2]

* * *

فَتَدَفَّقَتْ لَحْناً يُرَدِّدُهُ على سَمْعِ الدُّهُورْ
صَوتُ الحَياةِ بِضَجَّةٍ تَسْعَى على شَفَةِ البُحُورْ

* * *

يا شِعْرُ أَنْتَ نَشِيدُ أَمْواجِ الخِضَمِّ السَّاحِرَهْ[3]
النَّاصِعاتِ البَاسِماتِ الرَّاقِصاتِ الطَّاهِرَهْ

* * *

السَّافِراتِ الصَّادِحاتِ مَعَ الحَياةِ إلى الأبَدْ[4]
كَعَرائِسِ الأَمَلِ الضَّحُوكِ يَمِسْنَ ما طَالَ الأَمَدْ[5]

* * *

هَا إنَّ أزْهارَ الرَّبِيعِ تَبَسَّمَتْ أَكْمامُها[6]
تَرْنُو إلى الشَّفَقِ البَعِيدِ تَغُرُّها أحْلامُها[7]

* * *

في صَدْرِها أملٌ يُحدِّق نَحْوَ هاتِيْكَ النُّجُومْ
لَكِنَّه أملٌ سَتُلْحِدُه جَبابرةُ الوُجُومْ[8]

* * *

---

(1) السكينة : الطمأنينة والاستقرار . وصبر جليد : قويّ .
(2) اللحد : القبر . ولحد كنود : قطوع كفور للمواصلة .
(3) الخضم : البحر الواسع .
(4) الصادحات : جمع صادحة ، وهي التي ترفع صوتها بالغناء والطرب .
(5) يمسن : يتبخترن ويختلن .
(6) الأكمام : براعم الثمر .
(7) ترنو : تديم النظر . وتغرها : تخدعها .
(8) تلحده : تقبره . والجبابرة : جمع الجبار . والوجوم : الحزن والسكوت .

فَلَسَوْفَ تُغْمِضُ جَفْنَها عَنْ كُلِّ أضْواءِ الحَياةْ
حَيْثُ الظَّلامُ مُخَيِّمٌ في جوِّ ذَيَّاكَ السُّباتْ[1]
هَا إنَّها هَمَسَتْ بِآذانِ الحَياةِ غَرِيْدَها
قَتَلَتْ عَصافِيرُ الصَّباحِ صُداحَها ونَشِيدَها

* * *

يا شِعْرُ ! أنْتَ نَشِيدُ هاتِيكَ الزُّهُورِ الباسِمَهْ
يا لَيْتَنِي مِثْلَ الزُّهُورِ بِلا حَياةٍ واجِمَهْ[2]

* * *

إنَّ الحَياةَ كَئِيبَةٌ مَغْمُورةٌ بِدُمُوعِها !!
والشَّمسُ أضْجَرَها الأسَى في صَحْوِها وهُجُوعِها[3]

* * *

فَتَجَرَّعَتْ كَأْساً دِهاقاً مِنْ مُشَعْشَعَةِ الشَّفَقْ[4]
فَتَمايَلَتْ سَكْرَى إلى كَهْفِ الحَياةِ ... ولَمْ تُفِقْ

* * *

يا شِعْرُ ! أنْتَ نَحِيبُها لَمَّا هَوَتْ لِسُباتِها[5]
يا شِعْرُ ! أنْتَ صُداحُها في مَوْتِها وحَياتِها[6]

* * *

أُنْظُرْ إلى شَفَقِ السَّماءِ يَفِيضُ عَنْ تِلْكَ الجِبالْ
بِشُعاعِهِ الخَلاَّبِ يَغْمُرُها بِبَسْماتِ الجَمالْ

* * *

---

(1) السبات : النوم .
(2) حياة واجمة : كريهة .
(3) الهجوع : النوم . وأراد غيابها .
(4) كأس دهاق : ممتلئة . وتجرع الماء : بلعه . والمشعشعة : المتفرقة .
(5) النحيب : رفع الصوت بالبكاء . والسبات : النوم العميق ، وربما أراد الموت .
(6) الصداح : صوتها الطرب .

فَيُثِيرُ فِي النَّفْسِ الكَئِيبةِ عاصِفاً لا يَرْكُدُ[1]
ويُؤَجِّجُ القَلْبَ المُعَذَّبَ شُعْلَةً لا تَخْمُدُ[2]

* * *

يا شِعْرُ ! أنْتَ جَمالُ أَضْواءِ الغُرُوبِ السَّاحِرَهْ
يا هَمْسَ أَمْواجِ المَساءِ الباسِماتِ الحائِرَهْ

* * *

يا نايَ أَحْلامِي الحَبِيْبَةِ يا رَفِيقَ صَبابَتِي[3]
لَوْلاكَ مُتُّ بِلَوْعَتِي وبِشِقْوَتِي وكَآبَتِي[4]

* * *

فِيْكَ انْطَوَتْ نَفْسِي وفِيْكَ نَفَحْتُ كُلَّ مَشاعِرِي
فَاصْدَحْ على قِمَمِ الحَياةِ بِلَوْعَتِي يا طَائِرِي

[4]

نشيد الأسى

قال : (مجزوء الكامل)

يا لَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ لِلَيْلِ النَّفْسِ مِنْ صُبحٍ قَرِيبْ ؟
فَتَقُرَّ عاصِفَةُ الظَّلامِ ، ويَهْجَعَ الرَّعْدُ الغَضُوبْ[5]
ويُرَتِّلَ الإنْسانُ أغْنِيَةً مَعَ الدُّنيا ، طَرُوبْ[6]

* * *

---

(1) لا يركد : لا يسكن ولا يهدأ .
(2) الشعلة : جذوة النار المشتعلة . ولا تخمد : لا تنطفئ .
(3) الصبابة : رقة الشوق في الهوى .
(4) اللوعة : الحرقة . والشقوة : الشقاء . والكآبة : الغمّ والحزن .
(5) تقرّ : تهدأ وتسكن . ويهجع الرعد : يسكن .
(6) أغنية طروب : تهزّ وتُفرح وتُسرّ .

مـا لـلـرِّيـاحِ تَـهُـبُّ فـي الـدُّنـيـا ويـدرِكُـهـا الـلُّـغُـوبْ[1]
إلاَّ رِيـاحِـي فَـهْـيَ جَـامِـحَـةٌ تَـمَـرُّدُهـا عَـصِـيـبْ ؟[2]
مـا لِـي تُـعَـذِّبُـنِـي الـحَـيـاةُ كَـأنَّـنِـي خَـلْـقٌ غَـرِيـبْ ؟
وتَـهُـدُّ مِـنْ قَـلْـبِـي الـجَـمِـيـلِ ، فَـهَـلْ لِـقَـلْـبِـي مِـنْ ذُنُـوبْ ؟
وإذا سَـأَلْـتُ : لِـمَ الـوجُـودُ ، وكُـلُّـهُ هَـمٌّ مُـذِيـبْ ؟[3]
قَـالَـتْ : نَـوامِـيـسُ الـسَّـمـاءِ قَـضَـتْ ، ومـا لَـكَ مِـنْ هُـرُوبْ ؟[4]
آهٍ عـلـى قَـلْـبِـي ! وإنْ شَـقِـيَـتْ كَـشَـقْـوَتِـهِ قُـلُـوبْ
أَنْـقَـى مِـنَ الـمَـوْجِ الـوَضِـيْءِ ، ومِـنْ نَـشِـيـدِ الـعَـنْـدَلِـيـبْ[5]
لَـمْ تَـقْـتَـرِفْ إِثْـمَ الـحَـيـاةِ ، وكَـانَ مَـأْواهـا الـلَّـهِـيـبْ[6]

* * *

يـا مُـهْـجَـةَ الـغـابِ الـجَـمِـيـلِ أَلَـمْ يُـصَـدِّعْـكِ الـنَّـحِـيـبْ ؟[7]
يـا وَجْـنَـةَ الـوَرْدِ الأَنِـيـقِ أَلَـمْ تُـشـوِّهْـكِ الـنُّـدُوبْ ؟[8]
يـا جَـدْوَلَ الـوادِي الـطَّـرُوبَ أَلَـمْ يُـرَنِّـقْـكَ الـقُـطُـوبْ ؟[9]
يـا غَـيْـمَـةَ الأُفُـقِ الـخَـضِـيـبِ أَلَـمْ تُـمَـزِّقْـكِ الـخُـطُـوبْ ؟[10]
يـا كَـوْكَـبَ الـشَّـفَـقِ الـضَّـحُـوكَ أَمـا أَلَـمَّ بِـكَ الـشُّـحُـوبْ ؟[11]

---

(1) اللغوب : التعب والفتور والضعف .
(2) ريح جامحة : عاتية . والعصيب : الشديد .
(3) الهم : الحزن . والمذيب : المنحل للجسم ، فكأنه يذيب الصحة والعافية .
(4) النواميس : القوانين والشرائع ، الواحد ناموس .
(5) العندليب : نوع من الطيور المغردة .
(6) اقترف الإثم : أتاه . والإثم : الذنب الذي يستحق العقوبة .
(7) يصدّعك النحيب : يسبب لك الصداع . والنحيب : صوت البكاء .
(8) الندوب : آثار الجروح الباقية في الجلد .
(9) يرنقك : يكدر صفو مائك . والقطوب : العبوس والتجهم .
(10) الخطوب : المصائب ، جمع خطب .
(11) الشحوب : تغير اللون .

هـــا أَنْـتَ ذا فـــي الأُفْـقِ تَـضْـحَـكُ ، لا تُـهَـمُّ ، ولا تَـخِـيـبْ
تُـلـقِـــي عـلـى قُـنَـــنِ الـجِـبـالِ رِداءَ لألاءٍ قَـشِـيـبْ[1]
لِـتَـنـامَ أَوْرادُ الـجِـبـالِ الـشُّـمِّ ، فـي مَـهْـدٍ عَـجِـيـبْ[2]
ولِكَـي تـغـنِّـيـكَ الـجَـداولُ لَـحْـنَـهـا الـعَـذْبَ الـحَـبِـيـبْ
وتَـــرَى جَـمـالَـكَ مِـــنْ بَـنـاتِ الـغـابِ مِـعْـطـارٌ ، لَـعُـوبْ
مَـعْـشُـوقَـةٌ فـي فَـرْعِـهـا تـاجٌ مِـنَ الـوَرْدِ الـخَـضِـيـبْ[3]
تَـتْـلُـو أنـاشِـيـدَ الـرَّبِـيـعِ ، كَـأنَّـهـا نَـجْـوَى الـقُـلُـوبْ
يـا كَـوْكَـبَ الـشَّـفَـقِ الـضَّـحُـوكَ ! وأَنْـتَ مُـبْـتَـهَـلُ الـكَـئِـيـبْ
لُـــحْ فـي الـسَّـمـاءِ ! وغَـنِّ أَبْـنـاء الـشَّـقـاوَةِ والـخُـطُـوبْ[4]
أُنْـشُـــودَةً تَـهَـبُ الـعَـزاءَ لِـكُـلِّ مُـبْـتَـئِـسٍ غَـرِيـبْ
فـالـطَّـيْـرُ قَـدْ أَغْـفَـتْ ، وأَسْـكَـتَ صَـوْتَـهـا الـلَّـيْـلُ الـهَـيُـوبْ[5]
وابْـسِـطْ جَـنـاحَـكَ فـي الـوُجُـودِ ، فَـإنَّـهُ عَـذْبٌ ، خَـلُـوبْ
مُـتـألِّـقٌ بَـيْـنَ الـنُّـجُـومِ ، كَـأنَّـهُ حُـلْـمٌ طَـرُوبْ
وانْـشُـرْ ضِـيـاءَكَ سـاطِـعـاً ، لِـيُـنِـيـرَ أَعْـمـاقَ الـقُـلُـوبْ
فَـعَـلَـى جَـوانِـبِـهـا مِـنَ الأَحْـزانِ دَيْـجُـورٌ رَهِـيـبْ[6]

* * *

مـا لِـلْـمِـيـاهِ نَـقِـيَّـةٌ حَـوْلِـي ، ويَـنْـبُـوعِـي مَـشُـوبْ ؟[7]
مـا لِـلـصَّـبـاحِ يَـعُـودُ لِـلـدُّنـيـا ، وصُـبْـحِـي لا يَـؤُوبْ ؟[8]

---

(1) قنن الجبال : أعاليها ، الواحدة قُنة . ورداء لألاء : مضيءٌ . والقشيب : الجديد .

(2) أوراد الجبال : جماعة الطير التي ترد الجبال . والشم : العالية .

(3) الورد الخضيب : المخضب بمختلف الألوان .

(4) الشقاوة : التعاسة . والخطوب : المصائب .

(5) ليل هيوب : يخافه الناس .

(6) الديجور : الظلام .

(7) ينبوع مشوب : مخلوط بالأقذار والشوائب .

(8) لا يؤوب : لا يرجع .

مـا لِـي يَـضِـيـقُ بِـيَ الـوُجـودُ ، وكُـلُّ مـا حَـوْلِـي رَحِـيـبْ ؟[1]
مـا لِـي وَجَـمْـتُ وكُـلُّ مـا فـي الـغابِ مُـغْـتَـرِدٌ طَـرُوبْ ؟[2]
مـا لِـي شَـقِـيـتُ وكُـلُّ مـا فـي الـكَـوْنِ أخَّـاذٌ عَجِـيـبْ؟
فـي الأرْضِ أقْـدامُ الـرَّبِـيـعِ تُـلامِـسُ الـسَّـهْـلَ الـجَـدِيـبْ[3]
فـإذا بِـهِ يَـحْـيـا ، ويُـنْـبِـتُ رائِـقَ الـزَّهْـرِ الـرَّطِـيـبْ[4]
وهُـنـاكَ أَنْـوارُ الـنَّـهـارِ تُـطِـلُّ مِـنْ خَـلْـفِ الـغُـروبْ
فَـتُـخَـضِّـبُ الأمْـواجَ ، والآفـاقَ ، والـجَـبَـلَ الـخَـصِـيـبْ[5]
إنَّ الـوُجـودَ الـرَّحْـبَ ، والـغـابـاتِ ، والأفُـقَ الـخَـضِـيـبْ
لَـمْ تَـخْـبُ أَشْـواقُ الـحَـيـاةِ بِـهـا ، فَـغـادَرهـا الـقُـطُـوبْ[6]
أمَّـا أنـا فَـفَـقَـدْتُـهـا ، واللَّـيْـلُ مُـرْبَـدٌّ ، رَهِـيـبْ[7]
والـرِّيْـحُ تَـعْـصِـفُ بِـالـوُرودِ ... فَـعِـشْـتُ سُـخْـرِيَـةَ الـخُـطُـوبْ ..

* * *

مَـهْـمـا تَـضـاحَـكَـتِ الـحَـيـاةُ فـإنَّـنِـي أبَـداً كَـئِـيـبْ
أُصْـغِـي لأوْجـاعِ الـكَـآبَـةِ ، والـكَـآبَـةُ لا تُـجِـيـبْ
فـي مُـهْـجَـتِـي تَـتَـأوَّهُ الـبَـلْـوَى ، ويَـعْـتَـلِـجُ الـنَّـحِـيـبْ[8]
ويَـضِـجُّ جَـبَّـارُ الأسَـى ، وتَـجِـيـشُ أمْـواجُ الـكُـرُوبْ[9]

---

(1) الرحيب : الواسع .
(2) وجمت : سكتُّ على غيظ . والمغترد : المغرّد المغني . والطروب : الفرح المسرور الذي يهتز من الفرح .
(3) سهل جديب : مجدبٌ .
(4) الرائق من الزهر : الذي يعجب منظره ويروق العين .
(5) تخضب : تلوّن .
(6) لم تخبُ : لم تسكن . وأراد لم تمت . والقطوب : العبوس والتجهم .
(7) المربدّ : المتغير اللون . والرهيب : المخيف المفزع .
(8) المهجة : النفس أو الروح . وتتأوه : تشكو وتتوجع . والبلوى : المصيبة . واعتلج النحيب : اضطرب .
(9) الكروب : جمع كرب ، وهو الحزن والغمّ الشديد .

إنِّـــي أنـــا الـــرُّوحُ الـــذي سَـيَـظَـلُّ فـي الـدُّنـيـا غَـريـبْ
ويَـعِـيـشُ مُـضْـطَـلِـعـاً بِـأحْـزانِ الـشَّـبِـيْـبَـةِ والـمَـشِـيـبْ[1]

[5]

الكآبة المجهولة

قال : (المنسرح)

أنـــــا كَـــئِـــيـــبْ ،
أنـــــا غَـــريـــبْ ،

كَـآبَـتِـي خَـالَـفَـتْ نَـظـائِـرَهـا[2]
غَـريـبَـةٌ فـي عَـوالِـمِ الـحَـزَن
كَـآبَـتِـي فِـكْـرَةٌ مُـغَـرِّدَةٌ
مَـجْـهُـولَـةٌ مِـنْ مَـسـامِـعِ الـزَّمَـنِ

لَـكِـنَّـنِـي قَـدْ سَـمِـعْـتُ رَنَّـتَـهـا[3]
بِـمُـهْـجَـتِـي ، فِي شَبابِي الثَّـمِـلِ[4]
سَـمِـعْـتُـهـا ، فَـانْـصَـرَفْـتُ مُـكْـتَـئِـبـا
أَشْـدُو بِـحُـزْنِـي ، كَـطائِرِ الـجَـبَـلِ

سَـمِـعْـتُـهـا أنَّـةً يـرجِّـعُـهـا
صَوْتُ الـلَّـيـالِـي ، ومُـهْـجَـةُ الأزل
سَـمِـعْـتُـهـا صَـرْخَـةً مُـضَـعْـضَـعَـةً
كَـجَـدْولٍ فِي مَـضـايِـقِ الـسُّـبُـلِ[5]

---

(1) المضطلع : الذي يتحمل الأمر وينهض به .
(2) الكآبة : الغم والحزن . والنظائر : جمع النظيرة ، وهي المثيلة .
(3) الرنّة : الصيحة الحزينة .
(4) المهجة : النفس أو الروح . والثمل : السكران .
(5) المضايق : جمع المضيق . والسبل : جمع سبيل ، وهو الطريق .

سَمِعْتُها رَنَّةً ، يُعانِقُها
شَوْقٌ إلى عالَمٍ يُضَعْضِعُها
ضَعِيفَةً مِثْلَ أنَّةٍ صَعَدَتْ
مِنْ مُهْجَةٍ هَدّها تَوجُّعُها

كَآبَةُ النَّاسِ شُعْلَةٌ ، ومَتَى
مَرَّتْ لَيالٍ خَبَتْ مَعَ الأَمَدِ[1]
أَمَّا اكْتِئابي فَلَوْعَةٌ سَكَنَتْ
رُوحِي ، وتَبْقَى بِها إلى الأَبَدِ

أنا كَئِيبٌ، أنا غَرِيبْ
ولَيْسَ في عالَمِ الكَآبَةِ مَنْ
يَحْمِلُ مِعْشارَ بَعْضِ ما أَجِدُ[2]
كَآبَتِي مُرَّةٌ ، وإنْ صَرَخَتْ
روحِي فَلا يَسْمَعَنَّها الجَسَدُ

كَآبَتِي ذاتُ قَسْوَةٍ صَهَرَتْ[3]
مَشاعِرِي في جَهَنَّمَ الأَلَمِ
لَمْ يَسْمَعِ الدَّهْرُ مِثْلَ قَسْوَتِها
في يَقْظَةٍ قَطُّ ، لا ، ولا حُلُمِ

كَآبَتِي شُعْلَةٌ مُؤَجَّجَةٌ ،[4]
تَحْتَ رَمادِ الكَوْنِ تَسْتَعِرُ[5]
سَيَعْلَمُ الكَوْنُ ما حَقِيقَتُها
ويَطْلُعُ الفَجْرُ يَوْمَ تَنْفَجِرُ

---

(1) الأمد : الزمن . وأراد مرور الزمن .
(2) المعشار : جزء من عشرة . وما أجد : أي ما أعاني من حزن .
(3) صهرت : أذابت .
(4) مؤججة : مشتعلة .
(5) تستعر : تتقد وتشتعل .

كَـآبَـةُ النَّـاسِ شُـعْلَـةٌ ، ومَـتَـى
مَـرَّت لَـيـالٍ خَـبَـتْ مِـنَ الأمَـدِ
أمَّا اكْـتِـئـابِـي فَـلَـوْعَـةٌ ، سَـكَـنَـتْ
رُوحِـي ، وتَـبْـقَـى بِـهـا إلى الأبَـدِ

[6]

السَّآمة

قال : (المتقارب)

سَئِـمْـتُ الـحَـيـاةَ ، ومـا فـي الـحَـيـاةِ ... ومـا إنْ تَـجـاوَزْتُ فَـجْـرَ الـشَّـبـابْ
سَـئِـمْـتُ الـلَّـيـالِـي ، وأَوْجـاعَـهـا ... ومـا شَعْشَعَتْ مِن رَحِيقٍ بِصابْ[1]
فَحَـطَّـمـتُ كَـأْسِـي ، وأَلـقَـيْـتُـهـا ... بِوادِي الأَسَـى وجَـحِـيـمِ الـعَـذابْ
فَـأَنَّـتْ ، وقَـدْ غَـمَـرَتْـهـا الـدُّمُـوعُ ... وقَرَّتْ ، وقَدْ فاضَ مِنْها الـحَبابْ[2]
وأَلْـقَـى عَـلَـيْـهـا الأَسَـى ثَـوْبَـهُ ... وأقْـبـرَهـا الصَّمْتُ والاكْـتِـئـابْ[3]

* * *

فَـأيْـنَ الأمـانِـي وأَلْـحـانُـهـا ؟ ... وأَيْـنَ الـكُـؤوسُ ؟ وأيْـنَ الـشَّـرابْ
لَـقَـدْ سَـحَـقَـتْـهـا أكُـفُّ الـظَّـلامِ ... وقَـدْ رَشَـفَـتْـهـا شِـفـاهُ السَّرابْ[4]
فَـمـا الـعَـيْـشُ فِي حَـوْمَـةٍ بَـأْسُـهـا ... شَدِيدٌ ، وصَـدَّاحُـهـا لا يُـجـابْ[5]
كَـئِـيـبٌ ، وَحِـيـدٌ بِـآلامِـهِ ... وأحْـلامِـهِ ، شَـدْوُهُ الانْـتِـحـابْ[6]

---

(1) شعشعت : مزجت . والرحيق : الخمر . والصاب : شجر مُرٌّ له عصارة بالغة المرارة .
(2) أنّت : صوّتت بحزن . وقرّت : هدأت . والحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر .
(3) أقبرها ، أي : جعل لها قبراً .
(4) رشفتها : مصتها بشفتيها ، على تشبيه السراب بالإنسان .
(5) الحومة من كل شيء : معظمه كالبحر والليل . والبأس : العذاب الشديد .
(6) شدوه : غناؤه . والانتحاب : صوت البكاء .

ذَوَتْ في الرَّبيعِ أزاهِيرُها فِنِمْنَ ، وقَدْ مَصَّهُنَّ التُّرابْ
لَوَيْنَ النُّحورَ على ذِلَّةٍ ومُتْنَ وأحْلامَهُنَّ العِذابْ[1]
فَحالَ الجَمالُ ، وغاضَ العَبيرُ وأذْوَى الرّدَى سِحْرَهُنَّ العُجابْ[2]

[7]

قبضة من ضباب

قال : (مجزوء الكامل)

مَهْما تَأَمَّلْتُ الحَياةَ ، وَجُبْتُ مَجْهَلَها الرَّهِيبْ[3]
ونَظَرْتُ حَوْلِي ، لَمْ أَجِدْ إلاَّ شُكُوكَ المُسْتَرِيبْ[4]
حَتَّى دَهِشْتُ ، وما أُفِدْتُ بِدَهْشَتِي رأياً مُصِيبْ[5]
لَكِنَّنِي أجْهَدتُ نَفْسِي ، وَهْيَ بادِيَةُ اللُّغُوبْ[6]
ودَفَعْتُها وَهْيَ الهَزِيْلَةُ في مُغالَبَةِ الكُرُوبْ[7]
في مَهْمَهٍ مُتَقَلِّبٍ ، تُخْشَى غَوائِلُه ، جَدِيبْ[8]
فَإذا أَصابَتْ مِنْ مَناهِلِهِ شَراباً تَسْتَطِيبْ[9]
أروتْ جَوانِحَها ، وذَلِكَ حَسْبُها كَيْما تَؤُوبْ[10]

---

(1) النحور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة من الصدر .
(2) حال الجمال : زال . وغاض العبير : نقص وقلّ . والعبير : أخلاط من الطيب . وأذوى : أذبل . والردى : الموت .
(3) المجهل : الأرض لا يهتدى فيها . والرهيب : المخيف .
(4) المسترِيب : الذي يرتاب بما يراه .
(5) دَهِش فلان : شُدِه وتحيّر .
(6) اللغوب : الإعياء والتعب .
(7) الكروب : جمع الكرب ، وهو الحزن والغمّ الشديد .
(8) المهمه : الفلاة القفر . والغوائل : جمع الغائلة ، وهي المهلكة . وجديب : مجدب .
(9) المناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء .
(10) تؤوب : ترجع وتعود .

ومَـنِ ارْتَـوَى فـي هَـذهِ الـدُّنْـيـا تَـسَـنَّـمَـهـا خَـطِـيـبْ[1]
أوْ لا فَـقَـد رَكِـبَـتْ مِـنَ الأيَّـامِ مَـرْكَـبَـهـا الـعَـصِـيـبْ ...[2]
وقَـضَـتْ كَـمـا شـاءَ الـخُـلُـودُ ، وفـي جـوانِـحِـهـا الـلَّـهِـيـبْ ! .

[8]

من حديث الشّيوخ

قال : (الطويل)

ألا إنَّ أَحْـلامَ الـشَّـبـابِ ضَـئِـيـلَـةٌ تُحَطِّمُها مِثْلَ الغُصُونِ الـمَصائِبُ
سَأَلْتُ الدَّياجِي عَنْ أَمانِي شَبِيبَتِي فَقالَتْ : تَرامَتْها الرِّياحُ الجوائِبُ[3]
ولَمَّا سَأَلْتُ الرِّيحَ عَنْها أَجابَنِي : تَلَقَّفَها سَيْلُ القَضا ، والنَّوائِبُ[4]
فَصارَتْ عَفاءً ، واضْمَحَلَّتْ كَذَرَّةٍ على الشَّاطِئِ المَحْمُومِ والمَوْجُ صاخِبُ[5]

[9]

أيُّها اللَّيل

قال : (الخفيف)

أيُّها اللَّيْلُ ! يا أبا البُؤسِ والـهَـوْ لِ ، يا هَـيـكَـلَ الـحَـيـاةِ الرَّهِيبِ !
فِيْكَ تَـجْـثُـو عَـرائِـسُ الأَمَـلِ العذْ بِ ، تُصَلِّي بِصَوْتِها الـمَحْبُوبِ[6]
فَـيُـثِـيـرُ الـنَّـشِـيـدُ ذِكْـرَى حَـيـاةٍ حَـجَـبَـتْـهـا غُـيُـومُ دَهْـرٍ كَـئِـيـبِ
وتَـرِفُّ الشُّجونُ مِـنْ حَول قَـلْـبِـي بِـسُـكـونٍ ، وهَـيْـبَـةٍ ، وقُـطُـوبِ[7]

---

(1) تسنم الشيء : علاه .
(2) مركب عصيب : صعب .
(3) دياجي الليل : ظلماته . والرياح الجوائب : التي تجوب البلاد ، أي : تقطعها .
(4) تلقفها سيل القضاء : تناولها بسرعة . والنوائب : المصائب ، الواحدة نائبة .
(5) العفاء : الزوال والهلاك . وشاطئ محموم ، أي : ماؤه ساخنة . والصاخب : الهائج .
(6) تجثو : تجلس .
(7) الشجون : الأحزان ، الواحد شجن . والقطوب : العبوس .

أنْتَ يا لَيْلُ ! ذرَّةٌ ، صَعَدَتْ للـ ـكَون ، من مَوْطِئِ الجَحِيمِ الغَضوبِ

أيُّها اللَّيْلُ ! أنْتَ نَغْمٌ شَجِيٌّ في شِفاهِ الدُّهُورِ ، بَيْنَ النَّحِيبِ

إنَّ أُنْشُودَةَ السُّكُونِ ، التي تَرْتَجُّ في صَدْرِكَ الرَّكُودِ ، الرَّحِيبِ[1]

تُسْمِعُ النَّفْسَ ، في هُدوءِ الأمانِي رَنَّةَ الحَقِّ ، والجمالِ الخَلُوبِ

فَتَصوغُ القُلُوبُ ، مِنْها أغارِيـ ـداً ، تَهُزُّ الحَياةَ هَزَّ الخُطُوبِ

تَتلوَّى الحَياةُ ، مِنْ أَلَمِ البُؤْ سِ ، فَتَبْكِي ، بِلَوْعَةٍ ونَحِيبِ

وعلى مِسْمَعيكَ ، تَنْهلُّ نَوحاً وعَوِيلاً مُرًّا ، شُجونُ القُلوبِ[2]

فَأرَى بُرْقُعاً شَفِيفاً ، من الأوْ جاعِ ، يُلقِي عَلَيْكَ شجوَ الكَئِيبِ[3]

وأرَى في السُّكونِ أجْنِحَةَ الحبَّـ ـار ، مُخْضَلَّةً بِدَمْعٍ حَبِيبِ[4]

فَلَكَ اللَّهُ ! مِنْ فُؤادٍ رَحِيمٍ ولكَ اللَّهُ مِنْ فُؤادٍ ، كَئِيبِ

يَهْجَعُ الكَوْنُ ، في طمأنِينَةِ العُصْـ ـفُورِ ، طِفْلاً بِصَدْرِكَ الغِرِّيبِ[5]

وبِأحْضانِكَ الرَّحِيمةِ يَستيقظُ ، في نَضرَةِ الضَّحُوكِ ، الطَّرُوبِ

شادِياً ، كالطُّيورِ بالأَملِ العَذْ بِ ، جَمِيلاً ، كَبَهْجَةِ الشُّؤْبُوبِ[6]

يا ظَلامَ الحَياةِ ! يا رَوْعَةَ الحُزْ ن ! ويا مِعْزَفَ التَّعِيسِ الغَرِيبِ

وبِقِيثارَةِ السَّكِينةِ ، في كَـ ـفَّيْكَ ، تَنْهَلُّ رَنَّةُ المَكْرُوبِ[7]

فِيْكَ تَنمُو زَنابِقُ الحُلُمِ العذْ بِ ، وتَذْوِي لَدَى لَهِيبِ الخُطُوبِ[8]

خَلْفَ أعْماقِكَ الكَئِيبَةِ تَنْسا بُ ظِلالُ الدُّهورِ ، ذاتَ قُطُوبِ

---

(1) ترتج : تهتز . والركود : الساكن . والرحيب : الواسع .

(2) النوح : البكاء بصياح . والعويل : رفع الصوت بالبكاء والصياح .

(3) البرقع : القناع . والشفيف : الدقيق الشفاف . والشجو : الحزن .

(4) مخضلة : مبتلّة .

(5) يهجع : ينام ويرقد .

(6) الشادي : المغني . والشؤبوب : الدفعة من المطر .

(7) تنهل : تنصب . والرنة : صيحة الألم الحزينة . والمكروب : الملهوف الحزين .

(8) تذوي : تذبل وتيبس . والخطوب : المصائب ، جمع خطب .

وبِفَوْدِيكَ ، في ضَفائِرِكَ السُّو دِ ، تَدُبُّ الأيَّامُ أيَّ دَبِيبِ[1]

* * *

صَاحِ ! إنَّ الحَياةَ أُنشُودةُ الحُزْ نِ ، فَرَتِّلْ على الحَياةِ نَحِيبي

إنَّ كَأْسَ الحَياةِ مُتْرَعَةٌ بالدَّ مْعِ ، فاسْكُبْ على الصَّباحِ حَبِيبي[2]

إنَّ وادِي الظَّلامِ يَطْفَحُ بالهَوْ لِ ، فَما أبْعَدَ ابْتِسامَ القُلُوبِ ![3]

لا يَغُرَّنَّكَ ابْتِسامُ بَنِي الأَرْ ضِ فَخَلْفَ الشُّعاعِ لَذْعُ اللَّهِيبِ[4]

أَنْتَ تَدري أنَّ الحَياةَ قُطُو بٌ وخُطُوبٌ ، فَما حَياةُ القُطُوبِ؟[5]

إنَّ في غَيبَةِ الدُّهُورِ ، تِباعاً لِخَطِيبٍ يَمُرُّ إثْرَ خَطِيبِ[6]

سَدَّدَتْ في سَكِينَةِ الكَون ، لِلأعْما قِ ، نَفْسِي لَحْظاً بَعِيدَ الرُّسوبِ[7]

نَظْرَةٌ مَزَّقَتْ شِغافَ اللَّيالِي فَرَأَتْ مُهْجَةَ الظَّلامِ الهَيُوبِ[8]

ورَأَتْ في صَمِيمِها ، لَوْعَةَ الحُزْ نِ ، وأصْغَتْ إلى صُراخِ القُلُوبِ

لا تُحاوِلْ أنْ تنكرَ الشَّجْوَ ، إنِّي قَدْ خَبِرتُ الحَياةَ خُبْرَ لَبِيبِ[9]

فتبرّمتُ بالسَّكِينَةِ والضَّجَّةِ ، بَلْ قَدْ كَرِهْتُ فِيْها نَصِيبِي ..[10]

كُنْ كَما شَاءتِ السَّماءُ كَئِيباً أيُّ شَيءٍ يَسُرُّ نفسَ الأَريبِ ؟[11]

أَنُفُوسٌ تَموتُ ، شاخِصَةً بالـ ـهَوْلِ، في ظُلْمَةِ القُنُوط العَصِيبِ ؟[12]

---

(1) الفود : الشعر على جانب الرأس . وقوله : تدبّ الأيام ، أراد الشيب الذي يدبّ .

(2) مترعة بالدمع : ممتلئة .

(3) الهول : الخوف والرعب .

(4) لا يغرنك : لا يخدعنك . ولذع اللهيب : مسّه وحرقته .

(5) القطوب : العبوس والتجهم . والخطوب : المصائب .

(6) غيبة الدهور : بعدها وتواريها .

(7) سددت نفسي لحظاً : وجهته . واللحظ : النظر .

(8) شغاف الليالي : حجاب الليالي . ومهجة هيوب : مخيفة .

(9) الشجو : الحزن والغمّ . واللبيب : العاقل ذو اللبّ .

(10) تبرم بالأمر : ملّ وتذمر .

(11) الأريب : العاقل الماهر .

(12) شاخصة : محدّقة . والقنوط : اليأس .

أَمْ قُلُوبٌ مُحَطَّماتٌ على سا حِلِ لُجِّ الأَسَى ، بِمَوْجِ الخُطُوبِ ؟
إنَّما النَّاسُ في الحَياةِ طيورٌ قَدْ رَماها القَضا بِوادٍ رَهِيبِ
يَعْصفُ الهولُ في جَوانِبه السّو دِ فَيَقْضِي على صَدَى العَنْدَلِيبِ[1]

* * *

قَدْ سَأَلْتُ الحَياةَ عَنْ نَغمَةِ الفَجْـ ـرِ ، وعَنْ وَجْمة المَساءِ القَطُوبِ[2]
فَسَمِعْتُ الحَياة ، في هَيكلِ الأحْـ ـزانِ ، تَشدُو بِلَحْنِها المَحبُوبِ
ما سُكوتُ السَّماءِ إلاَّ وُجُومٌ ما نَشيدُ الصَّباحِ غَيْرُ نَحِيبِ[3]
لَيْسَ في الدَّهْرِ طَائِرٌ يَتَغنَّى في ضِفافِ الحَياةِ غَيْرَ كَئِيبِ
خَضَّبَ الاكْتِئابُ أجْنِحَةَ الأيَّا مِ ، بِالدَّمْعِ ، والدَّمِ المَسْكُوبِ[4]
وعَجِيبٌ أنْ يفرحَ النَّاسُ في كَهْـ ـفِ اللَّيالِي ، بِحُزْنِها المَشْبُوبِ ![5]
كُنْتُ أَرْنُو إلى الحَياةِ بِلَحْظٍ باسِمٍ ، والرَّجاءُ دُون لُغُوبِ[6]
ذاكَ عَهْدٌ حَسِبْتُهُ بَسْمَةَ الـ ـفَجْرِ ، ولَكِنَّهُ شُعاعُ الغُرُوبِ
ذاكَ عَهْدٌ ، كَأنَّهُ رَنَّةُ الأقْـ ـراحِ ، تَنْسابُ مِنْ فَمِ العَنْدَلِيبِ
خُفِّفَتْ ـ رَيْثَما أَصَخْتُ لَها بالـ ـقَلْبِ ، حِيْناً ـ وبُدِّلَتْ بنَحِيبِ[7]
إنَّ خَمْرَ الحَياةِ وَرْدِيَّةُ اللَّوْ نِ ، ولَكِنَّها سِمامُ القُلُوبِ[8]
جَرَفَتْ مِنْ قَرارَةِ القَلْبِ أحْلا مِي ، إلى اللَّحْدِ، جائِراتُ الخُطُوبِ[9]

---

(1) صدى العندليب : رجع صوته وارتداده . والعندليب : نوع من الطيور المغرّدة .
(2) وجمة المساء : صمته وسكوته .
(3) الوجوم : العبوس والتجهم . والنحيب : صوت البكاء المرتفع .
(4) خضب : لون وصبغ .
(5) حزن مشبوب : متّقد العاطفة .
(6) أرنو : أحدق النظر . واللحظ : الطرف . واللغوب : الإعياء والتعب .
(7) أصخت لها : أصغيت . والنحيب : صوت البكاء المرتفع .
(8) السِّمام : السمّ القاتل .
(9) قرارة القلب : عمقه . واللحد : القبر . وجائرات الخطوب : المصائب الظالمة ، وهي فاعل مؤخر لفعل جرفت .

فَتَلاشَتْ على تُخُومِ اللَّيالِي وتَهاوتْ إلى الجَحِيمِ الغَضُوبِ[1]

وثَوَى في دُجُنَّةِ النَّفْس ، وَمْضٌ لَمْ يَزَلْ بَيْنَ جِيْئَةٍ ، وذُهُوبِ[2]

ذِكْرياتٌ تَمِيسُ في ظُلْمَةِ النَّفْـ ـسِ ، ضِئالاً ، كَرائِعاتِ المَشِيبِ[3]

يا لِقَلْبٍ تَجَرَّعَ اللَّوْعَةَ المُرَّ ةَ مِنْ جدولِ الزَّمانِ الرَّهِيبِ !

وَمَضَتْ في صَمِيْمِهِ شُعْلَةُ الحُزْ نِ ، فَعَشَّتْهُ مِنْ شُعاعِ اللَّهِيبِ ..[4]

[10]

فلسفة الثّعبان المقدَّس

فلسفة الثّعبان المقدّس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان ، وكما تحدّث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزيّن له الهلاك الذي أوقعه فيه ، فسماه «تضحية» ، وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدّس ...

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حيثما تحاول أن تسوّغ طريقتها في ابتلاعها ، والعمل لقتل ميزاتها القومية ، فتسميها : « سياسة الإدماج » وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم ، وبلوغ الكمال الإنساني المنشود .

ولكن الفناء حقيقة شنيعة ، مبغضة ، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام .

قال : (الكامل)

---

(1) تلاشت : اضمحلت وفنيت . والتخوم : الحدود . وتهاوت : سقطت .

(2) ثوى : أقام . ودجنة النفس : ظلمتها . والومض : اللمعان والبريق .

(3) تميس : تتبختر وتختال في مشيتها .

(4) ومضت : لمعت . وعشّته : جعلت بصره سيئاً بالليل .

كَانَ الرَّبِيعُ الحَيُّ رُوحاً ، حالِماً ... غضَّ الشَّبابِ ، مُعَطَّرَ الجلبابِ[1]

يَمْشِي على الدُّنيا ، بِفكرَةِ شاعِرٍ ... ويطوفُها ، في مَوْكبٍ خَلاَّبِ[2]

والأفْقُ يَملأُهُ الحَنانُ ، كَأنَّهُ ... قَلْبُ الوُجودِ المُنْتجِ الوَهَّابِ

والكَونُ مِنْ طُهْرِ الحَياةِ كَأنَّما ... هُوَ معبدٌ ، والغابُ كالمِحْرابِ[3]

والشَّاعِرُ الشُّحْرُورُ يَرْقُصُ ، مُنْشِداً ... للشَّمْسِ ، فَوْقَ الوردِ والأعْشابِ

شِعْرَ السَّعادَةِ والسَّلامِ ، ونَفْسهُ ... سَكْرَى بِسِحْرِ العالَمِ الخَلاَّبِ

ورآه ثعبانُ الجِبالِ ، فَغمَّهُ ... ما فِيْهِ مِن مَرَحٍ ، وفيْضِ شَبابِ[4]

وانْقَضَّ ، مُضْطَغِناً عَلَيْهِ ، كَأنَّه ... سَوْطُ القَضاءِ ، ولَعْنةُ الأرْبابِ[5]

بُغِتَ الشَّقِيُّ ، فَصاح في هَوْل القضا ... مُتلفِّتاً للصَّائِلِ المُنْتابِ[6]

وتَدَفَّق المِسْكِينُ يصرخُ ثائِراً : ... ماذا جَنيتُ أنا فَحُقَّ عِقابي ؟

لا شَيْءَ ، إلاَّ أنَّنِي متغزّلٌ ... بالكائِناتِ ، مغرِّدٌ في غابي

أَلْقَى من الدُّنيا حَناناً طاهِراً ... وأَبُثُّها نَجْوَى المحبِّ الصَّابِي[7]

أَيُعَدُّ هذا في الوُجودِ جَرِيمَةً ؟! ... أيْنَ العَدالَةُ يا رِفاقَ شَبابي ؟

لا أيْنَ ؟ ، فالشَّرْعُ المقدَّسُ ههنا ... رأيُ القَويِّ ، وفِكْرةُ الغَلاَّبِ !

وسَعادَةُ الضّعفاءِ جُرْمٌ .. ، ما لَهُ ... عِنْدَ القَويِّ سِوَى أشَدِّ عِقابِ !

وَلْتَشْهَدِ الدُّنيا التي غنَّيْتُها ... حُلْمَ الشَّبابِ ، ورَوْعَةَ الإعْجابِ

إنَّ السَّلام حَقِيقَةٌ ، مَكْذُوبَةٌ ... والعَدْلَ فَلْسَفَةُ اللَّهِيبِ الخابِي[8]

لا عَدْلَ ، إلا إنْ تَعادَلَتِ القُوَى ... وتَصادَمَ الإرْهابُ بِالإرْهابِ

---

(1) غضّ الشباب : نضارته . والجلباب : الثوب الواسع .

(2) الخلاب : الفتان الخداع .

(3) المحراب : صدر المعبد . والمحراب : مقام الإمام في المسجد .

(4) غمه : أحزنه . والمرح : الفرح والنشاط .

(5) انقض : اندفع . ومضطغناً : مضمراً الحقد والعداوة .

(6) بُغت : دهش . والصائل : الواثب . والمنتاب : الذي يقصده .

(7) نجوى المحب : سرّه . وبث النجوى : نشرها وأظهرها . والصابي : الذي يميل إلى الصبا .

(8) لهيبٌ خابٍ : هامد ساكن .

فَتَبَسَّمَ الثُّعْبانُ بَسْمَةَ هازِئٍ ... وأجابَ في سَمْتٍ ، وفَرْطِ كِذابِ[1]

يا أيُّها الغِرُّ المثرثِرُ ، إنَّني ... أرثي لثورةِ جَهْلِكَ الثّلاّبِ[2]

والغِرُّ يعذره الحَكِيمُ إذا طَغَى ... جهلُ الصِّبا في قَلْبِهِ الوثّابِ[3]

فاكْبحْ عَواطِفكَ الجَوامِحَ ، إنَّها ... شَرَدَتْ بِلُبِّكَ ، واسْتَمعْ لِخِطابِي[4]

إنِّي إلهٌ ، طَالَما عَبَدَ الوَرَى ... ظِلِّي ، وخافُوا لَعنَتِي وعِقابِي[5]

وتقدّمُوا لِي بالضَّحايا مِنْهُمُ ... فَرِحينَ ، شأنَ العابدِ الأوّابِ[6]

وسَعادَةُ النَّفسِ التَّقِيَّةِ أنَّها ... يَوْماً تَكونُ ضَحِيَّةَ الأرْبابِ

فَتصيرُ في رُوحِ الألوهَةِ بَضْعَةً ، ... قُدُسِيَّةً ، خَلصَتْ مِنَ الأوْشابِ[7]

أفَلا يَسُرُّكَ أنْ تَكونَ ضَحيَّتِي ... فَتحُلَّ في لَحْمِي وفي أعْصابِي

وتَكونَ عَزماً في دَمِي ، وتَوَهُّجاً ... في ناظِرَيَّ ، وَحِدّةً في نابِي

وتَذوبَ في رُوحِي التي لا تَنْتَهِي ... وتَصيرَ بَعْضَ أُلوهَتِي وشَبابِي .. ؟

إنِّي أرَدْتُ لَكَ الخلُودَ مؤلّهاً ... في روحِيَ الباقِي على الأحْقابِ ..[8]

فَكِّرْ ، لِتُدْرِكَ ما أُريدُ ، وإنَّهُ ... أسْمَى مِنَ العَيْشِ القَصِيرِ النّابِي[9]

فأجابهُ الشُّحرُورُ ، في غُصَصِ الرَّدَى ... والمَوْتُ يَخنقه : إلَيْكَ جَوابِي

لا رأي للحَقِّ الضَّعيفِ ، ولا صَدًى ... والرَّأْيُ ، رَأْيُ القاهِرِ الغَلاّبِ

فافْعَلْ مَشِيئَتَكَ التي قَدْ شِئْتَها ... وارْحَمْ جَلالكَ مِن سَماعِ خِطابِي

وكَذاكَ تَتَّخِذُ المَظالِمُ منطِقاً ... عَذْباً لِتُخْفِي سَوأَةَ الآرابِ[10]

---

(1) السمت : حسن الكلام والرأي ووجهه .

(2) الغرّ : الشاب الذي لا تجربة له . والثلاب : العيّاب السبّاب اللوام .

(3) طغى جهل الصبا : سيطر طيش الشباب .

(4) كبح : لجم . والجامح : الذي يركب هواه ولا يثنيه شيء . واللب : العقل .

(5) الورى : الخلق .

(6) عابد أوّاب : توّاب .

(7) الأوشاب : الأخلاط .

(8) الأحقاب : جمع حقب ، وهي المدة الطويلة من الدهر .

(9) عيش نابٍ : قبيح متجافٍ .

(10) الآراب : جمع الإرب ، وهي الحاجة .

[11]

الدُّنيا الـميِّتة

قال : (الكامل)

إنِّي أَرَى .. فَأَرَى جُموعاً جَمَّةً ... لَكِنَّها تَحْيا بِلا أَلْبابِ[1]

يَدْوِي حَوالَيْها الزَّمانُ ، كَأنَّما ... يَدْوِي حوالي جَنْدلٍ وترابِ[2]

وإذا اسْتَجابُوا للزَّمانِ تَناكَرُوا ... وتَراشَقُوا بِالشَّوْكِ والأحْصابِ[3]

وقَضَوا على رُوحِ الأُخُوَّةِ بَيْنَهمْ ... جَهْلاً وعاشُوا عِيشَةَ الأغْرابِ

فَرِحَتْ بهم غولُ التَّعاسَةِ والفَنا ... ومَطامِعُ السّلاَّبِ والغلاَّبِ[4]

لُعَبٌ ، تُحرِّكُها المَطامعُ ، واللّهَى ... وصَغائِرُ الأحْقادِ والآرابِ[5]

وأرَى نُفوساً ، مِنْ دُخانٍ ، جامِدٍ ... مَيْتٍ ، كَأشْباحٍ ، وراءَ ضَبابِ

مَوْتَى ، نَسُوا شَوْقَ الحَياةِ وعزمَها ... وتحرَّكُوا كَتَحَرُّكِ الأنْصابِ[6]

وخبا بِهِمْ لَهَبُ الوجودِ ، فَما بَقُوا ... إلاَّ كَمُحترِقٍ مِنَ الأخْشابِ

لا قَلْبَ يَقْتحِمُ الحَياةَ ، ولا حِجًى ... يَسْمُو سُمُوَّ الطَّائِرِ الجَوَّابِ[7]

بَل في التّرابِ المَيْتِ ، في حَزْنِ الثَّرَى ... تَنْمُو مَشاعِرُهُمْ مَعَ الأعْشابِ[8]

وتَموتُ خامِلَةً ، كَزَهْرٍ بائِسٍ ... يَنْمُو ويَذْبُل في ظَلامِ الغابِ

أبداً تُحدِّقُ في التُّرابِ .. ولا تَرَى ... نورَ السَّماءِ .. فروحُها كتُرابِ ..!

---

(1) جموع جمّة : كثيرة . والألباب : العقول ، واحدها لبٌّ .

(2) الجندل : الحجارة .

(3) الأحصاب : الحجارة الصغيرة .

(4) السلاب : السّراق الذين يسلبون .

(5) لعبٌ : جمع لعبة ؛ على تشبيه البشر باللعب . والآراب : جمع الإرب ، وهي الحاجة .

(6) الأنصاب : جمع النصب ، وهو ما نصب وعُبد من دون اللّه .

(7) الحجا : العقل والفطنة . وجوّاب : يجوب البلاد .

(8) الحزن : ما غلظ من الأرض وخَشُن وارتفع . والثرى : التراب .

الشَّاعِرُ المَوهوبُ يُهْرِقُ فَنَّه ... هَدَراً على الأقْدامِ والأعْتابِ[1]

ويَعيشُ في كونٍ عَقِيمٍ ، مَيِّتٍ ... قَدْ شيَّدَتْهُ غَباوَةُ الأحْقابِ[2]

والعالِمُ النِّحريرُ يُنْفِقُ عُمْرَهُ ... في فَهْمِ أَلْفاظٍ ، ودَرْسِ كِتابِ[3]

يَحْيا على رِمَمِ القَدِيمِ المجْتَوَى ... كالدُّودِ في حِمَمِ الرَّمادِ الخابِي[4]

والشَّعْبُ بَيْنَهما قطيعٌ ، ضائِعٌ ... دُنياهُ دُنيا مَأْكلٍ وشَرابِ

الوَيلُ للحسَّاس في دُنياهُمُ ... ماذا يُلاقِي مِنْ أسًى وعَذابِ !

[12]

صوتٌ من السَّماء

قال : (الكامل)

في اللَّيْلِ نادَيْتُ الكَواكِبَ ساخِطاً ... مُتأجِّجَ الآلامِ والآرابِ[5]

الحقلُ يَمْلِكُهُ جَبابِرةُ الدُّجَى ... والرَّوضُ يسكُنُهُ بنو الأرْبابِ[6]

والنَّهرُ ، للغُولِ المُقدّسةِ التي ... لا تَرْتَوي ، والغابُ للحَطَّابِ

وعَرائِسُ الغابِ الجَميلِ ، هَزِيلَةٌ ... ظَمْأَى لِكُلِّ جَنًى ، وكُلِّ شَرابِ[7]

ما هَذهِ الدُّنيا الكَريهةُ ؟ ويلَها ! ... حُقَّتْ عَلَيْها لَعْنَةُ الأحْقابِ ![8]

الكونُ مُصْغٍ ، يا كَواكِبُ ، خاشِعٌ ... طَالَ انْتِظارِي ، فانْطِقِي بِجَوابِ !

* * *

---

(1) يهرق : يصبّ . والهدر : الساقط الباطل . والأعتاب : جمع العتبة ، وهي خشبة الباب .

(2) العقيم : الذي لا حياة فيه . والأحقاب : جمع الحقبة ، وهي المدة الطويلة من الدهر .

(3) النحرير : العالم الحاذق في علمه .

(4) الرمم : جمع رِمَّة ، وهي العظام البالية . والمجتوى : المكروه . ورماد خابٍ : ساكن هادئ .

(5) المتأجج : الملتهب المتقد . والآراب : الحاجات والرغبات .

(6) الجبابرة : جمع جبار . والدجى : الظلام . والروض : جمع روضة ، وهي الأرض المخضرة .

(7) ظمأى : عطشى . والجنى : ما يجنى من الثمر .

(8) الأحقاب : جمع الحقبة ، وهي المدة الطويلة من الدهر . وأراد لعنة الزمن .

فَسمعتُ صَوْتاً ساحِراً ، مُتموِّجاً فَوْقَ المروجِ الفِيْحِ ، والأعْشابِ[1]
وحَفِيفَ أجْنِحَةٍ تُرفرفُ في الفَضا وصَدًى يَرنُّ على سُكونِ الغابِ
الفَجْرُ يُولدُ باسِماً ، مُتهلِّلا في الكَونِ ، بَيْنَ دُجُنَّةٍ وضَبابِ

[13]

للتّاريخ

قال : (الكامل)

البُؤسُ لابْنِ الشَّعْبِ يَأكلُ قَلْبَهُ والمَجْدُ والإثْراءُ للأَغْرابِ[2]
الشّعْبُ مَعْصُوبُ الجُفونِ ، مُقَسَّمٌ كالشَّاةِ ، بَيْنَ الذّئب والقَصَّابِ
والحقُّ مَقْطُوعُ اللّسانِ مُكَبَّلٌ والظُّلْمُ يمرَح مُذْهَبَ الجِلْبابِ[3]
هَذا قَلِيلٌ مِنْ حَياةٍ مُرَّةٍ في دَوْلَةِ الأنْصابِ والأَلْقابِ

* * *

(1) مروج فيح : واسعة ، الواحد أفيح وفيحاء .
(2) الإثراء : الغنى والجاه . والأغراب : الغرباء .
(3) المكبّل : المقيّد . ومذهب : مذهّب . والجلباب : الثوب الواسع .

قافية التاء

[14]

إلى قلبي التَّائه

قال : (مجزوء الرمل)

مـــا لآفـــاقِـــكَ يـــا قَـــلْـــبِـــيَ سُـــــوداً ، حـــالِـــكـــاتْ ؟
ولأوْرادِكَ بَـــيْـــنَ الـــشَّـــوْكِ صُـــفْـــراً ، ذاوِيـــــاتْ ؟[1]
ولأطْـــيـــارِكَ لا تـــلـــغُـــو ؟ فَـــأَيْـــنَ الـــنَّـــغَـــمـــاتْ ؟[2]
مـــا لِـــمِـــزْمـــارِكَ لا يَـــشْـــدُو بِـــغَـــيْـــرِ الـــشَّـــهَـــقـــاتْ ؟[3]
ولأَوْتـــــــارِكَ لا تَـــخْـــفُـــقُ إلاَّ شـــاكِـــيـــاتْ
ولأَنْـــغـــامِـــكَ لا تَـــنْـــطِـــقُ إلا بـــاكِـــيـــاتْ
ولَـــقَـــدْ كـــانَـــتْ صَـــبـــاحَ الأمْـــسِ بَـــيْـــنَ الـــنَّـــسَـــمـــاتْ
كَـــعَـــذارَى الـــغـــابِ ، لا تَـــعـــرِفُ غَـــيْـــرَ الـــبَـــسَـــمـــاتْ ؟[4]
هـــو ذا يـــا قَـــلْـــبِـــيَ الـــبَـــحْـــرُ ، وأَمْـــواجُ الـــحَـــيـــاةْ !
هـــو ذا الـــقـــارِبُ مَـــشـــدُوداً إلـــى تِـــلْـــكَ الـــصَّـــفـــاةْ ![5]
هـــو ذا الـــشَّـــاطِـــئُ ! لَـــكِـــنْ أَيْـــنَ رُبَّـــانُـــكَ ؟ مـــاتْ !
أَيْـــنَ أَحْـــلامُـــك يـــا قَـــلْـــبِـــي ؟ لَـــقَـــدْ فـــاتَ الـــفَـــواتْ !
تِـــلْـــكَ أطْـــيـــارٌ ، أَنِـــيـــقـــاتٌ ، طِـــرابٌ ، فَـــرِحـــاتْ

---

(1) الأوراد : جمع الوردة . والذابلات : اليابسات .

(2) لا تلغو ، أي : لا تغرد .

(3) الشهقات : جمع الشهقة ، وهي تردد النفس في الحلق مع صوت .

(4) العذارى : جمع عذراء ، وهي الفتاة البكر .

(5) الصفاة : الصخرة .

غَـــرَّدتْ ، ثُـــمَّ تَـــوارَتْ فـــي غـــيـــابـــاتِ الـحَـيـــاةْ[1]

* * *

أَنْـــتَ يـــا قَـلْـبِـيَ قَـلـبٌ ، أَنـضـجَـتْـهُ الـــزَّفَـرات[2]

أَنْـــتَ يـــا قَـلْـبِـيَ عُـــشٌّ ، نَـفَـرَتْ عَـنْـهُ الـقَـطـاةْ[3]

فَـأطـارَتْـــهُ إلـــى الـــنَّـــهْـــرِ الـــرِّيـــاحُ الـعـاتِـيـات[4]

فَـــهْـــوَ فـــي الـــتَّـــيَّـــارِ أَوْراقٌ ، وأَعْـــوادٌ عُـــــراةْ

أَنْـــتَ حَـــقْـــلٌ ، مُـــجـــدِبٌ ، قَـــدْ هَـــزَأَتْ مِـنْـهُ الـرُّعـاةْ

أَنْـــتَ لَـيْـــلٌ ، مُـــعْـــتِـــمٌ ، تَـــنْـــدُبُ فِـيْـــه الـبـاكِـيـات[5]

أَنْـــتَ كَـــهْـــفٌ ، مُـــظْـــلِـــمٌ ، تَـــأوِي إلَـيْـــهِ الـبـائِـسـاتْ

أَنْـــتَ صَـــرْحٌ ، شـــادَهُ الـــحُـــبُّ عـلـى نَـهْـرِ الـحَـيـاةْ[6]

لِـبَـنـاتِ الـشِّـعْـرِ ... ، لَـكِـنْ قـوَّضَـتْـهُ الـحـادِثـات[7]

أَنْـــتَ قَـــبـــرٌ ، فِـيْـــهِ مـن أيـامِـيَ الأولَـى رُفـات[8]

* * *

أَنْـــتَ عُـــــودٌ ، مـــزّقـــتْ أوْتـــارَهُ كَـــفُّ الـحَـيـاةْ

فَـــهْـــوَ فـــي وَحْـشـتـه الـخَـرْسـاء ، بَـيْـنَ الـكـائِـنـاتْ

صـــامِـــتٌ كـالـقَـبْـرِ ، إلاَّ مِـــنْ أَنِـيـــنِ الـذِّكْـرَيـاتْ

أَنْـــتَ لَـحْـــنٌ ســاحِـــرٌ ، يَـخْـبُـطُ فـي الـتِّـيـهِ الـمَـوات[9]

---

(1) توارت : اختفت . والغيابات : جمع الغيابة ، وهي القعر من الشيء .

(2) الزفرات : جمع الزفرة ، وهي التنفس مع مدّ النفس . وأراد زفرات الحزن .

(3) القطاة : نوع من الطيور .

(4) ريح عاتية : شديدة قوية .

(5) تندب : تبكي .

(6) الصرح : البناء الشامخ العالي .

(7) قوّضته : هدّمته . والحادثات : أراد مصائب الدهر ، الواحدة حادثة .

(8) الرفات : بقايا الجسد الميت .

(9) يخبط : يسير على غير هدى . والتيه : الصحراء الواسعة لا علامة فيها يُهتدى بها .

أَنْتَ أُنشُودةُ فَجْرٍ ... ، رتَّلتْها الظُّلُماتْ[1]

أيُّها السَّارِي ، مَع الظُّلْمَةِ ، في غَيْرِ أناةْ[2]

مُطرِقاً ، يَخْبِطُ في الصَّحْراءِ ، مَكْبُوحَ الشَّكاةْ[3]

تُهْتَ في الدُّنيا ، وما أُبْتَ بِغَيرِ الحَسَراتْ[4]

صَلِّ يا قَلْبِي إلى اللَّهِ ، فإنَّ المَوْتَ آتْ

صَلِّ فالنَّازِعُ لا تَبْقَى لَهُ غَيْرُ الصَّلاةْ[5]

[15]

الطُّفولة

قال : (مجزوء الكامل)

للَّهِ ما أَحْلَى الطُّفولَةَ ! إنَّها حُلمُ الحَياةْ

عَهْدٌ كَمَعْسُول الرُّؤى ما بَيْنَ أَجْنِحَةِ السُّباتْ ...[6]

تَرنُو إلى الدُّنيا ، وما فِيْها بِعَيْنٍ باسِمَهْ[7]

وتَسِيرُ في عَدَواتِ وادِيها بِنَفْسٍ حالِمَهْ[8]

* * *

إنَّ الطُّفولَةَ [زَهْرَةٌ] تَهْتَزُّ في قَلْبِ الرَّبِيعْ[9]

---

(1) رتلتها : أنشدتها وغنّتها .

(2) الساري : الذي يسير ليلاً . والأناة : التؤدة والتمهل .

(3) يخبط في الصحراء : يسير على غير هدى . وكبح شكاته : امتنع عن الشكوى .

(4) أبت : عدت ورجعت . والحسرات : جمع حسرة .

(5) النازع : المشرف على الموت .

(6) الرؤى : جمع رؤيا ، وهي ما يُرى في النوم . والسبات : النوم .

(7) ترنو : تديم النظر في سكون طرف .

(8) العدوات : جمع العُدوة ، وهي جانب الوادي وحافته .

(9) في جميع أصول ديوانه جاء البيت مختل الوزن . ولقد أثبتنا ما يكمل الوزن والمعنى .

رَيَّـانَـــةٌ مِـــنْ رَيِّـــقِ الأنْـــداءِ فـــي الـفَـجْـرِ الـوَدِيـعْ[1]
غَـنَّـتْ لَـهـا الـدُّنـيـا أغـانِـي حُـبِّـهـا وحُـبُـورِهـا[2]
فَـتَـأوَّدَتْ نَـشْـوَى بِـأحْـلامِ الـحَـيـاةِ ونُـورِهـا[3]
إنَّ الـطُّـفـولَـةَ حِـقْـبَـةٌ شِـعْـرِيَّـةٌ بِـشُـعُـورِهـا
ودُمُـوعِـهـا ، وسُـرُورهـا ، وطُـمُـوحِـهـا ، وغُـرُورِهـا
لَـمْ تَـمْـشِ فـي دُنْـيـا الـكَـآبَـةِ ، والـتَّـعـاسَـةِ ، والـعَـذابْ
فَـتَـرَى عـلـى أضْـوائِـهـا مـا فـي الـحَـقِـيـقَـةِ مِـنْ كِـذابْ

[16]

الرّواية الغريبة

قال : (الطويل)

ضَحِكْنا على الماضِي البَعيدِ ، وفي غَدٍ ... سَتَجْعَلُنا الأيَّامُ أُضْحُوكَةَ الآتِي
وتِلْكَ هِيَ الدُّنيا ، رِوايَةُ ساحِرٍ ... عَظِيمٍ ، غَرِيبِ الفنِّ ، مُبْدِعِ آياتِ
يُمثِّلها الأحْياءُ في مَسْرَحِ الأسَى ... ووَسْط ضَبابِ الهَمِّ ، تَمْثِيلَ أمْواتِ
ليشهدَ مِنْ خلْفِ الضَّبابِ فصولَها ... ويَضْحَكَ مِنْها مَنْ يمثِّلُ ما ياتِي[4]
وكُلٌّ يُؤدِّي دَوْرَهُ .. وهو ضاحِكٌ ... على الغَيْرِ مَضْحُوكٌ على دَوْرِهِ العاتِي[5]

* * *

(1) ريّانة : مرتوية . وريّق الأنداء : أول المطر . والأنداء : الأمطار .
(2) الحبور : السرور .
(3) تأوّدت : انحنت وانعطفت وتمايلت . والنشوى : السكرى .
(4) ما ياتي ، أي : ما يأتي . وجاء بها مخففة .
(5) العاتي : الظالم .

قافية الثاء

[17]

سِرْ مع الدَّهر

قال : (الخفيف)

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ ، لا تَصُدَّنَّكَ الأهْوالُ ، أو تُفْزِعَنَّكَ الأحْداثُ[1]

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ ، كَيْفَما شاءَتِ الدُّنيا ، ولا يَخدعَنَّكَ النَّفَّاثُ[2]

فالذي يُرْهِبُ الحَياةَ شَقِيٌّ ، سَخِرَتْ مِن مَصِيرِهِ الأجْداثُ[3]

* * *

(1) تصدنك : تمنعنّك . والأهوال : جمع هول ، وهو الفزع . والأحداث : المصائب .

(2) النفّاث : الذي ينفث السموم .

(3) يرهب : يخيف . والأجداث : القبور ، الواحد جدث .

قافية الحاء

[18]

أغنية الأحزان

قال : (الرمل)

غَـنِّـنِـي أُنْـشُـودَةَ الـفَـجْـرِ الـضَّـحُـوكْ
أيُّـهـا الـصَّـدَّاحْ ![1]
فَـلَـقَـدْ جَـرَّعَـنِـي صَـوْتُ الـظَّـلامْ[2]
أَلَـمـاً عَـلَّـمَـنِـي كُـرْهَ الـحَـيـاهْ
إنَّ قَـلْـبِـي مَـلَّ أصْـداءَ الـنُّـواحْ[3]
غَـنِّـنِـي يـا صـاحْ !

* * *

حَـطَّـمَـتْ كَـفُّ الأسَـى قِـيـثـارَتِـي[4]
فـي يَـدِ الأحْـلامْ
فَـقَـضَـتْ صَـمْـتـاً ، أنـاشِـيـدُ الـغَـرامْ[5]
بَـيْـنَ أزْهـارِ الـخَـرِيـفِ الـذَّاوِيَـهْ[6]
وتَـلاشَـتْ فـي سُـكُـونِ الاكْـتِـئـابْ
كَـصَـدَى الـغِـرِّيـدْ[7]

---

(1) الصداح : الذي يرفع صوته بالغناء فيطرب .

(2) جرّعني : سقاني .

(3) الأصداء : جمع الصدى ، وهو رجع الصوت وارتداده . والنواح : البكاء .

(4) الأسى : الحزن . والقيثارة : آلة موسيقية وترية .

(5) فقضت : ماتت .

(6) الذاوية : الذابلة اليابسة .

(7) الغريد : المغرّد الذي يرفع صوته بالغناء .

كُـــفَّ عَـــنْ تِـــلْـــكَ الأغـــانِـــي الـــبـــاسِـــمَـــهْ
أيُّـــهـــا الـــعُـــصْـــفُـــورْ !
فَـــحَـــيـــاتِـــي أَلِـــفَـــتْ لَـــحْـــنَ الأَسَـــى
مِـــنْ زَمـــانٍ قَـــدْ تَـــقَـــضَّـــى ، وعَـــسَـــى
أنْ يُـــثِـــيـــرَ الـــشَّـــدْوُ ، فـــي صَـــمْـــتِ الـــفُـــؤادْ[1]
أَنَّـــةَ الأَوْتـــارْ .... !

* * *

لا تُـــغَـــنِّـــيـــنِـــي أَغـــارِيـــدَ الـــصَّـــبـــاحْ
بُـــلْـــبُـــلَ الأَفْـــراحْ !
فَـــفُـــؤادِي وَهْـــوَ مَـــغْـــمُـــورُ الـــجِـــراحْ
بِـــتَـــبـــارِيـــحِ الـــحَـــيـــاةِ الـــبـــاكِـــيَـــهْ[2]
لَـــيْـــسَ تَـــسْـــتَـــهْـــوِيـــهِ أَلْـــحـــانُ الـــسُّـــرُورْ
وأَغـــانِـــي الـــنُّـــورْ

* * *

إنَّ مَـــنْ أصْـــغَـــى إلـــى صَـــوْتِ الـــمَـــنُـــونْ[3]
وصَـــدَى الأجْـــداثْ
لَـــيْـــسَ تَـــسْـــتَـــهْـــوِيـــهِ أَلْـــحـــانُ الـــطُّـــيُـــورْ
بَـــيْـــنَ أَزْهـــارِ الـــرَّبِـــيـــعِ الـــسَّـــاحِـــرَهْ
وابْـــتِـــســـامـــاتِ الـــحَـــيـــاةِ ، الـــسَّـــافِـــرَهْ[4]
عَـــنْ جَـــلالِ الـــلَّـــهْ !

* * *

---

(1) الشدو : الغناء والتغريد .

(2) التباريح : جمع تبريح ، وهو الشدة والأذى والمشقة .

(3) المنون : الموت .

(4) السافرة : التي أسفرت عن وجهها .

غَنِّنِي يا صاحِ ، أَنَّاتِ الجَحِيمْ
واسْقِنِي الآلامْ
أتْرعِ الكَأْسَ بِأَوْجاعِ الهُمُومْ[1]
واسْقِنِي ، إنِّي كَرِهْتُ الابْتِسامْ
غَنِّنِي نَدْبَ الأمانِي الخائِبَهْ[2]
واللَّيالِي السُّودْ

* * *

غَنِّنِي صَوْتَ الظَّلامِ المُكْتَئِبْ
إنَّنِي أَهْواهْ
هاكَ كَأسَ القَلْبِ فَامْلأهَا نُواحْ[3]
واسْكُبِ الحُزْنَ بِها حَتَّى الصَّباحْ !
إنَّها مِنْ طِينَةِ الحُزْنِ المَرِيرْ
صاغَها الخَلاَّقْ[4]

* * *

بِئْسَتِ الأفْراحُ ، أفْراحُ الحَياهْ
إنَّها أَحْلامْ !
تَخْلُبُ اللُّبَّ بِأَلْحانٍ عِذابْ[5]
وأَغارِيدَ ، كَأَمْلاكِ السَّما[6]
ثُمَّ لا تَلْبَثُ أنْ تَذْوِي كَما[7]

---

(1) أترع الكأس : ملأه .

(2) الندب : البكاء على الميت وتعداد محاسنه . والخائبة : التي خابت ولم تتحقق .

(3) النواح : البكاء مع صوت .

(4) صاغها : كوّنها وعملها . والخلاق : الخالق .

(5) تخلب : تذهب به من سحرها . واللب : العقل .

(6) الأملاك : الملائكة .

(7) تذوي : تذبل .

تَـــــذْبُـــــلُ الأَزْهـــــارْ

* * *

خَـبِّـريـنِـي مـــا الـــذي خَـلْـفَ الـغُـيُـومْ .... ؟
رَبَّـــــةَ الأَحْـــــلامْ
أ فَـتَـــى الـهَـــوْلِ وجَـبَّـــارُ الـهُـمُـــومْ ؟
أمْ عَـــــرُوسُ الأَمَـــــلِ الـعَـــذْبِ الـشَّـــرُودْ
تَـتَـهـــادَى بَـيْـــنَ لألاءِ الـصَّـبـــاحْ ؟[1]
كَـمَـــلاكِ الـنُّـــورْ

* * *

أنـــا فـــي دَرْبِ الـحَـيـــاةِ الـغـامِـضَـهْ
تـــائِـــهٌ ، حَـيْـــرانْ
بَـيْـنَـمـــا أُبْـصِـــرُ فـــي وَجْـــهِ الـحَـيـــاهْ
ظُـــلْـــمَـــةَ الأَحْـــزانِ فـــي ظِـــلِّ الأَلَـــمْ
إذْ أرَى فِـــي جَـفْـنِـهـــا نُـــوراً ، بَـــدِيـــعْ
بَـــاسِـــمـــاً ، فَـتَّـــانْ[2]

* * *

هـــا أنـــا أَسْـــمَـــعُ فـــي قَـــلْـــبِ الـحَـيـــاهْ
صَـــيْـــحَـــةَ الآلامْ
مُـــرَّةً تَـــنْـــســـابُ ، مِـــنْ قَـــلْـــبٍ حَـــطِـــيـــمْ[3]
مَـــــلأَ الـــحُـــزْنُ أَقـــاصِـــيـــهِ دُمُـــوعْ[4]
هـــا أنـــا أَسْـــمَـــعُ أَصْـــواتَ الـسُّـــرُورْ
كَـــظَّـــتِ الأيَّـــامْ[5]

---

(1) لألاء الصباح : أنواره .
(2) الفتان : الفاتن الشديد الجمال .
(3) تنساب : تمشي مسرعة . وحطيم : محطّم من الحزن .
(4) الأقاصي : الأطراف البعيدة .
(5) كظّت : ملأت .

[19]

تونسُ الجميلة

قال : (الخفيف)

لَسْتُ أبْكِي لِعَسْفِ لَيْلٍ طَوِيلٍ ، أوْ لِرَبعٍ غَدا العَفاءُ مَراحَهْ[1]

إنَّما عَبْرَتِي لِخَطْبٍ ثَقِيلٍ ، قَدْ عَرانا ، ولَمْ نَجِدْ مَنْ أزاحَهْ[2]

كُلَّما قامَ في البِلادِ خَطِيبٌ مُوقِظٌ شَعْبَهُ يُرِيدُ صَلاحَهْ

أَلْبَسُوا روحَه قَمِيصَ اضْطِهادٍ فاتِكٍ شائِكٍ يَرُدُّ جماحَهْ[3]

أَخْمَدُوا صَوْتَهُ الإلَهِيَّ بالعَسْـ ـفِ ، أماتُوا صُداحَهُ ونُواحَهْ[4]

وتَوَخَّوْا طَرائِقَ العَسْفِ والإرْ هاقِ تَوًّا ، وما تَوَخَّوْا سَماحَهْ[5]

هَكَذا المُخْلِصُونَ في كُلِّ صَوْبٍ رَشَقاتُ الرَّدَى إلَيْهِم مُتاحَهْ[6]

غَيْرَ أنَّا تَناوَبَتْنا الرَّزايا واسْتَباحَتْ حِمانا أيَّ اسْتِباحَهْ[7]

أنا يا تُونُسُ الجَمِيلَةُ في لُجِّ الهَوَى قَدْ سَبَحْتُ أيَّ سِباحَهْ[8]

شِرْعَتِي حُبُّكِ العَمِيقُ وإنِّي قَدْ تَذَوَّقْتُ مُرَّهُ وقَراحَهْ[9]

لَسْتُ أنْصاعُ لِلّواحِي ولَوْ مُتُّ وقامَتْ على شَبابِي المَناحَهْ[10]

---

(1) عَسْفُ الليل : ظلمته . والربع : المنزل . والعفاء : الزوال . والمراح : الموضع الذي يَروح منه القوم، أو يروحون إليه .

(2) العبرة : الدمعة . والخطب : النازلة الشديدة . وعرانا : نزل بنا وأصابنا .

(3) الفاتك : القاتل . والشائك : الشديد العسير . وجماحه : تمرّده .

(4) أخمدوا : أسكتوا . والعسف : الظلم . والصداح : الغناء . والنواح : البكاء .

(5) توخوا : قصدوا وتعمدوا . والتو : القصد .

(6) رشقات الردى : رميات الموت . ومتاحة : مهيأة .

(7) تناوبتنا : تداولتنا وتعاقبت علينا . والرزايا : المصائب ، الواحدة رزيّة .

(8) لج البحر : عرضه . والهوى : الحب . وأراد بحر حبّك .

(9) الشرعة : المذهب . وماء قراح : نقيّ خالص .

(10) أنصاع : أطيع . واللواحي : اللوائم ، واحدتها لاحية . والمناحة : النواح .

لا أُبالِي ... وإنْ أُرِيقَتْ دِمائِي فَدِماءُ العُشَّاق دَوْماً مُباحَهْ

وبِطُولِ المَدَى تُرِيكِ اللَّيالِي صادِقَ الحُبِّ والوَلا وسَجاحَهْ[1]

إنَّ ذا عَصْرُ ظُلْمَةٍ غَيْرَ أنِّي مِنْ وَراءِ الظَّلامِ شِمْتُ صَباحَهْ[2]

ضَيَّعَ الدَّهْرُ مَجْدَ شَعْبِي ولَكِنْ سَتَرُدُّ الحَياةُ يَوْماً وِشاحَهْ

[20]

جمال الحياة

قال : (مجزوء الرمل)

سِرْتُ في الرَّوْضِ ، وقَدْ لاحَتْ تَباشِيْرُ الصَّباحِ

وجَناحُ الفَجْرِ يُومِي نَحْوَ رَبَّاتِ الجَناحِ

والدُّجَى يَسْعَى رُوَيْداً سَعْيَ غَيْداءَ ، رَداحِ[3]

ونَسِيمُ الصُّبْحِ يَسْرِي سَجْسَجاً ، فَوْقَ البِطاحِ[4]

وخَرِيرُ النَّهْرِ سَكْرا نُ ، وزَهْرُ الرَّوْضِ صاحِ[5]

فَرَنَتْ نَحْوَ جَلالِ الكَوْ نِ ، جَوْناءُ اللِّياحِ[6]

ثُمَّ بَانَتْ في سُفُورٍ فاضِحٍ أيَّ افْتِضاحِ[7]

---

(1) الولا : الولاء . وسجاح الحب : طبعه اللين السهل .

(2) شمت : رقبت .

(3) الدجى : الظلام . والسعي : الإسراع في المشي . والغيداء : الفتاة الناعمة التي تتمايل وتتثنى في لين ونعومة . والرداح : المرأة الضخمة الردف السمينة الأوراك .

(4) نسيم سجسج : معتدل طيب . والبطاح : جمع الأبطح ، وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى والتراب .

(5) خرير النهر : صوت جريان مائه . والروض : جمع روضة .

(6) رنت : أدامت النظر . والجوناء : البراقة الصافية . واللياح : الصبح .

(7) سفور فاضح : ظهور جلي واضح .

فَـاحْـتَـسَـتْ خَـمْـرَ نَـدَى الـدَّا مِـــسِ ، مِـنْ كَـأْسِ الأَقَـاحِ[1]

واعْـتَـلَـتْ بـلْـقِـيـسُ عَـرْشَ اللَّيْلِ ، فـي تِـلْـكَ النَّواحِـي[2]

ثُـمَّ مـالَـتْ لِـغُـرُوبٍ بَـعْـدَ إضْـرامِ الـكِـفـاحِ

واسْـتَـوَى الـلَّـيْـلُ بِـرَغْـمِ الـشَّـمْسِ فـي الـعَـرْشِ الـفُساحِ

هَـكَـذا الـدَّهْـرُ بِـأَزْيـا ءٍ غُـــــــدُوٍّ ، ورُواحِ

وضِـيـــاءٍ ، وظَـــلامٍ وسُـــكُـــونٍ ، وصِـيـــاحِ

ونَـشِـيـــدٍ ، وفَـــواحٍ وانْـقِـبـاضٍ ، وانْـشِـراحِ

إنَّـمـا الـدَّهْـرُ ومِـيْـثـا قُ الـلَّـيـالِـي كَـشُـجـاحِ

* * *

(1) احتست : شربت . وخمر دامس : معتقة أغلق عليها دنّها . والأقاحي : جمع أقحوان ، وهو نبت له زهر أشبه شيء بالأسنان في بياضه وصفره واستوائه .

(2) بلقيس : اسم ملكة أسلمت على يد النبي سليمان .

قافية الدال

[21]

حديث المقبرة

« وهو حوارٌ فلسفيّ ، مدارُهُ الحياة والموت ، والخلود والكمال » .

في ليلة مظلمة ، من ليالي الصَّيف ، خرج الشَّاعر بنفسه من القرية الصغيرة النَّائمة في سفح الجبل ، وفي ذلك السّكون الشامل ، والظَّلام المركوم ، أخذ يمشي بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد ، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة ، حيث كانت مَدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت الدهور .

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النُّجوم ، حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة ، جلس الشاعر بأقدام متعبة ، ونفس ثائرة ، وأجفان قد أذبلتها الأحزان ، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات ، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة .

وتتابعت أمامه رسوم الأيام الكثيرة ، ما نام منها في قلب الأزل ، وما لم يزل ينمو في أحشاء الأبد الكبير ، وجاشت في قلبه هاته الصور والخواطر ، وعاجت في صدره عجيج الأمواج الثائرة ، فألقاها إلى اللَّيل في النشيد التالي : (المتقارب)

أَتَفْنَى ابْتِساماتُ تِلْكَ الجفونِ ؟ ... ويَخْبُو توهُّجُ تِلْكَ الخدُودْ ؟[1]

وتذوي وُرَيْداتُ تِلْكَ الشِّفاهِ ؟ ... وتَهوِي إلى التُّرْبِ تِلْكَ النُّهودْ ؟[2]

وينهدُّ ذاك القوامُ الرَّشيقُ ... وينحلُّ صَدْرٌ ، بَدِيعٌ ، وَجِيدْ[3]

وتربَدُّ تِلْكَ الوُجوهُ الصِّباحُ ... وفتنةُ ذاكَ الجمالِ الفَرِيدْ[4]

---

(1) يخبو : يخمد ويهدأ . وتوهج الخدود : تلألؤها ولمعانها .

(2) تذوي : تذبل . والوريدات : تصغير وردات . وتهوي : تسقط من علوٍّ .

(3) ينهدّ : يتضعضع . والرشيق : الخفيف الحسنُ القدّ اللطيفه . والجيد : العنق .

(4) تربدّ : تتغير ألوانها . وجمال فريد : لا نظير له .

ويـغـبـرُّ فـرعٌ كَـجـنْـحِ الـظَّـلامِ أنِيقُ الـغـدائِـرِ ، جَـعْـدٌ ، مَـدِيـدْ[1]
ويُـصـبـحُ فـي ظُـلُـمـاتِ الـقُـبُـورِ هَباءً ، حَـقِـيـراً ، وتُـرْبـاً ، زهِيدْ[2]
ويـنـجـابُ سِـحْـرُ الـغَـرامِ الـقَـوِيِّ وسُكرُ الشَّبابِ ، الغرِيرِ ، السَّعِيدْ[3]

* * *

أَتُـطـوَى سَماواتُ هذا الـوُجـود ؟ ويذهبُ هـذا الـفَـضـاءُ الـبَـعـيـدْ ؟
وتَهلِكُ تِلْكَ الـنُّـجـومُ الـقُـدامَـى ؟ ويهـرَمُ هذا الـزَّمـانُ الـعَـهِـيـدْ ؟[4]
ويَـقْـضِـي صَباحُ الـحَياةِ الـبَـدِيـعُ ؟ ولَيْلُ الوُجودِ ، الرَّهيبُ ، العَتِيدْ ؟[5]
وشَـمْـسٌ تـوشِّـي رِداءَ الـغـمـامِ ؟ وبَـدْرٌ يُضيءُ ، وغَـيـمٌ يَـجـودْ ؟[6]
وضَـوءٌ ، يُـرَصِّـع مـوجَ الـغَـديـرِ ؟ وسِـحْـرٌ ، يُـطـرِّزُ تِلْكَ البُرودْ ؟[7]
وبَـحـرٌ فَـسـيـحٌ ، بَـعِـيـدُ الـقَـرارِ ، يَـضُـجُّ ، ويَـدْوي دويَّ الـولِـيـدْ ؟
ورِيْـحٌ ، تـمـرُّ مُـرورَ الـمـلاكِ ، وتَخطُو إلى الغابِ خَطْوَ الرُّعودْ ؟
وعـاصِـفَـةٌ مـن بناتِ الـجَـحِـيـمِ ، كـأنَّ صَـداهـا زَئِـيـرُ الأسـودْ
تَـعـجُّ ، فَـتَـدْوِي حَـنـايـا الـجـبـالِ وتَمْشِي ، فَتَهْوِي صُخورُ النُّجودْ ؟[8]
وطَـيـرٌ ، تُـغـنِّـي خِـلالَ الـغُـصُـونِ وتَـهْـتِـفُ لـلـفَـجْـرِ بَـيْـنَ الورودْ ؟
وزَهْـرٌ ، يُـنـمِّـقُ تِـلْـكَ الـتِّـلال ويَـنْـهَـلُ من كُـلِّ ضَوءٍ جَدِيدْ ؟[9]

---

(1) الفرع : الشعر التام . وقوله : كجنح الظلام ، أي : في سواده . والغدائر : جمع الغديرة ، وهي الذؤابة المضفورة من الشعر . والجعد من الشعر : خلاف السبط . والمديد : الطويل . ويغبرّ فرع ، أي : يصبح لونه كلون الغبار .

(2) الهباء : الغبار .

(3) انجاب : انقطع . وشباب غرير : ناعم .

(4) العهيد : القديم العتيق الذي مرّ عليه عهدٌ قديم .

(5) يقضي : يزول ويموت . والعتيد : الجسيم .

(6) توشي : تزين . والرداء : الثوب . والغمام : السحاب .

(7) يرصع : يحلي ، وأراد يحليه بضوئه . والبرود : جمع البرد ، وهو الثوب الموشى المخطط .

(8) تعجّ العاصفة : تشتد . وحنايا الجبال : أطرافها ونواحيها . والنجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض والصلب .

(9) ينمق : يزين .

ويَعْبَقُ مِنْهُ أَريجُ الغرامِ ونَفْحُ الشَّبابِ ، الحَيِيِّ السَّعيدْ ؟[1]
أَيسطُو على الكُلِّ لَيْلُ الفناءِ ليلهُو بِها المَوْتُ خَلْفَ الوُجودْ ..[2]
ويَنْثُرَها في الفراغِ المُخِيفِ كَما تنثرُ الوردَ رِيحٌ شَرودْ
فَينضُبُ يمُّ الحَياةِ ، الخضمُّ ويخمدُ روحُ الرَّبيعِ ، الوَلودْ[3]
فلا يَلْثمُ النُّورُ سِحْرَ الخُدودِ ولا تُنْبِتُ الأرضُ غضَّ الورودْ ؟[4]

* * *

كَبيرٌ على النَّفسِ هذا العَفاءُ ! وصَعْبٌ على القلبِ هذا الهمودْ ![5]
وماذا على القَدَرِ المستَمرِّ لَوِ اسْتَمْرَأَ النَّاسُ طعمَ الخُلُودْ[6]
ولَمْ يُخْفَروا بالخرابِ المحيط ولَمْ يُفْجَعوا في الحَبيبِ الودُودْ[7]
ولَمْ يَسلكوا للخُلود المرجَّى سَبيلَ الرَّدَى ، وظَلامَ اللّحودْ[8]
فَدامَ الشَّبابُ ، وسِحْرُ الغَرامِ ، وفنُّ الرَّبيعِ ، ولُطْفُ الورُودْ
وعاشَ الورَى في سَلامٍ ، أمِينٍ وعَيشٍ ، غضيرٍ ، رخيٍّ ، رَغيدْ[9]
ولَكِنْ هو القَدَرُ المُسْتبدُّ يَلذُّ لَهُ نَوْحُنا ، كالنَّشِيدْ ![10]

* * *

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول ، فجاءت تزور جسمها الذي أصبح رمَّة بالية في أحشاء التراب ، فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية

---

(1) الأريج : انتشار ريح الطيب . وعبق الأريج : فاح وانتشر .

(2) الفناء : الموت والهلاك .

(3) ينضب يمّ الحياة : يذهبُ . واليم : النهر الكبير . والخضم : الواسع العطاء .

(4) يلثم : يقبل . والغضّ : الطري الندي .

(5) العفاء : الزوال والهلاك . والهمود : الموت .

(6) استمرأ طعم الخلود : استحسنه واستلذه ووجده مريئاً .

(7) لم يخفروا بالخراب ، أي : لم يجاروا ويحموا منه . وحبيب ودود : كثير الحبّ .

(8) سبيل الردى : طريق الموت والهلاك . واللحود : جمع لحد ، وهو القبر .

(9) الورى : الخلق والبشر . وعيش غضير : واسع طيّب .

(10) نوحنا : بكاؤنا .

وحيرته الظامئة ، فأرادت أن تعلمه الحكمة وتسكب في قلبه برد اليقين فخاطبته بهاته الأبيات :

تَبَرَّمْتَ بِالعَيْشِ خَوفَ الفناءِ ... ولَوْ دُمْتَ حيًّا سَئِمتَ الخُلُودْ[1]

وعِشْتَ على الأرضِ مثلَ الجبالِ ... جَلِيلاً ، رَهيباً ، غريباً ، وَحِيدْ

فَلَمْ تَرتشفْ من رُضابِ الحَياةِ ... ولَمْ تصطَبحْ من رَحِيق الوجودْ[2]

وما نشوةُ الحبِّ عِنْدَ المُحبِّ ... وما صرخةُ القَلْبِ عِنْدَ الصّدودْ

ولَمْ تدرِ ما فتنةُ الكائِناتِ ... وما سِحْرُ ذاك الرَّبيعِ الوَلِيدْ

ولَمْ تَفْتكِر بالغَدِ المسْتَرابِ ... ولَمْ تَحْتَفِلْ بالمرامِ البَعِيدْ[3]

وماذا يُرجِّي ربيبُ الخُلُودِ ... مِنَ الكونِ ، وَهْوَ المُقيمُ العَهيدْ ؟[4]

وماذا يودُّ وماذا يخافُ ... مِنَ الكونِ ، وهو المُقيمُ الأبيدْ ؟

تَأمَّلْ ... ، فَإنَّ نِظامَ الحَياةِ ... نِظامٌ ، دِقيقٌ ، بَدِيعٌ ، فَرِيدْ

فَما حبَّبَ العَيْشَ إلاَّ الفناءُ ... ولا زانَه غَيْرُ خوفِ اللُّحودْ[5]

ولولا شقاءُ الحَياةِ الأَلِيمُ ... لَما أدركَ النَّاسُ مَعْنَى السُّعودْ[6]

ومَنْ لَمْ يرُعْهُ قطوبُ الدّياجِيرِ ... لَمْ يغتبطْ بِالصّباحِ الجَدِيدْ[7]

* * *

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح ، فقال يحاورها :

إذا لَمْ يَكُنْ من لِقاءِ المَنايا ... مَناصٌ لِمَنْ حلّ هذا الوُجودْ[8]

---

(1) تبرّمت بالعيش : تضجرت منه وسئمت منه . والفناء : الموت والزوال . وسئمت : مللت .

(2) ارتشف الرضاب : مصّه . والرضاب : الريق . وتصطبح : تشرب شربَ الصبوح . والرحيق : أفضل الخمر.

(3) غدٌ مستراب : يريبك بما فيه . والمرام : المطلب .

(4) العهيد : القديم العتيق .

(5) الفناء : الزوال والموت . واللحود : القبور ، الواحد لحد .

(6) السعود : السعد واليمن .

(7) يرعه : يخفه . والدياجير : جمع ديجور ، وهو الظلام . وقطوب الدياجير : عبوسها . ويغتبط : يفرح ويسرّ .

(8) المنايا : جمع المنية ، وهي الموت . ومناصٌ : بدٌّ .

فَـأيّ غِـنـاءٍ لـهـذِي الـحَـيـاةِ ... وهذا الصّراعِ ، العَنيفِ ، الشَّدِيدْ
وذاك الـجـمـالِ الـذي لا يُـمـلُّ ... وتِـلْكَ الأغانِي ، وذاك النَّشِيدْ ؟
وهـذا الـظَّـلامِ ، وذاكَ الـضِّـيـاءِ ... وتِلْكَ النُّجومِ ، وهذا الصَّعِيدْ[1]
لِـمـاذا نَـمـرُّ بـوادِي الـزّمـانِ ... سِـراعـاً ، ولَـكِـنَّـنـا لا نَـعُـودْ
فَـنَـشْـرَبَ مِـنْ كُـلِّ نـبـعٍ شَـرابـاً ... ومِـنْـهُ الـرَّفِـيـعُ ، ومِـنْـهُ الـزَّهِـيـدْ
ومِـنْـهُ الـلَّـذِيـذُ ، ومِـنْـهُ الـكَـرِيـهُ ، ... ومِنْهُ الـمـشِـيـدُ ، ومِنْهُ الـمُـبِـيـدْ[2]
ونَـحْـمِـلُ عـبْـئـاً مـن الـذّكـرَيـاتِ ... وتِـلْـكَ الـعـهُـودِ الـتـي لا تـعُـودْ
ونَـشْـهـدُ أَشْـكـالَ هَـذِي الـوُجـوهِ ... وفِيْها الـشَّـقـيُّ ، وفِيْها الـسَّـعِـيـدْ
وفِيْها الـبَـدِيـعُ ، وفِيْها الـشَّـنِـيـعُ ، ... وفِـيْـهـا الـوَدِيـعُ ، وفِـيْـهـا الـعَـنِـيـدْ
فَيُصبح مِنْها الـولـيُّ ، الـحَـمِـيـمُ ، ... ويصبحُ مِـنْـهـا الـعـدوُّ ، الـحـقُـودْ
وكُـلٌّ - إذا مـا سَـألـنـا الـحَـيـاةَ - ... غَـرِيـبٌ لَـعَـمْـرِي بـهـذا الـوُجـودْ
أَتـيـنـاهُ مـن عـالَـمٍ ، لا نَـراه ... فُرادَى ، فما شأنُ هَذِي الـحقُودْ ؟
وما شـأنُ هذا الـعَـداءِ الـعَـنِـيـفِ ؟ ... ومـا شـأنُ هـذا الإخـاءِ الـوَدودْ ؟

* * *

روح الفيلسوف :

خُـلِـقْـنـا لـنـبـلُـغَ شَـأْوَ الـكَـمـالِ ... ونُـصـبِـحَ أهـلاً لِمجدِ الـخُـلُـودْ[3]
وتَـطْـهـرَ أرْواحُـنـا فـي الـحَـيـاةِ ... بـنـارِ الأسَـى .....[4]
ونَـكْـسَـبَ مـن عَـثَـراتِ الـطَّـرِيـقِ ... قُـوًى ، لا تُـهَـدُّ بـدأْبِ الـصُّعودْ[5]
ومَـجْـداً ، يَـكـونُ لَنا فِي الـخُـلُـودِ ... أَكـالِـيـلَ مـن رائِـعـاتِ الـوُرودْ

* * *

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح ، في طريقها إلى العالم المجهول ، فطارت معها روح

---

(1) الصعيد : التراب ؛ ووجه الأرض أيضاً .
(2) المبيد : المهلك .
(3) شأو الخلود : غايته .
(4) في الأصل بياض .
(5) العثرات : جمع العثرة ، وهي الزلة والسقطة . والدأب : الجدّ والاستمرار .

الفيلسوف ، وخلفت عالم الشك والكآبة لأبنائه البائسين . وظلَّ الشَّاعر يردد بينه وبين نفسه:

خُلِقْنا لنبلُغَ شَأْوَ الكَمالِ ونُصبحَ أهلاً لِمجدِ الخُلُودْ

ولكن أفكاره الثائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال تلحّ عليه بالأسئلة الكثيرة المرهقة ، فقال يناجي روح الفيلسوف التي حسبها ما زالت قريبة منه :

ولَكِنْ إذا ما لبسنا الخُلُودَ ونِلْنا كمالَ النُّفوسِ البَعِيدْ
فَهَلْ لا نَمَلُّ دَوامَ البَقاءِ ؟ وهَلْ لا نَوَدُّ كَمالاً جَدِيدْ
وكَيفَ يَكونَنَّ هذا الكمالُ ؟ وماذا تُراه ؟ وكَيفَ الخُدودْ ؟
وإنَّ جمالَ الكمالِ الطُّمُوحُ وما دامَ فكراً يُرَى من بَعِيدْ
فَما سِحْرُهُ إنْ غدا واقِعاً يُحَسُّ ، وأصبحَ شَيْئاً شَهِيدْ ؟
وهَلْ يَنطفِي في النُّفُوسِ الحَنِينُ وتصبحُ أَشْواقُنا في خُمُودْ
فَلا تطمحُ النَّفْسُ فَوْقَ الكَمالِ وفَوْقَ الخُلُودِ لبعضِ المَزِيدْ ؟
إذا لَمْ يَزُل شَوْقُها في الخُلُودِ فَذاكَ لَعَمْرِي شقاءُ الجُدودْ[1]
وحَربٌ ضروسٌ ، كَما قَدْ عهدتُ ونَصْرٌ ، وكسرٌ وهَمٌّ مَدِيدْ
وإنْ زالَ عَنْها فَذاكَ الفناءُ وإنْ كانَ في عَرَصاتِ الخُلُودْ[2]

* * *

كذلك ناجى الشَّاعر روح الفيلسوف ، ولكنَّها كانت إذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه ، وكذلك ضاعت أسئلة الشَّاعر في ظلمة اللَّيل الذي لا يسمع ولا يجيب .

[22]

إلى الموت

قال : (المتقارب)

صَبِيَّ الحَياةِ ، الشَّقِيَّ العَنِيدْ ألا قَدْ ضَلَلْتَ الضَّلالَ البَعِيدْ !

---

(1) الجدود : جمع جدّ ، وهو الحظّ .

(2) العرصات : جمع العرصة ، وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء .

أَتُنْشِدُ صَوْتَ الحَياةِ الرَّخِيمَ ، وأَنْتَ سَجِينٌ بِهَذا الوجُودْ ؟!
وتَطْلُبُ وَرْدَ الصَّباحِ المخَضَّـ ـبَ مِنْ كَفِّ حَقْلٍ ، جَدِيْبٍ حَصِيد !
إلى المَوْتِ ! إنْ شِئتَ هَوْنَ الحَياة فَخَلْفَ ظلامِ الرَّدَى ما تُرِيدْ ..[1]

* * *

إلى المَوْتِ ! يا ابنَ الحَياةِ التَّعِيسَ ، فَفي المَوْتِ صَوْتُ الحياةِ الرَّخيمْ
إلى المَوْتِ ؟ إنْ عذَّبَتْكَ الدُّهورُ ، فَفي المَوْتِ قَلْبُ الدُّهورِ الرَّحِيمْ
إلى المَوْتِ ! فالمَوْتُ رُوحٌ جَمِيلٌ ، يُرَفْرِفُ مِنْ فَوْقِ تِلْكَ الغُيومْ
فَرُوحاً بِفَجْرِ الخُلُودِ البَهِيجِ ، وما حَوْلَهُ مِنْ بَناتِ النُّجُومْ ...

* * *

إلى المَوْتِ ! فالمَوْتُ جامٌ رَوِيٌّ لِمَنْ أَظمَأَتْهُ سُمُومُ الفَلاةْ[2]
ولَسْتَ بِراوٍ - إذا ما ظَمِئْتَ - مِن المَنبعِ العَذْبِ قَبْلَ المَماتْ[3]
فَما الدَّمْعُ إلاَّ شرابُ الدُّهورِ ، وما الحزنُ إلاَّ غِذاءُ الحَياةْ
إلى المَوْتِ ! فالمَوْتُ مهدٌ وَثِيرٌ ، تَنامُ بِأَحْضانِهِ الكائِناتْ[4]

* * *

إلى المَوْتِ ! إنْ حاصَرَتْكَ الخُطُوبُ وسَدَّتْ عَلَيْكَ سَبِيلَ السَّلامْ[5]
فَفي عالَمِ المَوْتِ تَنْضُو الحَياةُ رِداءَ الأسَى ، وقِناعَ الظَّلامْ[6]
وتبدُو ، كَما خُلِقَتْ غَضَّةً يَفِيضُ على وَجْهِها الابْتِسامْ
تُعِيدُ عَلَيْها ظِلالَ الخُلُودِ ، وتَهفُو عَلَيْها قُلُوبُ الأَنامْ[7]

* * *

---

(1) الرّدى : الموت .
(2) الجام : إناء الشراب من فضة وغيرها . والسموم : الريح الحارة . والفلاة : الصحراء .
(3) الراوي : المرتوي ، فاعل بمعنى مفعول .
(4) المهد : الفراش . والوثير : الناعم اللين .
(5) الخطوب : جمع خطب ، وهو المصيبة الجلل .
(6) تنضو : تخلع وتنزع . والأسى : الحزن .
(7) الأنام : الناس .

إلى المَوْتِ ! لا تَخْشَ أَعْماقَه ... فَفِيها ضِياءُ السَّماءِ الوَدِيعْ
وفِيْها تَميسُ عذارَى السَّماءِ ، ... عوارِيَ ، يُنْشِدْنَ لَحْناً بَدِيعْ ...[1]
وفي راحِهنَّ غُصُونُ النَّخِيلِ ... يُحَرِّكْنَها في فَضاءٍ يَضُوعْ ..[2]
تُضِيءُ بِهِ بَسَماتُ القُلُوبِ ، ... وتَخبُو بِهِ حَسَراتُ الدُّمُوعْ

* * *

هو المَوْتُ طيفُ الخُلودِ الجَمِيلُ ، ... ونِصْفُ الحَياةِ الذي لا يَنُوحْ
هُنالِكَ ... خلفَ الفَضاءِ البَعِيدِ ، ... يَعِيشُ المنونُ القَوِيُّ الصَّبُوحْ
يَضُمُّ القُلُوبَ إلى صَدْرِهِ ، ... ليأسوَ ما مَضَّها مِنْ جُروحْ[3]
ويبعثَ فِيْها رَبِيعَ الحَياةِ ، ... ويُبْهِجَها بِالصَّباحِ الفَرُوحْ

[23]

قلب الشَّاعر

قال : (الرمل)

كُلُّ ما هَبَّ ، وما دَبَّ ، وما ... نامَ ، أو حامَ على هذا الوجُودْ
مِنْ طُيورٍ ، وزُهورٍ ، وشَذًى ... ويَنابِيعَ ، وأغْصانٍ تَمِيدْ[4]
وبِحارٍ ، وكُهُوفٍ ، وذُرًى ... وبَراكِينَ ، ووديانٍ ، وبِيدْ[5]
وضِياءٍ ، وظِلالٍ ، ودُجًى ... وفضُولٍ ، وغيُولٍ ، ورعودْ[6]
وثُلُوجٍ ، وضَبابٍ عابِرٍ ، ... وأعاصِيرَ ، وأمْطارٍ تجُودْ
وتَعالِيمَ ، ودِينٍ ، ورؤًى ... وأحاسِيسَ ، وصَمْتٍ ، ونَشِيدْ

---

(1) تميس : تتهادى وتتبختر في مشيتها .

(2) راحهن : جمع راحة ، وهي الكف . ويضوع : يتحرك فتنتشر رائحته .

(3) يأسو الجروح : يداويها . ومضّها : آلمها .

(4) الشذا : قوة الرائحة الطيبة . وتميد : تتمايل وتتحرك .

(5) البيد : جمع بيداء ، وهي الصحراء .

(6) الغيول : جمع الغِيل ، وهو الشجر الكثيف الملتف .

كُلُّها تحيا بِقَلْبِي ، حُرَّةً غَضَّةَ السِّحْرِ ، كأَطْفالِ الخُلُودْ[1]

* * *

هَهُنا ، في قَلْبِيَ الرَّحْبِ ، العَمِيقْ يرقُصُ المَوْتُ وأَطيافُ الوجُودْ
هَهُنا ، تَعْصِفُ أَهْوالُ الدُّجَى هَهُنا ، تخفُقُ أَحْلامُ الورُودْ[2]
هَهُنا ، تهتُفُ أَصْداءُ الفَنا هَهُنا ، تُعْزَفُ أَلْحانُ الخُلُودْ
هَهُنا ، تَمْشِي الأَمانِي ، والهَوَى ، والأسَى ، في مَوْكِبٍ فَخْمِ النَّشِيدْ
هَهُنا ، الفَجْرُ الذي لا يَنْتَهِي هَهُنا اللَّيْلُ الذي لَيْسَ يَبِيدْ[3]
هَهُنا ، أَلْفُ خِضَمٍّ ، ثائِرٍ خالدِ الثَّورةِ ، مجهولِ الحُدُودْ[4]
هَهُنا ، في كُلِّ آنٍ تَمَّحِي صُوَرُ الدُّنْيا ، وتبدُو من جَدِيدْ

[24]

رثاءُ فجر

قال : (مجزوء الكامل)

يا أيُّها الغابُ ، المُنَمَّقُ بالأشِعَّةِ والورُودْ ![5]
يا أيُّها النُّورُ النَّقِيُّ ! وأيُّها الفَجرُ البَعِيدْ !
أَيْنَ اخْتَفَيتَ ؟ وما الذي أَقْصاكَ عن هذا الوجُودْ[6]
آهٍ ! لَقَدْ كَانَتْ حَياتِي فِيْكَ حالِمَةً ، تَمِيدْ[7]
بَيْنَ الخَمائِلِ ، والجَداوِلِ ، والتَّرنُّمِ ، والنَّشِيدْ[8]

---

(1) الغضّ : الطري النضر .
(2) الأهوال : جمع الهول ، وهو الفزع .
(3) يبيد : يفنى ويزول .
(4) الخضم : البحر الواسع .
(5) نمق الشيء : زينه ونقشه .
(6) أقصاك : أبعدك .
(7) تميد : تتمايل وتتحرك .
(8) الخمائل : جمع خميلة ، وهي الشجر الكثيف الملتف ، وهي الأرض السهلة المنخفضة أيضاً .

تُصْغِي لنجواكَ الجَمِيلةِ ، وهي أُغْنِيَةُ الخُلُودْ
وتَعِيشُ في كونٍ مِنَ الغَفَلاتِ ، فَتَّانٍ ، سَعِيدْ
آهٍ ! لَقَدْ غَنَّى الصَّباحُ ، فَدَمْدَمَ اللَّيْلُ العَتِيدْ[1]
وتَأَلَّقَ النَّجْمُ الوَضِيءُ ، فَأَعْتَمَ الغَيمُ الرَّكُودْ
ومَضَى الرَّدَى بِسَعادَتِي ، وقَضَى على الحُبِّ الوَلِيدْ

[25]

المجد

قال : (الطويل)

يَوَدُّ الفَتَى لَو خاضَ عاصِفَةَ الرَّدَى وصَدَّ الخَمِيسَ المَجْرَ والأسَدَ الوَرْدا[2]
لِيُدْرِكَ أمْجادَ الحُروبِ ، ولَوْ دَرَى حَقِيقَتَها ما رامَ مِنْ بَيْنها مَجْدا
فَما المَجدُ في أنْ تُسْكِرَ الأرْضَ بالدِّما وتَرْكَبَ في هَيْجائِها فَرساً نهْدا[3]
ولَكِنَّهُ في أنْ تَصُدَّ بِهِمَّةٍ عَنِ العالَمِ المرْزُوءِ فيضَ الأَسَى صَدّا[4]

* * *

[26]

صفحة من كتاب الدُّموع

قال : (المتدارك)

غَنَّاهُ الأَمْسُ ، وأَطْرَبَهُ وشَجاهُ اليَوْمُ ، فَما غَدُهُ ؟

---

(1) دمدم الليل : ضج وغضب .

(2) الخميس : الجيش الجرار له خمس فرق ، وهي المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة . وجيش مجر : كثير العدد . وأسد ورد : ما كان أحمر يضرب إلى صفرة حسنة . وأراد بعاصفة الردى : معترك المعركة .

(3) الهيجا : الحرب . وفرس نهد : حسن الجسم مع ارتفاع .

(4) تصدّ : تدفع . وعالم مرزوء : مصابٌ بالأرزاء ، وهي المصائب . والفيض : الكثير الغزير .

قَدْ كانَ لَهُ قَلْبٌ ، كالطِّفْـ ... ـلِ ، يَدُ الأَحْلامِ تُهَدْهِدُهُ[1]

مُذْ كانَ لَهُ مَلَكٌ في الكَو ... نِ جَمِيلُ الطَّلْعَةِ ، يَعْبُدُهُ

في جَوْفِ اللَّيْلِ ، يُناجيهِ ... وأَمامَ الفَجْرِ ، يُمَجِّدُهُ

وعلى الهضَباتِ ، يغنّيه ... آياتِ الحُبِّ ، ويُنْشِدُهُ

لَولاه لَما عذُبَتْ في الكَو ... نِ مَصادِرُهُ ومَواردُهُ

ولَما فَاضَتْ بالشِّعْرِ الحَيْ ... يِ مَشاعِرُهُ وقَصائِدُهُ

تَمْشِي في الغابِ فَتَتْبَعه ... أَفْراحُ الحُبِّ ، وتُنْشِدُهُ

ويَرَى الآفاقَ ، فَيُبْصِرُها ... زُمراً في النُّور ، تُراصِدُهُ[2]

ويَرَى الأَطْيارَ ، فَيَحْسَبُها ... أَحْلامَ الحُبِّ تُغَرِّدُهُ

ويَرَى الأَزْهارَ ، فَيَحْسَبُها ... بَسَماتِ الحُبِّ تُوادِدُهُ

فَيَخالُ الكَونَ يُناجيْهِ ! ... وجَمالَ العالَمِ يُسْعِدُهُ ![3]

ونُجُومَ اللَّيْلِ تُضاحِكُهُ ! ... ونَسِيمَ الغابِ يُطارِدُهُ !

ويَخالُ الوَرْدَ يُداعِبُهُ ... فَرحاً ، فَتعابِثُهُ يَدُهُ ! ...[4]

ويَرَى اليَنْبُوعَ ، ونَظْرَتَهُ ، ... ونَسِيمُ الصُّبْحِ يُجَعِّدُهُ

وخَرِيرُ الماءِ لَهُ نَغَمٌ ... نَسَماتُ الغابِ تُرَدِّدُهُ[5]

ويَرَى الأَعْشابَ وقَدْ سَمَقَتْ ... بَيْنَ الأَشْجارِ تُشاهِدُهُ[6]

ونِطافُ الطِّفلِ تُنَمِّقُها ... فَيُجِلُّ الحُبَّ ويَحْمَدُهُ[7]

* * *

---

(1) تهدهده : تحركه حركة رقيقة .

(2) الزمر : جمع زمرة ، وهي الجماعة . وتراصده : تراقبه .

(3) يخال : يحسب ويظن .

(4) تعابثه : تلاعبه .

(5) خرير الماء : صوت جريانه .

(6) سمقت : طالت وارتفعت .

(7) نطاف : جمع نطفة ، وهو الماء الصافي . وتنمقها : تزينها .

يـا لـلأيَّـامِ ! فَـكَـمْ سَـــرَّتْ قَـلْـباً فـي الـنَّـاسِ لِـتُـكْـمِـدَهْ[1]
هِـيَ مِـثْـلُ الـعـاهِـر ، عـاشِـقُـهـا تُـسقِـيـه الـخَـمْـرَ .. وتَـطْـرُدُهْ ![2]
يُـعْـطِـيـكَ الـيَـوْمُ حَـلاوتَـهـا كـالـشَّـهْـدِ ، لَـيَـسْـلُـبَـهـا غَـدُهْ !
بِـالأمْـسِ يُـعـانِـقُـهـا فَـرحـاً ويُـضـاجِـعُـهـا ، فَـتُـوَسِّـدُهْ[3]
والـيَـوْمَ ، يُـسـايِـرُهـا شَـبَـحـاً أَضْـنـاهُ الـحـزنُ ، ونَـكَّـدَهْ[4]
يَـتـلُـو فـي الـغـابِ مَـراثِـيَـه وجُـذُوعُ الـسَّـرْوِ تُـسـانِـدُهْ
ويُـمـاشِـي الـنَّـاسَ ، ومـا أَحَـدٌ مِـنْـهُـمْ يَـشْـجِـيـهِ تَـفَـرُّدُهْ
فـي لَـيْـلِ الـوَحْـشَـةِ مَـسْـراهُ وبِـكَـهْـفِ الـوَحْـدَةِ مـرقَـدُهْ[5]
أَصْـواتُ الأَمْـسِ تُـعَـذِّبُـه وخَـيـالُ الـمَـوْتِ يُـهَـدِّدُهْ

* * *

بِـالأَمْـسِ لَـهُ شَـفَـقٌ فـي الـكَـو نِ يُـضِـيءُ الأُفْـقَ تَـــورُّدُهْ
والـيَـوْمَ ، لَـقَـدْ غَـشَّـاهُ الـلَّـيْـ ـلُ فَـمـا فـي الـعـالَـمِ يُـسعـدهْ[6]
غَـنَّـاه الأَمْـسُ وأَطْـرَبَـهُ وشَـجـاهُ الـيَـوْمُ ، فَـمـا غَـدُهْ ؟

[27]

صلوات في هيكل الحبّ

قال : (الخفيف)

عَـذْبَـةٌ أَنْتِ كالطُّفولَةِ ، كالأَحْلامِ كـالـلَّـحْـنِ ، كالصَّباحِ الـجَـدِيـدِ
كالسَّماءِ الضَّحُوكِ كاللَّيلَةِ القَمراءِ كـالـوردِ ، كَـابْـتِـسـامِ الـوَلِـيـدِ

---

(1) تكمده : تحزنه .

(2) العاهر : الزاني الفاحش .

(3) يضاجعها : يعاشرها . وتوسّده ، أي : تجعل الوسادة تحت رأسه .

(4) أضناه الحزن : أثقله وأتعبه . ونكده : كدّر عيشه .

(5) مسراه : مسيره ليلاً . ومرقده : مضجعه .

(6) غشّاه : غطّاه .

يـا لَـهـا مِـنْ وَداعَـةٍ وجَـمـالٍ ... وشَـبـابٍ مُـنـعَّـمٍ أَمْـلُـودِ ![1]

يـا لَها مِـنْ طـهـارَةٍ ، تَبعثُ الـتَّـقـ ... ـديسَ في مُهجَةِ الشَّقِيِّ العَنِيدِ !...

يـا لَـهـا رِقَّـةً تَـكـادُ يَـرفُّ الـ ... ـوَرْدُ مِنْها في الصَّخْرةِ الجُلْمُودِ ![2]

أيُّ شيءٍ تُـراكِ ؟ هَلْ أَنْتِ فـيـنـيـ ... ـسُ تَهادَتْ بَيْنَ الورَى مِنْ جَدِيدِ[3]

لِـتُـعِـيـدَ الـشَّـبـابَ والفَرحَ الـمـعْـ ... ـسولَ لِلعالَمِ التَّعِيسِ العَمِيدِ ![4]

أَمْ مـلاكُ الـفِـرْدَوسِ جـاءَ إلـى الأرْ ... ضِ لِيُحييَ روحَ السَّلامِ العَهِيدِ[5]

أَنْتِ .. ما أَنْتِ ؟ أَنْتِ رسمٌ جَميلٌ ... عَـبـقـريٌّ مِـنْ فـنِّ هـذا الـوجُـودِ

فِـيْـكِ ما فِـيْـهِ من غُموضٍ وعُـمْـقٍ ... وجَـمـالٍ مُـقَـدَّسٍ مَـعـبُـودِ

أَنْتِ .. ما أَنْتِ ؟ أَنْتِ فَجْرٌ من السّحـ ... ـرِ تَـجـلَّى لِـقَـلْـبِـيَ الـمَـعـمُـودِ[6]

فَأَراهُ الـحَـيـاةَ فـي مُـونِـقِ الـحُـسْـ ... ـنِ وجـلَّى لَـهُ خَـفـايـا الـخُـلُـودِ

أَنْتِ روحُ الرَّبيعِ ، تـخـتالُ في الدُّنـ ... ـيـا فَـتَـهْـتـزُّ رائِـعـاتُ الـورُودِ

وتهبُّ الـحَياةُ سَـكْـرَى من العِطْـ ... ـرِ ، ويدْوِي الـوجُـودُ بِـالـتَّـغْـرِيـدِ

كُـلَّـمـا أَبْـصَـرَتْـكِ عَيناىَ تَـمْـشِـيـ ... ـن بِـخـطـوٍ مُـوقَّـعٍ كـالـنَّـشِـيـدِ

خَـفَـقَ الـقَـلْـبُ للحَياةِ ، ورفّ الـزْ ... زَهْـرُ في حقل عُمْرِيَ الـمـجـرُودِ[7]

* * *

وانْتَشتْ رُوحيَ الـكَـئِـيـبَـةُ بِـالـحُـبِّ ... وغَـنَّـتْ كـالـبُـلْـبـلِ الـغـرِّيـدِ

أَنْـتِ تُـحـيـيـنَ فـي فـؤادِيَ مـا قَـدْ ... ماتَ في أمسيَ الـسَّـعِـيـدِ الـفَـقِـيـدِ

وتُـشِـيـديـنَ فـي خَـرائِـبِ رُوحِـي ... ما تَلاشَى في عَهدِيَ الـمـجـدُودِ[8]

---

(1) شباب أملود : ناعم .

(2) صخرة جلمود : صلبة قاسية .

(3) فينيس : آلهة الجمال عند الإغريق . وتهادت : تمايلت في مشيتها . والورى : الناس .

(4) العميد : الشديد الحزن .

(5) العهيد : القديم .

(6) المعمود : الذي هدّه العشق .

(7) المجرود : الشديد القحط .

(8) العهد المجدود : المقطوع .

من طمُوحٍ إلى الجمال إلى الفنِّ ، إلى ذلك الفضاءِ البَعِيدِ
وتَبُثّينَ رقّةَ الشّوقِ ، والأَحْـ ـلامِ والشّدوِ ، والهَوَى ، في نَشِيدِي
بعد أن عانقتْ كآبَةُ أيّا مِي فُؤادِي ، وأَلْجَمتْ تغرِيدِي[1]
أَنْتِ أُنشُودَةُ الأَناشِيدِ غنّا كِ إلَهُ الغناءِ ، ربُّ القَصِيدِ[2]
فِيْكِ شبّ الشَّبابُ ، وشَّحهُ السِّحْـ ـرُ وشدوُ الهَوَى ، وعِطْرُ الورُودِ
وتراءَى الجَمالُ ، يَرْقُصَ رقصاً قُدُسِيًّا ، على أغانِي الوجُودِ
وتَهادَتْ في أُفْقِ رُوحِكِ أوْزا نُ الأَغانِي ، ورِقّةُ التَّغرِيدِ
فَتَمايلتِ في الوجُودِ ، كَلحْنٍ عَبقريٍّ الخَيالِ حُلْوِ النَّشِيدِ
خطواتٌ ، سَكْرانَةٌ بالأَناشِيـ ـدِ ، وصَوتٌ ، كَرَجْعِ ناي بَعِيدِ
وقَوامٌ ، يَكادُ يَنْطِقُ بالأَلْـ ـحانِ في كُلِّ وقفةٍ وقُعُودِ
كُلُّ شَيءٍ مُوقَّعٌ فِيْكِ ، حتّى لَفْتَةُ الجِيدِ ، واهْتِزازُ النّهودِ[3]
أنْتِ .. أنْتِ الحَياةُ في قُدْسها السَّا مِي ، وفي سِحْرها الشَّجيِّ الفَرِيدِ
أنْتِ .. أنْتِ الحَياةُ ، في رِقّةِ الفَجْـ ـرِ في رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الوَلِيدِ
أنْتِ .. أنْتِ الحَياةُ ، كُلَّ أوانٍ في رُواءٍ من الشَّبابِ ، جَدِيدِ[4]
أنْتِ .. أنْتِ الحَياةُ فِيكِ وفي عَيْـ ـنَيْكِ آياتُ سِحرها المَمْدُودِ
أنْتِ دُنيا من الأَناشِيدِ والأَحْـ ـلامِ والسِّحْرِ والخَيالِ المَدِيدِ
أنْتِ فَوْقَ الخَيالِ ، والشِّعرِ ، والفنِّ وفَوْقَ النُّهَى وفَوْقَ الحُدُودِ[5]
أنْتِ قُدْسي ، ومعبدِي ، وصَباحِي، ورَبِيعِي ، ونَشْوَتِي ، وخُلُودِي

* * *

يا ابْنةَ النُّور ، إنَّنِي أنا وَحْدِي مَنْ رأى فِيكِ رَوْعَةَ المَعْبُودِ
فَدَعِينِي أَعِيشُ في ظِلِّكِ العَذْ بِ وفي قُرْبِ حُسْنِكِ المَشْهُودِ

---

(1) ألجمت : أوقفت . والتغريد : رفع الصوت بالغناء .

(2) القصيد : جمع القصيدة من الشعر .

(3) الجيد : العنق .

(4) الرواء : المنظر الحسن .

(5) النهى : العقل .

عِيشَةً للجمال والفنّ والإلـ ـهام والطُّهْر ، والسَّنَى ، والسُّجودِ
عِيشَةَ النَّاسِكِ البتُولِ يُناجي الرَّ بَّ في نَشْوَةِ الذُّهولِ الشَّدِيدِ[1]
وامْنَحِينِي السَّلامَ والفرحَ الرُّو حيَّ يا ضَوْءَ فَجْرِيَ المَنشُودِ
وارْحَمِينِي ، فَقَدْ تهدّمتُ في كو نٍ من اليَأْسِ والظَّلامِ مَشِيدِ
أَنْقِذِينِي مِنَ الأسَى ، فَلَقَدْ أَمْـ ـسَيتُ لا أَسْتطيعُ حَملَ وُجودِي
في شِعابِ الزَّمانِ والمَوْتِ أَمْشِي تَحتَ عبءِ الحَياةِ جَمَّ القيودِ[2]
وأُماشِي الوَرَى ونَفْسِيَ كالقَبْـ ـرِ ، وقَلْبِي كالعالَمِ المهدُودِ[3]
ظُلْمةٌ ، ما لَها خِتامٌ ، وهَوْلٌ شَائِعٌ في سُكُونِها المَمْدُودِ
وإذا ما اسْتخفَّنِي عَبَثُ النَّا سِ تَبسَّمْتُ في أسًى وجُمُودِ
بَسْمَةً مُرَّةً ، كَأنِّيَ أستلُّ مِنَ الشَّوكِ ذابلاتِ الوُرُودِ
وانْفخِي في مَشاعِرِي مَرَحَ الدُّنْـ ـيا وشُدِّي مِنْ عَزمِيَ المَجْهُودِ
وابْعَثِي في دَمِي الحَرارَةَ ، عَلِّي أَتَغنَّى مَعَ المُنَى مِنْ جَدِيدِ
وأَبُثُّ الوجُودَ أَنْغامَ قَلْبٍ بُلْبُليٍّ ، مُكَبَّلٍ بالحَدِيدِ[4]
فَالصَّباحُ الجَمِيلُ يُنعِشُ بالدِّفْءِ حَياةَ المُحَطَّمِ المَكْدُودِ[5]
أَنْقِذِينِي ، فَقَدْ سَئِمتُ ظلامِي ! أَنْقِذِينِي ، فَقَدْ مَلَلتُ ركودِي

* * *

آه يا زهرتِي الجَمِيلَةَ لَوْ تَدْ رِينَ ما جدَّ في فُؤادِي الوَحِيدِ
في فؤادِي الغريبِ تُخْلَقُ أكْوا نٌ مِنَ السِّحرِ ذاتُ حُسْنٍ فَرِيدِ
وشُمُوسٌ وَضَّاءَةٌ ونُجُومٌ تَنْثُرُ النُّورَ في فَضاءٍ مَدِيدِ
ورَبِيعٌ كَأنَّهُ حُلُمُ الشَّا عِرِ في سَكْرةِ الشَّبابِ السَّعِيدِ
ورِياضٌ لا تَعرفُ الحَلَكَ الدَّا جِي ولا ثَورةَ الخَرِيفِ العَتِيدِ

---

(1) الناسك : المتعبد الزاهد . والبتول : المنقطع . والذهول : الانشغال والنسيان .

(2) جم القيود : كثير القيود .

(3) الورى : الناس .

(4) المكبّل : المقيّد .

(5) المكدود : المرهق المتعب .

وطُيورٌ سِحْرِيَّةٌ تتناغَى ... بأَناشِيدَ حُلْوةِ التَّغْرِيدِ[1]

وقُصُورٌ كأنَّها الشَّفَقُ المَخْـ ... ـضُوبُ أو طَلْعَةُ الصَّباحِ الوَلِيدِ[2]

وغُيُومٌ رَقِيقَةٌ تَتَهادَى ... كأَبادِيدَ مِنْ نُثارِ الوُرُودِ[3]

وحَياةٌ شِعرِيَّةٌ هِيَ عِنْدِي ... صُورةٌ مِنْ حَياةِ أَهْلِ الخُلُودِ

كُلُّ هذا يَشِيدُهُ سِحْرُ عَيْنَيْـ ... ـكِ وإلْهامُ حُسْنِكِ المَعْبُودِ

وحَرامٌ عَلَيْكِ أنْ تَهدِمِي ما ... شادهُ الحُسْنُ في الفُؤادِ العَمِيدِ[4]

وحَرامٌ عَلَيْكِ أنْ تَسْحَقِي آ ... مالَ نَفسٍ تصبُو لِعَيْشٍ رَغِيدِ[5]

مِنْكِ تَرْجُو سَعادَةً لَمْ تَجِدْها ... في حَياةِ الوَرَى وسِحْرِ الوجُودِ

فَالإلَهُ العَظِيمُ لا يَرْجُمُ العَبْـ ... ـدَ إذا كانَ في جَلالِ السُّجُودِ

[28]

قلت للشِّعر

قال : (الخفيف)

أَنْتَ يا شِعرُ ، فِلْذَةٌ مِنْ فُؤادِي ... تَتَغنَّى ، وقِطْعَةٌ مِنْ وُجُودِي[6]

فِيْكَ ما في جَوانِحِي مِنْ حَنِينٍ ... أبدِيٍّ إلى صَمِيمِ الوجُودِ

فِيْكَ ما في خَواطِرِي مِن بُكاءٍ ... فِيْكَ ما في عَواطِفِي مِنْ نَشِيدِ

فِيْكَ ما في مَشاعِرِي مِنْ وجُومٍ ... لا يُغَنِّي ، ومنْ سُرورٍ عَهِيدِ[7]

فِيْكَ ما في عَوالِمِي من نُجُومٍ ... ضاحِكاتٍ خَلْفَ الغَمامِ الشَّرُودِ[8]

---

(1) تتناغى : تتدانى وتتبادل الأحاديث .

(2) المخضوب : المخضب الملون .

(3) نثار الورود : ما تناثر منه .

(4) فؤاد عميد : هدّه العشق .

(5) تصبو : تهفو . وعيش رغيد : موسّع في رزقه .

(6) الفلذة : القطعة من القلب .

(7) العهيد : القديم العتيق .

(8) الغمام : السحاب الأبيض . وغمام شرود : يشرد ههنا وههنا .

فِيْكَ ما في عَوالِمي من ضَبابٍ ... وسَرابٍ ، ويَقظَةٍ ، وهُجُودِ[1]

فِيْكَ ما في طُفولَتِي مِنْ سَلامٍ ، ... وابْتِسامٍ ، وغِبْطَةٍ ، وسُعُودِ

فِيْكَ ما في شَبِيْبَتِي مِنْ حَنِينٍ ، ... وشجونٍ ، وبَهْجَةٍ ، وجُمُودِ

فِيْكَ ـ إن عانق الرَّبيعُ فُؤادِي ـ ... تَتَثَنَّى سَنابِلي ورُؤُودِي[2]

ويغنّي الصَّباحُ أُنشُودةَ الحُبِّ ، ... على مَسْمَعِ الشَّبابِ السَّعِيدِ

ثُمَّ أَجْنِي في صَيْفِ أحْلامِيَ السَّا ... حِرِ ما لَذَّ من ثمارِ الخُلُودِ

فِيْكَ يَبدُو خريفُ نَفْسِي مَلُولاً ، ... شَاحِبَ اللَّون ، عارِيَ الأُمْلُودِ[3]

جَلَّلَته الحَياةُ بالحَزَنِ الدَّا ... مِي وغَشَّتْهُ بالغُيومِ السُّودِ

فِيْكَ يَمْشِي شِتاءُ أيَّامِيَ البا ... كِي ، وتُرْغِي صَواعِقِي ورُعُودِي[4]

وتَجِفُّ الزُّهورُ في قَلْبِيَ الدَّا ... جِي ، وتَهْوِي إلى قَرارٍ بَعِيدِ ...

أَنْتَ يا شِعْرُ قِصَّةٌ عَنْ حَياتِي ... أَنْتَ يا شِعْرُ صُورةٌ مِنْ وجُودِي

أَنْتَ يا شِعْرُ ـ إنْ فَرِحْتُ ـ أَغارِي ... ـدِي ـ وإنْ غنَّتِ الكآبةُ ـ عُودِي

أَنْتَ يا شِعْرُ كَأْسُ خَمرٍ عَجِيبٍ ... أتلهَّى بِهِ خِلالَ اللُّحُودِ .. !

أَتَحسَّاهُ في الصَّباحِ ، لأَنْسَى ... ما تَقَضَّى في أَمْسِيَ المَفْقُودِ[5]

وأُناجِيهِ في المَساءِ ، لِيُلْهِي ... ـنِيَ مَرآهُ عَنْ ظَلامِ الوجُودِ

أَنْتَ ما نِلْتُ من كهوفِ اللَّيالِي ... وتَصفَّحتُ مِنْ كِتابِ الخُلُودِ

أَنا لَوْلاكَ لَمْ أُطِقْ عَنَتَ الدَّهْـ ... ـرِ ولا فُرقَةَ الصَّباحِ السَّعِيدِ[6]

فِيْكَ ما في الوجُودِ مِنْ حَلَكٍ ، دا ... جٍ ، وما فِيْهِ من ضِياءٍ ، بَعِيدِ[7]

فِيْكَ ما في الوجُودِ من نَغَمٍ ، حُلْـ ... ـوٍ ، وما فِيْهِ مِن ضَجِيجٍ ، شَدِيدِ

---

(1) الهجود : النوم ليلاً .

(2) تتثنى : تتمايل وتتحرك .

(3) الأملود : الناعم اللين .

(4) ترغي : تضجّ غضباً وتهدد .

(5) أتحساه : أتناوله .

(6) العنت : الشدة .

(7) الحلك : السواد . والداجي : الشديد الظلمة .

فِيْكَ ما في الوجُودِ من جَبَلٍ ، وَعْـ ـرٍ ، وما فِيْهِ من حَضِيضٍ وَهِيدِ[1]
فِيْكَ ما في الوجود من حَسَكٍ ، يُدْ مِي ، وما فِيْهِ مِن غَضِيضِ الورُودِ
فِيْكَ ما في الوُجُودِ .. حَبَّ بنو الأَرْ ضِ قَصِيدِي أَمْ لَمْ يُحبُّوا قَصِيدِي[2]
فَسَواءٌ على الطُّيُورِ - إذا غَنْـ ـنَتْ - هُتافُ السَّؤوم والمُسْتَعِيدِ
وسَواءٌ على النُّجُومِ - إذا لا حَتْ - سكونُ الدُّجَى وقَصْفُ الرُّعودِ
وسَواءٌ على النَّسِيمِ ، أفي القَفْـ ـرِ تُغَنِّي ، أَمْ بَيْنَ غَضِّ الوُرُودِ
وسَواءٌ على الورُودِ ، أفي الغيـ ـرانِ فاحَتْ ، أَمْ بَيْنَ نَهْدٍ وَجِيدِ[3]

[29]

طريق الهاوية

قال : (الخفيف)

يا عَذارَى الجمالِ ، والحُبِّ ، والأَحْـ ـلامِ ، بَلْ يا بَهاءَ هذا الوجُودِ ![4]
خُلِقَ البُلبلُ الجَمِيلُ لِيَشْدُو وخُلِقْتُنَّ لِلغَرامِ السَّعِيدِ
والوجُودُ الرَّحِيبُ كالقَبْرِ ، لَولا ما تُجَلِّينَ مِنْ قُطُوبِ الوجُودِ
والحَياةُ التي تخرُّ لَها الأَحْـ ـلامُ مَوتٌ مُثَقَّلٌ بالقُيودِ
والشَّبابُ الحَبِيبُ شَيخوخَةٌ تَسْـ ـعَى إلى المَوْتِ في طريقٍ كَؤودِ[5]
والرَّبِيعُ الجَمِيلُ في هاتِهِ الدُّنـ ـيا خَريفٌ يُذْوِي رَفيفَ الورُودِ[6]
والورُودُ العِذابُ في ضِفَّةِ الجَدْ ول شَوْكٌ ، مُصَفَّحٌ بالحَدِيدِ
والطُّيورُ التي تُغنِّي وتَقْضِي عَيْشَها في ترنُّمٍ وغَرِيدِ ؟

---

(1) الحضيض : ما سفل من الأرض . والوهيد : المنخفض العميق .

(2) القصيد : جمع القصيدة من الشعر . وأراد شعري .

(3) الغيران : جمع الغار ، وهو الكهف . والجيد : العنق .

(4) العذارى : جمع عذراء ، وهي الفتاة البكر التي لم تمسس .

(5) طريق كؤود : صعبٌ .

(6) يذوي : يذبل . ورفيف الورود : الندي النضر .

إنَّها في الوجُودِ تَشكُو إلى الأيْـ ـــيام عِبْءَ الحَياةِ بالتَّغرِيدِ
والأَناشِيدُ ؟ إنَّها شَهَقاتٌ تَتَشَظَّى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ عَمِيدِ[1]
صُورةٌ للوجُودِ شَوْهاءُ ، لَولا شَفَقُ الحُسْنِ فَوقَ تِلْكَ الخُدودِ[2]

* * *

يا زُهورَ الحَياةِ ، للحُبِّ أنتنَّ ولَكِنَّهُ مُخِيفُ الوُرُودِ
فَسَبِيلُ الغَرامِ جَمُّ المَهاوِي وافِرُ الهولِ ، مُسْتَرابُ الصَّعِيدِ[3]
رُغْمَ ما فِيْهِ من جمالٍ ، وفنٍّ عَبقريٍّ ، ما إنْ لَهُ مِنْ مَزِيدِ
وأَناشِيدَ ، تُسْكِرُ الملأَ الأَعْـ ـلَى ، وتُشْجِي جَوانِحَ الجلمُودِ[4]
وأَرِيجٍ ، يَكادُ يَذْهَبُ بالأَلْـ ـبابِ ما بَيْنَ غامِضٍ وشَدِيدِ[5]
وسَبِيلُ الحَياةِ رَحْبٌ ، وأنتنَّ اللَّواتِي تَفْرُشْنَهُ بالوُرُودِ
إنْ أردتُنَّ أنْ يَكونَ بَهِيجاً رائِعَ السِّحْر ، ذا جمالٍ فَرِيدِ
أوْ بِشوكٍ ، يُدْمِي الفَضِيلةَ والحُبَّ ويَقْضِي على بَهاءِ الوجُودِ
إنْ أردتُنّ أنْ يَكونَ شَنِيعاً ، مُظْلِمَ الأُفْقِ مَيِّتَ التَّغرِيدِ

[30]

الجمال المنشود

قال : (الخفيف)

يا عَذارَى الجمالِ ، والحُبِّ ، والأَحْـ ـلامِ ، بَلْ يا بَهاءَ هذا الوجُودِ

---

(1) تتشظى : تتفرق ، وأراد تخرج . وقلب عميد : هدّه العشق .

(2) الصورة الشوهاء : القبيحة .

(3) الجم : الكثير . والمهاوي : جمع المهواة . والهول : الفزع . والمستراب : الذي يدخل الريبة . والصعيد : الطريق .

(4) تشجي : تحزن . والجلمود : الصخر . وأراد جوانح القلب الجلمود .

(5) الأريج : انتشار ريح الطيب . والألباب : العقول ، الواحد لبٌّ .

قَـدْ رَأيْـنـا الـشُّـعُـورَ مُـنْـسَـدِلاتٍ ... كـلّـلَـتْ حُـسْـنَـهـا صَبَاحُ الورُودِ[1]

ورَأيْنا الـجُـفُـونَ تَـبْـسِـمُ ، أوْ تَحْـ ... ـلُمُ بِالنُّورِ ، بِالـهَوَى ، بِـالـنَّـشِـيـدِ

ورَأيْنا الـخُـدُودَ ، ضَرّجَها السِّـحْـ ... ـرُ ، فآهاً مِنْ سِحْرِ تِلْكَ الخُدُودِ[2]

ورَأيْـنـا الـشِّـفـاهَ تَـبْـسِـمُ عَـنْ دنْـ ... ـيـا من الوَردِ ، غَـضَّـةٍ ، أُمْـلُـودِ[3]

ورَأيْـنـا الـنُّـهـودَ تَـهْـتَـزُّ ، كـالأَزْ ... هارِ في نَـشْـوَةِ الـشَّـبـابِ الـسَّـعِـيـدِ

فِـتـنَـةٌ ، تُـوقِـظُ الـغَـرام وتُـذْكِـيْـ ... ـهِ ، ولَـكِـنْ مـاذا وراءَ الـنُّـهُـودِ[4]

ما الذي خَلْفَ سِحْرِها الحالِمِ السَّكْـ ... ـرانِ ، في ذلِكَ القَرارِ الـبَـعِـيـدِ ..

أَنُـفُـوسٌ جَـمِـيـلَـةٌ ، كَـطُـيـورِ الـ ... ـغـابِ تَـشْـدُو بِـسـاحِـرِ الـتَّـغْـرِيـدِ

طَـاهِـراتٌ ، كَـأنَّـهـا أَرَجُ الأَزْ ... هارِ في مَـوْلِـدِ الـرَّبِـيـعِ الـجَـدِيـدِ ؟

وقُـلُـوبٌ مُـضِـيـئَـةٌ ، كَـنُـجُـومِ الـ ... ـلَّـيْـلِ ضـوَّاعَـةٌ كَـغَـضِّ الورُودِ ؟[5]

أَمْ ظَـلامٌ ، كَـأَنَّـهُ قِـطَـعُ الـلَّـيْـ ... ـلِ وهَـوْلٌ يُشِيبُ قلبَ الـوَلِـيـدِ[6]

وخِـضَـمٌّ ، يَـمُـوجُ بِالإثْمِ والـنُّـكْـ ... ـرِ ، والشَّرِّ ، والظّلالِ الـمَدِيدِ ؟[7]

لَـسْـتُ أدري ، فَـرُبَّ زَهْـرٍ شَـذيٍّ ... قـاتِـلٍ رُغْـمَ حُـسْـنِـهِ الـمَـشْـهُـودِ

صـانَـكُـنَّ الإلَـهُ مِـنْ ظُـلْـمَـةِ الـرُّو ... حِ ومِـنْ ضَـلَّـةِ الـضَّـمِـيـرِ الـمُـرِيـدِ

إنَّ لَـيْـلَ الـنُّـفُـوسِ لَـيْـلٌ مُـرِيـعٌ ... سَرْمَدِيُّ الأَسَى ، شَنِيعُ الـخُلُودِ[8]

يرزَحُ الـقَـلْـبُ فِـيْـهِ بِـالأَلَـمِ الـمُـرْ ... ـرِ ، ويَشْقَى بِعَيْشِهِ الـمَـنْـكُـودِ[9]

ورَبِـيـعُ الـشَّـبـابِ يُـذبِـلُـهُ الـدَّهْـ ... ـرُ ، ويَمضِي بِـحُـسْـنِـهِ الـمَـعْـبُـودِ

---

(1) شعر منسدل : مسبلٌ مرخى .

(2) ضرّجها : خضّبها ولوّنها .

(3) الأملود : الناعم اللين .

(4) تذكي : تأجج وتشعل .

(5) ضوّاعة : فوّاحة للرائحة .

(6) الوليد : الصغير من الأولاد .

(7) الخضم : البحر الواسع . ويموج : يضطرب .

(8) ليل مريع : مخيف . والسرمدي : الدائم .

(9) يرزح : ينوء بحمل الألم . وعيش منكود : سيّئٌ مشؤوم .

غَيرُ باقٍ في الكَونِ إلاَّ جَمالُ الرْ رُوح غضًّا على الزَّمانِ الأبيدِ[1]

[31]

أحلام شاعر

قال : (الخفيف)

لَيْتَ لِي أنْ أَعِيشَ في هَذهِ الدُّنْـ ـيا سَعِيداً بِوَحْدَتِي وانْفِرادِي
أَصرِفُ العُمْرَ في الجِبالِ ، وفي الغا باتِ بَيْنَ الصّنوبَرِ المَيَّادِ[2]
لَيْسَ لِي من شواغِلِ العَيشِ ما يَصـ ـرِفُ نَفْسِي عَنِ اسْتِماعِ فُؤادِي
أَرْقُبُ المَوْتَ ، والحَياةَ ، وأُصْغِي لِحَدِيثِ الآزالِ والآبادِ
وأُغَنِّي مَع البلابِلِ في الغا بِ ، وأُصْغِي إلى خَرِيرِ الوادِي
وأُناجِي النُّجومَ والفَجْرَ ، والأَطـ ـيارَ والنَّهرَ ، والضِّياءَ الهادِي
عِيشَةً للجمالِ ، والفَنِّ ، أَبْغِيـ ـها بَعِيداً عَنْ أُمَّتِي وبِلادِي
لا أُعَنِّي نَفْسِي بِأَحْزانِ شَعْبِي فَهْوَ حَيٌّ ، يَعِيشُ عيشَ الجمادِ ![3]
وبِحسبِي مِنَ الأَسَى ما بِنَفْسِي مِنْ طَرِيفٍ مُسْتَحْدَثٍ ، وتِلادِ[4]
وبَعِيداً عن المَدِينَةِ ، والنَّا سِ ، بَعِيداً عن لَغْوِ تِلْكَ النَّوادِي[5]
فَهْوَ من مَعْدِنِ السَّخافَةِ والإفْـ ـكِ ومن ذَلِك الهُراءِ العادِي[6]
أَيْنَ هوْ مِنْ خَرِيرِ ساقِيَةِ الوا دِي وخَفْقِ الصَّدَى ، وشدوِ الشَّادِي
وحَفِيفِ الغُصونِ ، نَمَّقها الطَّلُّ وهَمْسِ النَّسِيمِ للأَوْرادِ ؟[7]

---

(1) جمال غضّ : نضرٌ ناعمٌ . وزمان أبيد : طويل .

(2) صنوبر ميّاد : متمايل متحرك .

(3) أعني نفسي : أتعبها وأحملها المشقة .

(4) طريف الأسى : حديثه . وتلاد الأسى : قديمه .

(5) اللغو : ما لا يعتد به من كلام . والنوادي : جمع النادي ، وهو مجتمع القوم .

(6) الإفك : الكذب . والهراء : الكلام الكثير الفاسد .

(7) نَمّقها : زيّنها . والطلّ : النّدى . والأوراد : الورد .

هَـذهِ عِـيـشَـةٌ تُـقَـدِّسُـهـا نَـفْـ ـسِي وأدعُـو لِـمَـجْـدهـا وأُنـادِي

[32]

أيَّتها الحالمة بين العواصف

قال : (الخفيف)

أَنْتِ كـالـزَّهـرةِ الـجَـمِـيـلَـةِ في الغا بِ ، ولَـكِـنْ ما بَيْنَ شَـوكٍ ، ودودِ
والرَّياحِينُ تَحْسَبُ الـحَسَكَ الشِّـرِّ يرَ والـدُّودَ من صُـنُـوفِ الـورودِ[1]
فَافْهِمِي النَّاسَ .. إنَّما النَّاسُ خَـلْـقٌ مُـفْـسِـدٌ في الوجُودِ ، غَـيـرُ رَشِـيـدِ
والسَّعيدُ السَّعِيدُ مَن عاشَ كـالـلَّـيْـ ـلِ غَـرِيـبـاً في أَهْـلِ هـذا الـوجُـودِ
ودَعِيْهِمْ يَـحْـيَـوْنَ في ظُـلْـمَـةِ الإثْـ ـمِ وعِـيـشِـي في طُهْرِكِ الـمَحْمُودِ
كالـمَلاكِ البَريءِ ، كالوَرْدَةِ الـبَـيْـ ـضاءِ ، كالمَوجِ في الخِضَمِّ البَعِيدِ[2]
كأَغانِي الطُّيورِ ، كـالـشَّـفَـقِ السَّا حِرِ كالكَوكَبِ البَعِيدِ السَّعِيدِ
كَـثُـلُـوجِ الـجِبالِ ، يَـغْـمـرُهـا النُّو رُ وتَـسْـمُـو على غُبارِ الـصَّعِيدِ[3]
أَنْتِ تَـحْـتَ السَّماءِ رُوحٌ جَـمِـيـلٌ صَـاغَـهُ الـلَّـهُ مـن عَـبِـيـرِ الـورُودِ
وبَـنُـو الأَرْضِ كالقُرودِ ، وما أَضْـ ـيَـعَ عِـطـرَ الـورُودِ بَـيْـنَ القرُودِ !
أَنْـتِ مـن رِيـشَـةِ الإلَـهِ ، فَـلا تُـلْـ ـقِـي بِفنِّ السَّما لِـجَـهْـلِ الـعَـبِـيـدِ
أَنْتِ لَمْ تُـخْـلَـقِـي لِـيـقْـرُبَـكِ الـنَّـا سُ ولَـكِـنْ لِـتُـعْـبَـدِي مِنْ بَعِيدِ ...

[33]

قال قلبي للإله

قال : (الخفيف)

في جِبالِ الـهُـمُـومِ ، أَنْـبـتُّ أَغْـصا نِي فَـرَفَّـتْ بَيْنَ الـصُّـخُـورِ بِـجُـهْـدِ

---

(1) الحسك : نبات عشبيّ بريّ شائك .

(2) الخضم : البحر الواسع .

(3) تسمو : تعلو وترتفع . والصعيد : التراب .

وتَـغَـشَّـانِـي الـضَّـبـابُ ، فَـأَوْرَقْـ ـتُ وأَزْهَـرتُ للعَواصِفِ وَحْدِي[1]

وتَـمـايَـلْـتُ فـي الـظَّـلامِ وعَـطَّـرْ تُ فَضاءَ الأَسَـى بِـأَنْـفـاسِ وردِي

وبِمَجدِ الـحَـيـاةِ ، والشَّوقِ غَـنَّـيْـ ـتُ ، فَلَمْ تَفهمِ الأعاصِيرُ قَصْدِي[2]

ورَمَتْ لـلـوهـادِ أَفْـنـانِـيَ الـخُـضْـ ـرَ وظلّتْ في الثَّلْجِ تَحفرُ لَحْدِي[3]

ومَضَتْ بِـالـشَّـذَى فَقُلْتُ : سَتبنِي في مروجِ السَّماءِ بِالعِطْرِ مَجْدِي[4]

وتَـغَـزَّلْـتُ بِـالـرَّبِـيـعِ ، وبِـالـفَـجـ ـرِ فَماذا سَتـفـعـلُ الـرِّيـحُ بَـعْـدِي

* * *

(1) تغشاني : غطّاني .

(2) الأعاصير : جمع الإعصار ، وهو ريح تهبّ بشدة وتثير الغبار .

(3) الأفنان : جمع الفنن ، وهو الغصن . والوهاد : جمع وهـدة ، وهـي الأرض المنخفضـة . واللحـد : القبر .

(4) الشذا : قوة الرائحة الطيبة .

قافية الراء

[34]

إرادة الحياة

قال : (المتقارب)

إذا الشَّعْبُ يَوْماً أرادَ الحَياةَ ... فَلا بُدَّ أنْ يَسْتَجيبَ القَدَرْ[1]

ولا بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنجَلِي ... ولا بُدَّ للقَيدِ أَنْ يَنْكَسِرْ[2]

ومَنْ لَمْ يُعانِقْهُ شَوْقُ الحَياةِ ... تَبَخَّرَ في جَوِّها ، وانْدَثَرْ[3]

فَوَيلٌ لِمَنْ لَمْ تَشُقْهُ الحَيا ... ةُ مِنْ صَفْعَةِ العَدَمِ المُنتصِرْ[4]

كَذلِكَ قَالَتْ لِيَ الكائِناتُ ... وحَدَّثَنِي رُوحُها المُسْتَتِرْ[5]

* * *

ودَمْدَمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الفِجاجِ ... وفَوقَ الجبالِ وتَحْتَ الشَّجَرْ[6]

إذا ما طَمَحْتُ إلى غايَةٍ ... رَكِبتُ المُنَى ، ونَسِيتُ الحَذرْ

ولَمْ أَتَجَنَّبْ وُعُورَ الشِّعابِ ... ولا كَبَّةَ اللَّهَبِ المُسْتَعِرْ[7]

ومَنْ لا يُحبّ صُعُودَ الجِبالِ ... يَعِشْ أبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَرْ

فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِماءُ الشَّبابِ ... وضَجَّت بِصدرِي رِياحٌ أُخَرْ ...[8]

---

(1) استجاب القدر : لبّى طلبه . أراد أن القدر يلبي رغبة الشعب الثائر الرافض للذّل .

(2) انجلى الليل : انكشفت ظلمته . وانجلاء الليل مرتبط بإرادة الحياة .

(3) اندثر : امّحى وفني .

(4) تشوقه الحياة : تجذبه إليها وتعلقه .

(5) المستتر : المتخفّي .

(6) دمدمت الريح : ضجّت وثارت . وفجاج الطريق : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين .

(7) وعور الشعاب : صعوبة مسلكها . والشعاب : جمع الشعب ، وهو الطريق في الجبل . وكبّة النار: صدمتها . ولهب مستعر : مشتعل متّقد .

(8) عجت : غلت واضطربت .

وأطرقتُ ، أُصْغِي لقصفِ الرُّعودِ وعَزْفِ الرِّياحِ ، ووَقْعِ المَطَرْ

* * *

وقَالَتْ لِيَ الأرْضُ لمّا سَألتُ : أيَا أُمُّ هَلْ تَكرهِينَ البَشَرْ ؟
أُبارِكُ في النَّاسِ أَهلَ الطُّمُوحِ ومَنْ يَسْتَلِذُّ رُكوبَ الخَطرْ
وأَلْعنُ مَنْ لا يُماشِي الزَّمانَ ، ويَقْنَعُ بالعَيْشِ عَيْشِ الحَجَرْ
هو الكَونُ حَيٌّ ، يُحبُّ الحَياةَ ويَحْتَقِرُ المَيْتَ ، مَهْما كَبُرْ
فلا الأُفْقُ يَحضُنُ مَيْتَ الطُّيورِ ، ولا النَّحْلُ يلثِمُ مَيْتَ الزَّهَرْ
ولَولا أُمُومَةُ قَلْبِي الرَّؤومِ لَما ضَمَّتِ المَيْتَ تِلْكَ الحُفَرْ[1]
فَوَيلٌ لِمَنْ لَمْ تَشُقْهُ الحَيا ةُ ، منْ لَعنةِ العَدَمِ المُنتصِرْ !

* * *

وفي لَيْلَةٍ من لَيالِي الخَريفِ مُثقَّلَةٍ بالأَسَى والضَّجَرْ
سَكرتُ بها مِنْ ضِياءِ النُّجُومِ وغَنَّيْتُ للحُزْنِ حَتَّى سَكِرْ
سَألتُ الدُّجَى : هَلْ تُعِيدُ الحَياةُ لِما أَذْبَلَتْهُ رَبِيعَ العُمُرْ ؟[2]
فَلَمْ تَتَكَلَّمْ شِفاهُ الظَّلامِ ولَمْ تَترنَّمْ عَذارَى السَّحَرْ[3]
وقَالَ لِيَ الغابُ في رِقَّةٍ مُحبَّبَةٍ مِثْلَ خَفْقِ الوَتَرْ
يَجيءُ الشِّتاءُ ، شِتاءُ الضَّبابِ ، شِتاءُ الثُّلوجِ ، شِتاءُ المَطرْ
فَيَنْطَفِئُ السِّحْرُ ، سِحْرُ الغُصونِ ، وسِحرُ الزُّهورِ ، وسِحرُ الثَّمَرْ
وسِحْرُ السَّماءِ الشَّجِيُّ الوَدِيعُ ، وسِحْرُ المرُوجِ ، الشَّهِيُّ العَطِرْ
وتَهْوِي الغُصُونُ ، وأَوراقُها ، وأَزْهارُ عَهدٍ حَبِيبٍ نَضِرْ[4]
وتَلْهُو بِها الرِّيحُ في كُلِّ وادٍ ، ويَدْفِنُها السَّيلُ أَنَّى عَبَرْ[5]

---

(1) قلب رؤوم : حنون .

(2) الدجى : الظلام .

(3) العذارى : جمع عذراء ، وهي الفتاة البكر . والسحر : آخر الليل قبيل الفجر .

(4) النضر : الناعم .

(5) أنّى عبر : أين مَرَّ .

وَيَفْنَى الجَمِيعُ كَحُلْمٍ بَدِيعٍ ... تَأَلَّقَ في مُهجَةٍ وانْدَثَرْ[1]

وتَبْقَى البُذُورُ ، التي حُمِّلَتْ ... ذَخِيرةَ عُمْرٍ جَمِيلٍ ، غَبَرْ[2]

وذِكْرَى فُصُولٍ ، ورُؤْيا حَياةٍ ، ... وأَشْباحَ دُنيا ، تَلاشَتْ زُمَرْ[3]

مُعانِقَةً وَهْيَ تَحْتَ الضَّبابِ ، ... وتَحْتَ الثُّلوجِ ، وتَحْتَ المَدَرْ[4]

لِطَيْفِ الحَياة الذي لا يُمَلُّ ، ... وقَلبِ الرَّبيعِ الشَّذيِّ الخَضِرْ

وحالِمَةً بِأَغانِي الطُّيورِ ، ... وعِطْرِ الزُّهور ، وطَعْمِ الثَّمَرْ

* * *

ويَمْشِي الزَّمانُ فَتَنْمُو صُرُوفٌ ، ... وتَذْوِي صُروفٌ ، وتَحْيا أُخرْ[5]

وتُصبِحُ أَحْلامُها يَقْظَةً ، ... مُوَشَّحةً بِغُموضِ السَّحَرْ[6]

تُسائِل : أَيْنَ ضَبابُ الصَّباحِ ، ... وسِحْرُ المَساءِ ؟ وضوءُ القَمَرْ ؟

وأَسْرابُ ذاكَ الفَراشِ الأَنِيقِ ؟ ... ونَحْلٌ يُغَنِّي ، وغَيمٌ يَمُرْ ؟

وأَيْنَ الأَشِعَّةُ والكائِناتُ ؟ ... وأَيْنَ الحَياةُ التي أَنْتَظِرْ ؟

ظَمِئْتُ إلى النُّورِ ، فَوقَ الغُصُونِ ! ... ظَمِئْتُ إلى الظِّلِّ تَحْتَ الشَّجَرْ !

ظَمِئْتُ إلى النَّبْعِ ، بَيْنَ المُروجِ ، ... يُغَنِّي ، ويرقصُ فَوقَ الزَّهَرْ !

ظَمِئْتُ إلى نَغَماتِ الطُّيورِ ، ... وهَمْسِ النَّسِيمِ ، ولَحْنِ المَطَرْ

ظَمِئْتُ إلى الكَونِ ! أَيْنَ الوجُودُ ... وأَنَّى أَرَى العالَمَ المُنتظَرْ ؟

هُو الكَونُ ، خَلفَ سُباتِ الجُمُودِ ، ... وفي أُفقِ اليَقظاتِ الكُبَرْ

وما هُوَ إلاَّ كَخَفْقِ الجَنا ... حِ حَتَّى نَما شَوْقُها وانْتصَرْ

---

(1) تألق : تلألأ ولمع . واندثر : امّحى وفني .

(2) عمرٌ غبر : مضى .

(3) الزمر : الجماعات ، الواحدة زمرة .

(4) المدر : قطع الطين اليابس المتماسك .

(5) الصروف : جمع الصرف . وصرف الدهر : نوائبه وحوادثه . وتذوي : تذبل . أراد تذهب نوائب وتأتي نوائب أخرى .

(6) موشحة : مكللة مغطاة . والسحر : آخر الليل قبيل طلوع النهار .

فَصَدَّعَتِ الأَرْضُ من فَوقِها ... وأبْصرتِ الكَوْنَ عذبَ الصُّوَرْ[1]

وجاءَ الرَّبيعُ ، بأَنْغامِهِ ... وأَحْلامِهِ ، وصِباهُ العَطِرْ

وقَبَّلَها قُبَلاً في الشِّفاهِ ، ... تُعِيدُ الشَّبابَ الذي قَدْ غَبَرْ[2]

وقَالَ لَها : قَدْ مُنِحْتِ الحَياةَ ، ... وخُلِّدْتِ في نَسْلِكِ المُدَّخَرْ

وبَارَكَكِ النُّورُ ، فَاسْتَقبِلِي ... شَبابَ الحَياةِ وخَصْبَ العُمُرْ

ومَنْ تَعْبُدُ النُّورَ أَحْلامُهُ ، ... يُبارِكُهُ النُّورُ أَنَّى ظَهَرْ

إِلَيكِ الفَضاءَ ، إِلَيكِ الضِّياءَ ، ... إِلَيكِ الثَّرَى ، الحالِمَ ، المُزْدَهِرْ !

إِلَيكِ الجَمالَ الذي لا يَبِيدُ ! ... إِلَيكِ الوجُودَ ، الرَّحِيبَ النَّضِرْ ![3]

فَمِيدِي - كَما شِئتِ - فَوقَ الحُقُولِ ... بِحُلْوِ الثِّمارِ وغضِّ الزَّهَرْ[4]

وناجِي النَّسِيمَ ، وناجِي الغُيومَ ، ... وناجِي النُّجومَ ، وناجِي القَمَرْ

وناجِي الحَياةَ وأَشْواقَها ، ... وفِتْنَةَ هذا الوجُودِ الأغَرْ[5]

* * *

وشَفَّ الدُّجَى عن جَمالٍ عَمِيقٍ ، ... يُشِبُّ الخَيالَ ، ويُذكِي الفِكَرْ[6]

ومُدَّ على الكَونِ سِحْرٌ غَرِيبٌ ، ... يُصَرِّفُهُ ساحِرٌ مُقْتَدِرْ[7]

وضاءَتْ شُمُوعُ النُّجومِ الوِضاءِ ، ... وضاعَ البَخُورُ ، بَخُورُ الزَّهَرْ

ورَفْرَفَ رُوحٌ ، غَرِيبُ الجَمالِ ... بِأَجْنِحَةٍ مِنْ ضِياءِ القَمَرْ

ورَنَّ نَشِيدُ الحَياةِ المُقَدَّ ... سُ في هَيكلٍ ، حالِمٍ ، قَدْ سُحِرْ

وأُعْلِنَ في الكَونِ : أَنَّ الطُّموحَ ... لَهِيبُ الحَياةِ ، ورُوحُ الظَّفَرْ

---

(1) صدعت : شققت .

(2) غبر : مضى وانقضى .

(3) جمال لا يبيد : لا يفنى ولايزول . والوجود الرحيب : الواسع . والنضر : الناعم اللين .

(4) ميدي : تمايلي . وزهر غضّ : نديٌّ ناعم .

(5) وجود أغر : أبيض جميل .

(6) شفّ الدجى ، أي : أصبح رقيقاً شفافاً حتى يُرى ما خلفه . ويشب الخيال : يوقده . ويذكي : يوقد .

(7) يصرّفه ، أي : يتصرف كيف شاء .

إذا طَمَحَتْ للحَياةِ النُّفُوسُ فَلا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدَرْ !

[35]

الجنَّة الضَّائعة

قال : (مجزوء الكامل)

كَمْ من عُهُودٍ عَذْبَةٍ في عُدْوَةِ الوادِي النَّضِيرْ[1]
فِضِّيَّةِ الأَسْحارِ مُذْهَبَةِ الأَصائِل والبُكُورْ[2]
كانَتْ أرَقَّ مِنَ الزُّهُورِ ، ومِنْ أَغارِيدِ الطُّيورْ
وأَلَذَّ مِنْ سِحْرِ الصَّبا في بَسْمَةِ الطِّفلِ الغَرِيرْ[3]
قَضَّيْتُها ومعي الحَبِيبَةُ لا رَقِيبَ ولا نَذِيرْ
إلاَّ الطُّفولَةُ حَوْلَنا تَلْهُو مَعَ الحُبِّ الصَّغِيرْ
أَيَّامَ كانَتْ للحَياةِ حَلاوَةُ الرَّوضِ المَطِيرْ
وطَهارَةُ المَوجِ الجَمِيلِ ، وسِحْرُ شاطِئِهِ المُنِيرْ
ووَداعَةُ العُصفُورِ ، بَيْنَ جَداوِلِ الماءِ النَّمِيرْ[4]
أَيَّامَ لَمْ نَعْرِفْ مِنَ الدُّنيا سِوَى مَرَحِ السُّرورْ
وتَتَبُّعِ النَّحْلِ الأَنِيقِ وقَطْفِ تِيجانِ الزُّهُورْ
وتَسلُّقِ الجَبَلِ المُكَلَّلِ بالصَّنَوْبَرِ والصُّخورْ
وبِناءِ أَكْواخِ الطُّفولَةِ تَحْتَ أَعْشاشِ الطُّيورْ
مَسْقُوفَةً بالوَرْدِ ، والأَعْشابِ ، والوَرَقِ النَّضِيرْ[5]
نَبْنِي ، فَتَهْدِمُها الرِّياحُ ، فَلا نَضُجُّ ولا نَثُورْ

---

(1) عدوة الوادي : جانب الوادي وحافته . والنضير : الغضّ الجميل .

(2) الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب . والبكور : أول النهار .

(3) الغرير : الصغير الذي لا تجربة له .

(4) الماء النمير : الطيب الصافي .

(5) الورق النضير : الناضر الجميل .

ونَعودُ نَضْحَكُ للمرُوجِ ، وللزَّنابقِ ، والغَدِيرْ
ونُخاطِبُ الأَصْداءَ ، وَهْيَ تَرِفُّ في الوادِي المُنِيرْ
ونُعِيْدُ أُغْنِيَةَ السَّواقِي ، وَهْيَ تَلْغُو بالخَرِيرْ[1]
ونَظَلُّ نَرْكُضُ خَلْفَ أَسْرابِ الفَراشِ المُسْتَطِيرْ
ونَمُرُّ ما بَيْنَ المرُوجِ الخُضْرِ ، في سُكْرِ الشُّعُورْ
نَشدُو ، ونَرقصُ ـ كالبَلابِلِ ـ للحَياةِ ، وللحُبورْ[2]
ونَظَلُّ نَنْثُرُ للفضاءِ الرَّحْبِ ، والنَّهرِ الكَبيرْ[3]
ما في فُؤادَيْنا مِنَ الأَحْلامِ ، أو حُلْوِ الغُرُورْ
ونَشِيدُ في الأُفُقِ المُخَضَّبِ مِنْ أَمانِيْنا قُصُورْ[4]
أَزهَى مِنَ الشَّفَقِ الجَمِيلِ ، ورَوْنَقِ المَرْجِ الخَضِيرْ
وأَجَلَّ مِنْ هَذا الوجُودِ ، وكُلِّ أَمْجادِ الدُّهورْ
أبداً ، تُدَلِّلُنا الحَياةُ بِكُلِّ أَنْواعِ السُّرُورْ
وتَبُثُّ فِيْنا من مِراحِ الكَونِ ما يُغوِي الوَقُورْ[5]
فَنَسِيرُ ، نَنْشُدُ لَهوَنا المَعبُودَ في كُلِّ الأُمُورْ
ونَظَلُّ نَعبثُ بالجَلِيلِ مِنَ الوُجُودِ ، وبالحَقِيرْ[6]
بالسَّائِلِ الأَعْمَى ، وبالمَعْتوهِ ، والشَّيخِ الكَبِيرْ
بالقِطَّةِ البَيْضاءِ ، بالشَّاةِ الوَدِيعَةِ ، بالحَمِيرْ
بالعُشبِ ، بالفَنَنِ المُنَوِّرِ ، بالسَّنابِلِ ، بالسَّفِيرْ[7]
بالرَّمْلِ ، بالصَّخْرِ المُحَطَّمِ ، بالجَداوِلِ ، بالغَدِيرْ

---

(1) تلغو : تتكلم . وأراد تصوت بخرير الماء ، وهو صوت جريانه .

(2) نشدو : نغني . والحبور : السرور .

(3) فضاء رحب : واسعٌ .

(4) المخضب : الملون بألوان الشمس .

(5) تبث : تنشر . والمراح : المرح . ويغوي : يضلّ ويجعله ينقاد للهوى . والوقور : الرزين الحليم .

(6) الجليل : العظيم القدر من الأشياء . والحقير : ضده .

(7) الفنن : الغصن . والسفير : أسافل الزرع ، وما سقط من ورق الشجر .

واللَّهوُ ، والعَبَثُ البَريءُ ، الحلُوُ ، مَطمحُنا الأَخِيرْ
ونَظَلّ نَقْفِزُ ، أو نُثَرْثِرُ ، أو نُغَنِّي ، أو نَدُورْ
لا نَسْأمُ اللَّهْوَ الجَمِيلَ ، ولَيْسَ يُدْرِكُنا الفُتُورْ[1]
فَكَأنَّنا نَحْيا بِأَعْصابٍ مِن المَرَحِ المُثِيرْ
وكَأنَّنا نَمْشِي بِأَقْدامٍ مُجَنَّحَةٍ تَطِيرْ
أَيَّامَ كُنَّا لُبَّ هذا الكَونِ ، والباقِي قُشُورْ[2]
أَيَّامَ تَفْرُشُ سُبْلَنا الدُّنيا بِأَوْراقِ الزُّهُورْ[3]
وتَمُرُّ أَيَّامُ الحَياةِ بِنا ، كَأَسْرابِ الطُّيورْ
بَيْضاءَ لاعِبَةً ، مُغَرِّدَةً مُجَنَّحَةً بِنُورْ
وتُرَفْرِفُ الأَفْراحُ فَوقَ رُؤُوسِنا أَنَّى نَسِيرْ

* * *

آهٍ ! تَوارَى فَجْرِيَ القُدُسِيُّ في لَيلِ الدُّهورْ[4]
وفَنِي ، كَما يَفْنَى النَّشِيدُ الحلْوُ في صَمْتِ الأَثيرْ[5]
أوّاهُ ، قَدْ ضَاعَتْ عَلَيَّ سَعادَةُ القَلْبِ الغَرِيرْ[6]
وبَقيتُ في وادِي الزَّمانِ الجَهْمِ أَدْأَبُ في المَسِيرْ[7]
وأَدوسُ أَشْواكَ الحَياةِ بِقَلْبِيَ الدَّامِي الكَسِيرْ[8]
وأَرَى الأَباطِيلَ الكَثِيرةَ ، والمَآثِمَ ، والشُّرورْ
وتَصادُمَ الأَهْواءِ بِالأَهْواءِ في كُلِّ الأُمُورْ

---

(1) نسأم : نَملّ . والفتور : الضعف .
(2) لب الشيء : جوهره وحقيقته .
(3) السبل : الطرق ، الواحد سبيل .
(4) توارى : اختفى .
(5) الأثير : الصبح .
(6) قلب غرير : لا تجربة له .
(7) أدأب : أجدّ .
(8) قلب كسير : مكسور .

ومَـذَلَّـةَ الـحَـقِّ الـضَّـعِـيـفِ ، وعِـزَّةَ الـظُّـلْـمِ الـقَـدِيـرْ !
وأَرَى ابْـنَ آدَمَ سـائِـراً فـي رِحْـلَـةِ الـعُـمُـرِ الـقَـصِـيـرْ
مـا بَـيْـنَ أَهْـوالِ الـوجُـودِ ، وتَـحْـتَ أَعْـبـاءِ الـضَّـمِـيـرْ
مُـتَـسَـلِّـقـاً جَـبَـلَ الـحَـيـاةِ الـوَعْـرِ ، كـالـشَّـيْـخِ الـضَّـرِيـرْ
دامِـي الأَكُـفِّ ، مُـمـزَّقَ الأَقْـدامِ ، مُـغْـبَـرَّ الـشُّـعـورْ
مُـتَـرَنِّـحَ الـخُـطُـواتِ مـا بَـيْـنَ الـمَـزالِـقِ والـصُّـخُـورْ[1]
هـالَـتْـهُ أَشْـبـاحُ الـظَّـلامِ ، وراعَـهُ صَـوتُ الـقُـبُـورْ[2]
ودَوِيُّ إِعْـصـارِ الأَسَـى ، والـمَـوْتُ ، فـي تِـلْـكَ الـوُعُـورْ

* * *

مـاذا جَـنَـيـتُ مِـنَ الـحَـيـاةِ ومِـنْ تَـجـارِيـبِ الـدُّهُـورْ
غَـيـرَ الـنَّـدامَـةِ والأَسَـى والـيَـأْسِ والـدَّمْـعِ الـغَـزِيـرْ ؟
هَـذا حَـصـادِي مِـنْ حـقـولِ الـعـالَـمِ الـرَّحْـبِ الـخَـطِـيـرْ
هَـذا حَـصـادِي كُـلُّـهُ ، فـي يَـقْـظَـةِ الـعَـهْـدِ الأَخِـيـرْ

* * *

قَـدْ كُـنـتُ فـي زَمَـنِ الـطُّـفـولَـةِ ، والـسَّـذاجَـةِ ، والـطُّـهـورْ
أَحْـيـا كَـمـا تَـحْـيـا الـبَـلابِـلُ ، والـجَـداوِلُ ، والـزُّهُـورْ
لا نَـحْـفِـلُ ، الـدُّنْـيـا تَـدُورُ بِـأَهْـلِـهـا ، أو لا تَـدُورْ[3]
والـيَـوْمَ أَحْـيـا مُـرْهَـقَ الأَعْـصـابِ ، مَـشْـبُـوبَ الـشُّـعـورْ[4]
مُـتـأَجِّـجَ الإِحْـسـاسِ ، أَحْـفِـلُ بـالـعَـظِـيـمِ ، وبـالـحَـقِـيـرْ
تَـمْـشِـي عـلى قَـلْـبِـي الـحَـيـاةُ ، ويـزحَـفُ الـكَـونُ الـكَـبِـيـرْ
هَـذا مَـصِـيـرِي ، يـا بَـنِـي أُمِّـي ، فَـمـا أَشْـقَـى الـمَـصِـيـرْ !

* * *

---

(1) المترنح : المتمايل من سكر ونحوه . والمزالق : جمع مزلق ، وهو الموضع لا تثبت عليه القدم .
(2) هالته : أخافته وأفزعته . وراعه : أفزعه .
(3) حفل بالأمر : بالى به واهتم .
(4) مشبوب الشعور : متوقد الشعور .

[36]

مأتم الحبّ

قال : (مجزوء الرمل)

لَيْتَ شِعْرِي !
أيُّ طَيْرٍ

يَسْمَعُ الأَحْزانَ تَبْكِي بَيْنَ أَعْماقِ القُلُوبْ
ثُمَّ لا يَهْتِفُ في الفَجْرِ ، بِرَنَّاتِ النَّحِيبْ[1]
بِخُشُوعٍ ، واكْتِئابْ ؟

* * *

لَسْتُ أدْرِي
أيُّ أمْرٍ

أَخْرَسَ العُصْفُورَ عَنِّي ، أَتُرَى مَاتَ الشُّعُورْ
في جَمِيعِ الكَوْنِ ، حَتَّى في حُشاشاتِ الطُّيُورْ ؟[2]
أَمْ بَكَى خَلْفَ السَّحابْ ؟

* * *

في الدَّياجِي[3]
كَمْ أُناجِي

مَسْمَعَ القَبْرِ ، بِغَصَّاتِ نَحِيبِي ، وشُجُونِي[4]
ثُمَّ أُصْغِي ، عَلَّنِي أَسْمَعُ تَرْدِيدَ أَنِينِي[5]

---

(1) الرنات : جمع رنّة ، وهي الصوت الحزين . والنحيب : البكاء .

(2) الحشاشات : جمع الحشاشة ، وهي بقية الروح ، ورمق الحياة .

(3) الدياجي : الظلمات .

(4) الشجون : جمع الشجن ، وهو الحزن .

(5) الأنين : صوت الألم .

فَـأرَى صَـوْتِي فَـرِيـدْ !

* * *

فَـــأُنـــادِي :

يـــا فُـــؤادِي

مـــاتَ مَـــنْ تَـــهْـــوَى ! وهَـــذا الـــلَّـــحْـــدُ قَـدْ ضَـمَّ الـحَـبِـيـبْ[1]

فَـابْـكِ يـا قَـلْـبُ بِـمـا فِـيْـكَ مِـنَ الـحُـزْنِ الـمُـذِيـبْ

إبِـكِ يا قَـلْـبُ ، وَحِـيـدْ !

* * *

ذُلَّ قَـلْـبِـي ،

مـاتَ حُـبِّـي !

فـأذْرِفِـي يـا مُـقْـلَـةَ الـلَّـيْـلِ ، الـدَّرارِي عَـبَـرات[2]

حَـــوْلَ حِـبِّـــي ، فَـهْـوَ قَـــدْ وَدَّعَ آفـــاقَ الـحَـيـاةْ[3]

بَـعْـدَ أَنْ ذاقَ الـلَّـهِـيـبْ

* * *

وانْـدُبِـيـهِ ،[4]

واغْـسِـلِـيـهِ ،

بِـــدُمُـــوعِ الـــفَـــجْـــرِ ، مِـــنْ أَكْـــوابِ زَهْـــرِ الـــزَّنْـبَـقِ

وادْفُـــنِـــيـــهِ بِـــجَـــلالٍ ، فـــي ضِـفـافِ الـــشَّـــفَـــقِ

لِـيَـرَى رُوحَ الـحَـبِـيـبْ

* * *

---

(1) تهوى : تحبّ وتعشق . واللحد : القبر .

(2) مقلة الليل : عينه . والدراري : الكواكب المضيئة ، الواحدة دريٌّ . والعبرات : الدموع .

(3) الحِبّ بكسر الحاء : المحبوب .

(4) اندبيه : ابكي عليه .

[37]

النَّجوى

قال : (مجزوء الرمل)

قِفْ قَلِيلاً ، أَيُّها السَّارِي الـقَـمَـرْ ! واصْـطَـبِـرْ[1]

يا سَـمِـيـرِي ، في أوَيْقاتِ الـكَـدَرْ والـضَّـجَـرْ[2]

واسْـقِـنِـي مِنْ جَـدْوَلِ النُّورِ البَدِيعْ قَـدَحـا

عَـلَّـنِـي أَفْـهَـمَ هَـيْـنُـومَ الـرَّبِـيـعْ إِنْ صَـحـا[3]

كَـمْ فُـؤادٍ إِذْ تَـوَلَّـتْـهُ الـشُّـجُـونْ والـهُـمُـومْ

بُـثَّ أَسْـلاكَـكَ ، والـدَّمْـعُ هَـتُـونْ مـا يَـرومْ[4]

إِنْ تَكُنْ تَضْحَكُ سُخْراً بِالبَشَرْ يـا قَـمَـرْ !

فَـلَـكَـمْ أَحْـزَنَـكَ الـدَّهْـرُ الـخَـطِـرْ بِـالـنُّـكُـرْ[5]

أَيُّها الـقـامُـوسُ يا صَوْتَ الـحَياةْ ! وصَـداهـا[6]

وأَغـانـيـهـا الـعِـذابَ الـشَّـادِيـاتْ ونَـداهـا

ما لأَمْـواجِـكَ يُـطْـغِـيـهـا الـغُـرُورْ فَـتَـثُـورْ

ثُـمَّ تَـأْوِي نَحْوَ هاتِيكَ الـصُّـخُـورْ كـالـكَـسِـيـرْ ؟

أَتُـراهـا تَـذْكُـرُ الأَمْـسَ الـجَـمِـيـلْ وسَـلامَـهْ

فَـتُـحَـيِّـي ذَلِـكَ الـمَـجْـدَ الـنَّـبِـيـلْ بِـابْـتِـسـامَـهْ

وتُـغَـنِّـي ، ثُـمَّ لا تَـلْـبَـثُ أَنْ تَـحْـتَـوِيـهـا

---

(1) الساري : الذي يسير ليلاً .

(2) السمير : المسامر الذي يشاركك في السّمر . وأويقات : تصغير أوقات . والكدر : الغمّ .

(3) هينوم الربيع : كلامه الخفي .

(4) بث : نشر وفرق . وعين هتون : تصب دمعها بغزارة .

(5) النكر : الأمر الشديد المنكر .

(6) القاموس : البحر العظيم .

لَـوْعَـةُ اليَـوْمِ ، فَـتَـبْـكِي وتَـئِـنُّ لِـــشَـــقـــاهـــا[1]

[38]

الصَّيحة

قال : (المجتث)

يـا قَـوْمُ ! عَـيْـنِـيَ شَـامَـتْ لِـلْـجَـهْـلِ فـي الـجَـوِّ نـارا[2]
تَـتْـلُـو سَـحـابـاً رُكـامـاً يَـتـلُـو قَـتـامـاً مُـثـارا[3]
يُـثِـيـرُ فـي الأَرْضِ رِيـحـاً يُـهِـيـجُ فِـيْـهـا غُـبـارا
تُـلْـفِـي الـشَّـدِيـدَ صَـرِيـعـاً ! تُـبْـقِـي الأَدِيـبَ حِـمـارا[4]
مِـنْـهـا الـفَـضـاءُ ظَـلامٌ ! والـنَّـاسُ مِـنْـهـا سُـكَـارَى
قَـــدْ أَوْرَثَـــتْـــهُـــمْ دُواراً وأَعْـقَـبَـتْـهُـمْ خُـمـارا[5]
لا يَـعْـرِفُ الـمَـرْءُ مِـنْـهـا لَـــيْـــلاً رَأَى أَمْ نَـــهـــارا
يَـخـالُ كُـلَّ خَـيـالٍ سَـرَى ، تَـسَـرْبَـلَ فـارا[6]

* * *

يـا قَـوْمُ سِـرتُـمْ حَـثِـيـثـاً خُـطًـى وَراءً ، كِـبـارا[7]
نَـبَـذْتُـمُ الـعِـلْـمَ نَـبْـذَ الـ ـنَّـوَى قِـلًـى ، وصَـغـارا[8]

---

(1) اللوعة : حرقة في القلب من همٍّ أو حزنٍ . وتئن : تتأوه .
(2) شامت : نظرت .
(3) تتلو : تتبع بنظرها . والركام : السحاب المجتمع بعضه فوق بعضٍ . والقتام : الغبار .
(4) تلفي : تجد ، وأراد تترك . والصريع : المصروع أرضاً .
(5) الخمار : ما يعقب شرب الخمر من صداع وأذى .
(6) يخال : يحسب . وسرى : سار ليلاً . وتسربل : لبس السربال .
(7) سير حثيث : سريع .
(8) نبذتم : ألقيتم وطرحتم . والنوى : نواة التمر . أراد ألقيتم وطرحتم العلم كطرحكم لنواة التمر . والقلى : البغض . والصغار : الذل والهوان .

لَبِسْتُمُ الجَهْلَ ثَوْباً ... تَخَذْتُمُوهُ شِعارا

يا قَوْمُ ما لِي أَراكُمْ ... قَطَنْتُمُ الجَهْلَ دارا ؟[1]

أَضَعْتُمُ مَجْدَ قَوْمٍ ... شادُوا الحَياةَ فَخارا[2]

أَبْقَوا سَماءَ المَعالِي ... بِما أَضاؤوا مَنارا

حاكُوا لَكُمْ ثَوْبَ عِزٍّ ... خَلَعْتُمُوهُ احْتِقارا[3]

ثُمَّ ارْتَدَيْتُمْ .... لَبُوسَ خِزيٍ ، وعَارا[4]

* * *

يا لَيْتَ قَوْمِي أَصاخوا ... لِما أَقُولُ جِهارا[5]

يا شِعْرُ ! أَسْمَعْتَ لَكِنْ ... قَوْمِي أَراهُمْ سُكارَى

فَلا تُبالِ إذا ما ... أَعْطَوْا نِداكَ ازْوِرارا[6]

واصْبِرْ على ما تُلاقِي ... واصْدَعْ ، وُقِيتَ العِثارا[7]

[39]

شكوى ضائعة

قال : (البسيط)

يا لَيلُ ! ما تصنعُ النَّفْسُ التي سَكَنَتْ ... هذا الوجُودَ ، ومِنْ أَعْدائِها القَدَرُ ؟

تَرْضَى وتَسْكُتُ ؟ هذا غَيرُ مُحْتَمَلٍ ! ... إذاً ، فَهلْ ترفُضُ الدُّنيا ، وتَنْتَحِرُ ؟

وذا جُنونٌ ، لَعَمْرِي ، كُلُّهُ جَزَعٌ ... باكٍ ، ورَأيٌ مَريضٌ ، كُلُّهُ خَوَرُ ![8]

---

(1) قطنتم : أقمتم وتوطنتم . والجهل دارا : أراد دار الجهل .

(2) شادوا : رفعوا وأعلوا .

(3) ثوب عزّ : أراد ثوب مجد وعزّ .

(4) الخزي : العار . وصدر البيت جاء ناقصاً .

(5) أصاخوا : أصغوا واستمعوا . وجهاراً : علانية .

(6) نداك ، أي : نداءك . والازورار : الميل والانحراف .

(7) العثار : السقوط والزلة .

(8) الجزع : ضعف النفس عن احتمال ما ينزل بها من مكروه . والخور : الضعف .

فإنَّما الـمَـوْتُ ضَرْبٌ من حَـبـائِـلِـهِ ... لا يُفلتُ الخلقُ ما عاشُوا فَما النَّظرُ ؟

هـذا هـو الـلّـغْـزُ ، عَـمَّـاهُ وعَـقَّـدَهُ ... على الخَليقَةِ ، وَحْشٌ فاتِكٌ حَذِرُ[1]

قَدْ كَبَّلَ الـقَـدَرُ الضَّارِي فَـرائِـسَـهُ ... فَما اسْتَطاعُوا لَهُ دفعاً ، ولا حزَروا[2]

وخاطَ أَعـيُـنَـهُـمْ ، كَي لا تُشاهِدَهُ ... عَـيـنٌ ، فَتعلمَ ما يَأتِي وما يَـذَرُ[3]

وحـاطَـهُـمْ بِـفـنُـونٍ مـن حَـبـائِـلِـهِ ... فَما لَـهُـمْ أبداً مِـنْ بَـطـشِـهِ وَزَرُ[4]

لا المَوْتُ يُنقِذُهُمْ من هَولِ صَـولَـتِـهِ ... ولا الحَياةُ تَساوَى النَّاسُ والحَجَرُ ![5]

حارَ المَساكِينُ ، وارْتاعُوا ، وأَعْجَزَهُم ... أن يحذَرُوه ، وهَلْ يُجديهِمُ الحَذَرُ[6]

وهُـمْ يَـعـيـشـونَ في دُنـيـا مُـشَـيَّـدةٍ ... مِنَ الخطُوبِ ، وكونٍ كُلُّه خَطرُ ؟[7]

وكَيفَ يحذرُ أعْمَى ، مُدْلِجٌ ، تَعِبٌ ... هولَ الظَّلامِ ، ولا عَزمٌ ولا بَصَرُ ؟[8]

قَدْ أَيْقَـنُـوا أنَّـهُ لا شَيءَ يُـنـقِـذُهُـمْ ... فاسْتَسْلَموا لِسُكُونِ الرُّعْبِ ، وانْتظرُوا

ولَـو رَأَوْهُ لَـسـارَتْ كَـي تُـحـارِبَـهُ ... مِنَ الـوَرَى زُمَـرٌ ، في إثْرِها زُمَـرُ[9]

وثَارتِ الـجِنّ ، والأَمْـلاكُ نَـاقِـمَـةٌ ... والبَحرُ ، والبَرُّ ، والأَفلاكُ ، والعُصرُ[10]

لَـكِـنَّـهُ قُـوَّةٌ تُـمـلِـي إرادَتَـهـا ... سِرًّا ، فَـنَـعْـنُو لَها قهراً ، ونَأتَمِرُ[11]

حَقيقَةٌ ، مُـرَّةٌ ، يا لَيلُ ، مُـبْـغَـضَـةٌ ... كالمَوتِ لَكِنْ إلَيْها الوِرْدُ والصَّدَرُ[12]

* * *

---

(1) عمّاه : أخفاه . ووحش فاتك : يفتك بالناس . والحديث عن الموت .

(2) الضاري من الوحش : المولع بأكل اللحم . على تشبيه القدر بوحشٍ ضارٍ .

(3) وما يذر ، أي : ما يدع ويترك .

(4) الحبائل : جمع الحبالة ، وهي المصيدة . والوزر : الملجأ يعتصم به .

(5) الهول : الفزع والرعب . والصولة : الوثبة .

(6) ارتاعوا : دخل قلوبهم الروع ، وهو الفزع . ويجديهم : ينفعهم .

(7) الخطوب : المصائب ، الواحد خطب .

(8) المدلج : السائر ليلاً . وهول الظلام : فزعه .

(9) الورى : الناس . والزمر : الجماعات ، الواحدة زمرة .

(10) العُصُر : الدهر .

(11) نعنو : نخضع ونذل .

(12) الورد في الأصل ورود الماء . والصدَر : الرجوع عن الماء . والحديث عن حقيقة الموت .

تَنهَّدَ اللَّيْلُ ، حَتَّى قُلتُ : قَدْ نُثِرَتْ ... تِلْكَ النُّجومُ ، وماتَ الجِنُّ والبَشَرُ

وعادَ للصَّمتِ .. ، يُصْغِي في كَآبَتِهِ ... كالفَيلسُوفِ إلى الدُّنيا ، ويفتَكرُ ..

وقَهْقَهَ القَدَرُ الجَبَّارُ ، سُخْرِيةً ... بالكائِناتِ تَضاحَكْ أيُّها القَدَرُ !

تَمشِي إلى العَدَمِ المَحتومِ ، باكِيةً ... طوائِفُ الخَلْقِ ، والأَشْكالُ والصُّورُ[1]

وأَنْتَ فَوقَ الأَسَى والمَوت ، مُبْتَسمٌ ... تَرْنُو إلى الكَونِ ، يُبْنَى ، ثُمَّ يندَثِرُ[2]

[40]

مناجاة عصفور

قال : (الكامل)

يا أيُّها الشَّادِي المُغَرِّدُ هَهُنا ... ثَمِلاً بِغِبْطَةِ قَلْبِهِ المَسْرُورِ[3]

مُتَنقِّلاً بَيْنَ الخَمائِلِ ، تالِياً ... وَحْيَ الرَّبِيعِ السَّاحِرِ المَسْحُورِ[4]

غَرِّدْ ، ففي تِلْكَ السُّهولِ زَنابِقٌ ... تَرْنُو إلَيكَ بِناظِرٍ مَنْظُورِ

غَرِّدْ ، فَفي قَلْبِي إلَيكَ مَوَدَّةٌ ... لَكِنْ مَوَدَّةُ طَائِرٍ مَأْسُورِ[5]

هَجَرَتْهُ أَسْرابُ الحَمائِمِ ، وانْبَرَتْ ... لِعَذابِهِ جِنِّيَةُ الدَّيْجُورِ ...[6]

غَرِّدْ ، ولا تَرْهَبْ يَمِينِي ، إنَّنِي ... مِثْلُ الطُّيورِ بِمُهْجَتِي وضَمِيرِي[7]

لَكِنْ لَقَدْ هاضَ التُّرابُ مَلامِعِي ... فَلَبِثْتُ مِثْلَ البُلبلِ المَكْسُورِ[8]

---

(1) العدم : الموت . ضد الوجود .

(2) ترنو : تديم النظر في سكون طرف . ويندثر : يفنى ويزول .

(3) الشادي : المغني . والثمل : السكران . والغبطة : المسرّة .

(4) الخمائل : جمع الخميلة ، وهي الشجر الكثيف الملتف . وتالياً وحي الربيع ، أي : يتلو وحي الربيع.

(5) المودة : المحبة .

(6) الديجور : الظلام .

(7) لا ترهبْ: لا تخفْ. والمهجة: الروح

(8) الملامع : جمع المِلمع ، وهو الجناح . وهاض التراب ملامعي ، أي : أصابها مرة بعد مرة .

أشدُو بِرنَّاتِ النِّياحَةِ والأَسَى ... مَشبوبَةً بِعَواطِفِي وشُعُورِي[1]

غَرِّدْ ، ولا تَحْفَل بِقَلْبِي ، إنَّهُ ... كالمِعْزَفِ المُتَحَطِّمِ المَهْجُورِ[2]

* * *

رَتِّلْ على سَمْعِ الرَّبِيعِ نَشِيدَهُ ... واصْدَحْ بِفَيْضِ فُؤادك المَسْجُورِ[3]

وانْشِدْ أَناشِيدَ الجَمالِ ، فَإنَّها ... رُوحُ الوُجُودِ ، وسَلْوَةُ المَقْهُورِ

أنا طَائِرٌ ، مُتَغَرِّدٌ ، مُتَرنِّمٌ ... لَكِنْ بِصَوْتِ كَآبَتِي وزَفِيرِي[4]

يَهْتاجُنِي صَوتُ الطُّيورِ ، لأنَّهُ ... مُتَدفِّقٌ بِحَرارَةٍ وطَهُورِ[5]

ما في وُجودِ النَّاسِ مِنْ شَيءٍ بِهِ ... يَرْضَى فُؤادِي أو يُسَرُّ ضَمِيرِي

فإذا اسْتَمَعْتُ حَديثهم أَلْفَيْتُهُ ... غَثًّا ، يَفِيضُ بِرِكَّةٍ وفُتُورِ[6]

وإذا حَضَرْتُ جُمُوعَهُمْ أَلْفَيتَنِي ... ما بَيْنَهمْ كالبُلبُلِ المَأسُورِ[7]

مُتوحِّداً بِعواطِفِي ، ومَشاعِرِي ، ... وخَواطِرِي ، وكَآبَتِي ، وسُرُورِي

يَنْتابُنِي حَرَجُ الحَياةِ كَأَنَّنِي ... مِنْهمْ بِوَهْدَةِ جَنْدلٍ وصُخُورِ[8]

فإذا سَكَتُّ تَضجَّروا ، وإذا نَطَقْتُ ... تذمَّروا مِنْ فِكْرَتِي وشُعورِي

آهٍ مِنَ النَّاسِ الذين بَلَوْتُهُمْ ... فَقَلَوْتُهُمْ في وحشتِي وحُبُورِي ![9]

ما مِنْهُمُ إلاَّ خَبِيثٌ غادِرٌ ... مُتربِّصٌ بِالنَّاسِ شَرَّ مَصِيرِ[10]

---

(1) أشدو : أغني . والرنات : جمع الرنة ، وهي الصوت الحزين عند الغناء . ومشبوبة : متقدة .

(2) المعزف : آلة الموسيقا التي يضرب بها كالعود .... والمتحطم : المتكسّر .

(3) رتل : من الترتيل ، وهو الترسل والتأني في القراءة . وأراد غنِ بتمهلٍ . والمسجور : المملوء بالحسرة .

(4) المترنم : المتطرّب . والكآبة : الغمّ وسوء الحال .

(5) يهتاجني : يهيجني ويثيرني .

(6) حديث غثٌّ : رديءٌ فاسد . والركة : الضعف .

(7) ألفيتني : وجدتني . والبلبل : نوع من الطيور المغردة .

(8) ينتابني : يصيبني . والوهدة : الهوة والحفرة في الأرض . والجندل : الصخر .

(9) قلوتهم : أبغضتهم . والحبور : السرور والسعادة .

(10) المتربص : المنتظر المتلبث .

ويَـودُّ لَـو مَـلَـكَ الـوُجُـودَ بِـأَسْـرِهِ ورَمَى الورَى في جاحِمٍ مَسْجُورِ[1]

لِـيَـبُـلَّ غُـلَّـتَـهُ الـتـي لا تَـرْتَـوِي ويَكُظُّ نَـهْـمَـةَ قَـلْـبِـهِ الـمَـغْـفُـورِ[2]

وإذا دخـلـتُ إلى الـبـلادِ فَـإنَّ أَفْـ ـكاري تُرَفْرِفُ في سُفوحِ الطُّورِ[3]

حَـيْـثُ الـطَّـبِـيـعَـةُ حُـلْـوةٌ فَـتَّـانَـةٌ تَـخْـتـالُ بَـيْـنَ تَـبَـرُّجٍ وسُـفُـورِ[4]

مـاذا أَوَدُّ مِنَ الـمَـدِيـنَـةِ ، وَهْيَ غـا رِقَـةٌ بِـمـوّارِ الـدَّمِ الـمَـهـدُورِ ؟

ماذا أَوَدُّ مِـنَ الـمَـدِيـنَـةِ ، وَهْـيَ لا تَرْثِي لِصَوتِ تَفَجُّعِ الـمَـوْتُـورِ ؟[5]

ماذا أَوَدُّ مِـنَ الـمَـدِيـنَـةِ ، وَهْـيَ لا تَـعْـنُـو لِـغَـيـرِ الظَّالِمِ الـشِّـرِّيـرِ ؟[6]

ماذا أَوَدُّ مِنَ الـمَـدِيـنَـةِ ، وَهْـيَ مُـر تـادٌ لِـكُـلِّ دَعـارَةٍ وفُـجُـورِ ؟[7]

يا أَيُّـهـا الـشَّـادِي الـمُـغَـرِّدُ هَـهُـنـا ثَـمِلاً بِغبطَةِ قَـلْـبِـهِ الـمَـسْـرُورِ ![8]

قَـبِّـلْ أَزاهِـيـرَ الـرَّبِـيـعِ ، وغَـنِّـهـا رَنَمَ الصَّباحِ الضَّاحِكِ الـمَحْبُورِ[9]

واشْرَبْ مِنَ النَّبعِ ، الجَمِيلِ ، المُلتوِي مـا بَـيْـنَ دَوْحِ صَـنَـوبَـرٍ وغَـدِيـرِ[10]

واتْـرُكْ دُمُـوعَ الـفَـجْـرِ في أَوْراقِـهـا حَتَّى تُـرَشِّـفَـهـا عَرُوسُ الـنُّـورِ[11]

فَـلَـرُبَّـمـا كَـانَـتْ أَنِـيـنـاً صـاعِـداً في اللَّيْـلِ مِنْ مُـتَـوجِّـعٍ ، مَـقْـهُـورِ

ذَرَفَـتْـهُ أَجْـفـانُ الـصَّـبـاحِ مَـدامِـعـاً أَلاَّقَـةً ، في دَوْحَـةٍ وزُهـورِ ...[12]

---

(1) الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال . والمسجور : المملوء بالنار .

(2) الغلة : شدة العطش . ويكظ : يملأ . والنهمة : الشهوة .

(3) الطور : الجبل .

(4) تختال : تتمايل في مشيتها . وتبرج المرأة : إظهار زينتها ومحاسنها .

(5) الموتور : الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

(6) تعنو : تذلّ وتخضع .

(7) الدعارة : الفسق والخبث والفجور .

(8) الشادي : المغني . والثمل : السكران . والغبطة : الفرح والسرور .

(9) رنم الصباح : غناء الصباح . والمحبور : الفرح المسرور .

(10) الدوح : الشجر العظيم الممتد الفروع ، واحدته دوحة .

(11) عروس النور : أراد الشمس .

(12) ذرفته : سكبته . وألاّقة : برّاقة .

[41]

يا موت

هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات ، وشظية من شظايا هذا القلب المحطَّم على صخور الحياة ، قلتها في أيام الأسَى التي تلت نكبتي بوفاة الوالد ، رَحمهُ اللّه : (مجزوء الكامل)

يـا مَـوْتُ ! قَـدْ مَـزَّقْتَ صَدْرِي وقَصَمْت بالأرزاءِ ظَهْـرِي[1]
ورَمَـيْـتَـنِـي مِـنْ حَـالِـقٍ ، وسَـخِـرتَ مِـنِّـي أَيَّ سُـخْـرِ[2]
فَـلَـبِـثْـتُ مَـرضـوضَ الـفُـؤادِ أَجُـرُّ أَجْـنِـحـتِـي بِـذُعْـرِ ...[3]
وقَـسَـوْتَ إذْ أَبْـقَـيْـتَـنِـي فـي الـكَـوْنِ أَذْرَعُ كُـلَّ وَعْـرِ[4]
وفَـجَـعْـتَـنِـي فِـيـمَـنْ أُحِـبُّ ، ومَـنْ إلَـيْـهِ أَبُـثُّ سِـرِّي[5]
وأَعُـدُّهُ ، فَـجْـرِي الـجَـمِـيـلَ ، إذا ادْلَـهَـمَّ عَـلَـيَّ دَهْـرِي[6]
وأَعُـدُّهُ ، وَرْدِي ومِـزْمَـارِي ، وكَـاسَـاتِـي ، وخَـمْـرِي
وأَعُـدُّهُ ، غَـابِـي ، ومِـحْـرابِـي ، وأُغْـنِـيَـتِـي ، وفَـجْـرِي ...[7]
ورَزَأْتَـنِـي فـي عُـمْـدَتِـي ، ومَـشُـورَتِـي فـي كُـلِّ أَمـرِ[8]
وهَـدَمْـتَ صـرْحـاً ، لا أَلُـوذُ بِـغَـيـرِهِ ، وهَـتَـكْـتَ سِـتْـرِي[9]

---

(1) قصم ظهره : كسره ، وأراد بالمصائب . والأرزاء : المصائب ، الواحد رزء .

(2) الحالق : الجبل المرتفع .

(3) مرضوض الفؤاد : محطم الفؤاد .

(4) أذرع : أقيس . والوعر : المكان الصعب الصلب .

(5) فجعتني : أوجعتني وآلمتني . وأبثه سري : أبوح إليه بسري .

(6) ادلهم دهري : اشتد سواده .

(7) المحراب : مقام الإمام في المسجد . وأراد مكان عبادتي .

(8) رزأتني: أصبتني بمصيبة . والعمدة : ما يعتمد عليه . وأراد سنده .

(9) الصرح : البناء العالي . وألوذ : ألجأ . وهتك الستر : قطعه وأزاله عن موضعه .

فَفَقَدْتُ رُوحاً ، طاهِراً ، شَهْماً ، يَجِيشُ بِكُلِّ خَيرِ
وفَقَدْتُ قَلْباً ، هَمُّهُ أَن يَستَوِي في الأُفْقِ بدْرِي
وفَقَدتُ كفًّا ، في الحَياةِ يَصُدُّ عَنِّي كُلَّ شَرٍّ[1]
وفَقَدْتُ وَجهاً ، لا يُعَبِّسُهُ سِوَى حَزَنِي وضُرِّي[2]
وفَقَدْتُ نَفْساً ، لا تَنِي عَن صوْن أَفْراحِي وبِشْرِي[3]
وفَقَدْتُ رُكْنِي في الحَياةِ ، ورايَتِي ، وعمادَ قصرِي[4]

* * *

يا مَوتُ ! قَدْ مَزَّقْتَ صَدْرِي وقَصَمْتَ بِالأَرْزاءِ ظَهرِي
يا مَوتُ ! ماذا تَبْتَغِي مِنِّي وقَدْ مزَّقتَ صَدْرِي ؟
ماذا تَوَدُّ ، وأَنْتَ قَدْ سَوَّدتَ بِالأَحْزانِ فِكْرِي
وتَرَكْتَنِي في الكائِناتِ أَئِنُّ ، مُنفرِداً بِإصْرِي[5]
وأَجوبُ صَحْراءَ الحَياةِ ، أَقُولُ : أَيْنَ تُراهُ قَبْرِي ؟[6]
ماذا تَوَدُّ من المُعَذّبِ في الوُجُودِ بِغَيْرِ وِزْرِ ؟[7]
ماذا تَوَدُّ مِن الشَّقِيِّ بِعَيشِهِ النَّكِدِ ، المُضِرّ ؟[8]
إنْ كُنْتَ تَطلُبُنِي فَهاتِ الكَأْسَ ، أَشْرَبُها بِصَبْرِ
أو كُنْتَ تَرقُبُنِي فَهاتِ السَّهْمَ ، أَرشُقُهُ بِنَحْرِي[9]
خُذنِي إلَيكَ ، فَقَدْ تبخَّرَ في فضاءِ الهَمِّ عُمرِي

---

(1) يصدّ : يدفع .
(2) يعبسه : يقطبه . والضرّ : سوء الحال .
(3) لا تني : لا تتأخر . والصون : الحفظ . والبشر : الفرح .
(4) الركن من كل شيء : جانبه القوي الذي يستند إليه ويقوم به .
(5) أنّ : توجع . والإصر : الذنب .
(6) أجوب صحراء الحياة : أقطعها وأجتازها .
(7) الوزر : الذنب والإثم .
(8) عيش نكد : عسر شديد .
(9) أرشقه : أرميه بنحري . والنحر : أعلى الصدر .

وتَـهَـدَّلَـتْ أَغْـصـانُ أَيَّـامِـي ، بِـلا ثَـمَـرٍ وزَهْـرِ[1]
وتَـنـاثَـرَتْ أَوْراقُ أَحْـلامِـي عـلـى حَـسَـكِ الـمَـمَـرِّ[2]
خُـذنِـي إلَـيـكَ ! فَـقَـدْ ظَـمِـئْـتُ لِـكـأسِـكَ الـكَـدِر ، الأَمـرِّ[3]
خُـذنِـي فَـقَـدْ أَصْـبَـحْـتُ أَرقُـبُ فـي فَـضـاكَ الـجـوْنِ فَـجْـرِي[4]
خُـذنِـي ، فَـمـا أَشْـقَـى الـذي يَـقْـضِـي الـحَـيـاةَ بِـمِـثْـلِ أَمْـرِي

* * *

يـا مَـوتُ ! قَـدْ مَـزَّقْـتَ صَـدْرِي وقَـصَـمْـتَ بِـالأَرْزاءِ ظَـهْـرِي
يـا مَـوتُ ! قَـدْ شَـاعَ الـفُـؤادُ ، وأَقْـفَـرَتْ عَـرَصـاتُ صَـدْرِي[5]
وغَـدَوْتُ أَمْـشِـي مُـطْـرِقـاً مِـنْ طُـولِ مـا أَثْـقَـلْـتَ فِـكْـرِي
يـا مَـوتُ ! نَـفْـسِـي مـلَّـتِ الـدُّنـيـا ، فَـهَـلْ لَـمْ يَـأْتِ دوْرِي ؟

[42]

شِعْري

قال : (المجتث)

شِـعْـرِي نُـفـاثَـةُ صَـدْرِي إنْ جـاشَ فِـيْـهِ شُـعـورِي[6]
لَـولاهُ مـا انْـجـابَ عَـنِّـي غَـيْـمُ الـحَـيـاةِ الـخَـطِـيـرِ[7]
ولا وَجَـدتُ اكْـتِـئـابِـي ولا وَجَـدْتُ سُـرورِي
بِـهِ تَـرانِـي حَـزِيـنـاً أَبْـكِـي بِـدَمْـعٍ غَـزِيـرِ

---

(1) تهدلت : استرخت وتدلت .

(2) الحسك : نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل .

(3) كأسك الكدر الأمرّ : أراد كأس الموت .

(4) الجون : الأسود .

(5) العرصات : جمع العرصة ، وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء .

(6) النفاثة : ما تنفثه من فمك . وجاش : غلى واضطرب .

(7) انجاب : انقشع وانكشف .

بِـــهِ تَـــرانِـــي طَـــرُوبـــاً أَجُـــرُّ ذَيـــلَ حُـــبُـــورِي

* * *

لا أَنْـظُـمُ الـشِّـعْـرَ أَرْجُـو بِـــهِ رِضَـــاءَ الأَمِـــيـــرِ
بِـــمِـــدْحَـــةٍ أَو رثـــاءٍ تُـــهْـــدَى لِـــرَبِّ الـــسَّـــرِيـــرِ[1]
حَـسْـبِـي إذا قُـلـتُ شِـعْـراً أَن يَـرْتَـضِـيْـهِ ضَـمِـيـرِي
مـا الـشِّـعْـرُ إلاَّ فَـضـاءٌ يَـــرِفُّ فِـيْـــهِ مَـقـالِـي
فِـيْـمـا يَـسُـرُّ بِـلادِي ومـا يَـسُـرُّ الـمَـعَـالِـي
ومـا يُـثِـيـرُ شُـعـورِي مِـنْ خـافِـقـاتِ خَـيـالِـي

* * *

لا أَقْـرُضُ الـشِّـعْـرَ أَبْـغِـي بِـــهِ اقْـتِـنـاصَ نَـــوالِ[2]
الـشِّـعْـرُ إنْ لَـمْ يَـكُـنْ فـي جـمـالِـهِ ذا جَـــلالِ
فَـإنَّـمـا هُـوَ طَـيْـفٌ يَـسْـعَـى بِـوادِي الـظِّـلالِ
يَـقْـضِـي الـحَـيـاةَ طَـرِيـداً فـي ذِلَّـةٍ ، واعْـتِـزالِ[3]

* * *

يـا شِـعْـرُ ! أَنْـتَ مَـلاكِـي وطَـارِفِـي ، وتِـلادِي[4]
أنـا إلَـيـكَ مُـرادٌ وأَنْـتَ نِـعْـمَ مُـرادِي[5]
قِـفْ ، لا تَـدَعْـنِـي وَحِـيداً ولا أَدعْـكَ تُـنـادِي
فَـهَـلْ وجـدتَ حُـسـامـاً يُـنـاطُ دُونَ نِـجـادِ[6]

* * *

---

(1) السرير : الملك والنعمة .

(2) أقرض الشعر : أقوله وأنظمه . والنوال : العطاء .

(3) الطريد : المطرود . والذلة : الهوان والضعف .

(4) الطارف : المال الحديث . والتلاد : المال القديم الموروث .

(5) المراد : القصد والغاية .

(6) الحسام : السيف القاطع . ويناط : يعلق . ونجاد السيف : حمالته .

كَـمْ حَـطَّـمَ الـدَّهْـرُ ذا هِـمَّـةٍ كَـثِـيـرَ الـرَّمـادِ[1]
أَلْـقَـاهُ تَـحْـتَ نِـعَـالٍ مِـن ذِلَّـةٍ وحِـدادِ[2]
رِفْـقـاً بِـأَهْـلِ بِـلادِي ! يـا مَـنْـجَـنُـونَ الـعَـوادِي ![3]

[43]

فكرة الفنّان

قال : (الكامل)

عِشْ بِالشُّعورِ ، وللشُّعورِ ، فَإنَّما دُنْيـاكَ كـونُ عَـواطِـفٍ وشُـعـورِ
شِيدَتْ على العَطْفِ العَميقِ ، وإنَّها لَتَجِفُّ لَو شِيدَتْ على التَّفْكِيرِ
وتَظَلُّ جامِدَةَ الجَمالِ ، كَئِيبَةً كالهَيكلِ ، المُتهَدِّم ، المَهجُورِ
وتَظَلُّ قاسِيَةَ المَلامِحِ ، جَهْمَةً كالمَوْتِ ، مُقْفِرَةً ، بِغَيرِ سُرورِ[4]
لا الحُبُّ يرقُصُ فَوقها مُتَغنِّياً لِلنَّاسِ ، بَيْنَ جَداوِلٍ وزُهُورِ
مُتَوَرِّدَ الوجَناتِ سَكْرانَ الخُطَى يَهْتزُّ من مَرَحٍ ، وفَرْطِ حُبورِ[5]
مُتَكَلِّلاً بِالوَرْدِ ، ينثرُ لِلوَرَى أَوْراقَ وردِ اللَّذة المنضُورِ[6]
كلاَّ ! ولا الفَنُّ الجَمِيلُ بِظاهِرٍ في الكَونِ تَحْتَ غَمامَةٍ من نُورِ[7]
متوشِّحاً بِالسِّحْرِ ، ينفُخُ نايَهُ المَشبُوبَ بَيْنَ خَمائِلٍ وغَدِيرِ[8]
أو يلمسُ العودَ المُقدَّسَ ، واصِفاً لِلمَوْتِ ، لِلأيَّامِ ، لِلدَّيجورِ[9]

---

(1) الهمة : العزم القوي . وقوله : كثير الرماد : كناية عن الكرم .
(2) الحداد : ثياب المأتم .
(3) المنجنون : الدولاب الذي يستقى عليه . وعوادي الدهر : نوائبه ومصائبه .
(4) الجهمة : العابسة . والمقفرة : الخالية .
(5) يهتز : يتمايل منتشياً . والحبور : السرور .
(6) المنضور : النضر الندي .
(7) الغمامة : السحابة .
(8) الخمائل : جمع الخميلة ، وهي الشجر الكثيف الملتف . والمشبوب : المشتعل .
(9) الديجور : الظلام .

ما في الحَياةِ من المَسرَّةِ ، والأَسَى ... والسِّحْر ، واللَّذاتِ ، والتَّغرِيرِ[1]

أَبداً ولا الأَملُ المُجنَّحُ مُنْشِداً ... فِيْها بِصَوتِ الحالِمِ ، المَحْبُورِ

تِلْكَ الأَناشِيدُ التي تَهَبُ الوَرَى ... عزْمَ الشَّبابِ ، وغِبْطَةَ العُصْفورِ[2]

واجْعَلْ شُعُورَكَ ، في الطَّبِيعَةِ قائِداً ... فَهْوَ الخَبِيرُ بِتِيهِها المَسْحُورِ[3]

صَحِبَ الحَياةَ صَغِيرةً ، ومَشَى بِها ... بَيْنَ الجَماجِمِ ، والدَّمِ المَهْدُورِ

وعَدا بِها فَوقَ الشَّواهِقِ ، باسِماً ... مُتَغنِّياً ، مِنْ أَعْصُرٍ ودُهُورِ

والعَقلُ ، رغْمَ مَشِيبِهِ ووقارِه ، ... ما زالَ في الأَيَّامِ جِدَّ صَغِيرِ

يَمْشِي فَتَصْرَعُهُ الرِّياحُ ، فَيَنْثَنِي ... مُتَوَجِّعاً ، كالطَّائِرِ المَكْسُورِ

ويَظلُّ يَسْأَلُ نَفْسه ، مُتَفَلْسِفاً ... مُتَنَطِّساً ، في خِفَّةٍ وغُرُورِ[4]

عَمَّا تُحجِّبُهُ الكَواكِبُ خَلفَها ... مِنْ سِرِّ هذا العالَمِ المَسْتُورِ

وهو المهشَّمُ بِالعَواصِفِ ... يا لَهُ ... من ساذَجٍ ، مُتَفَلْسِفٍ ، مَغرُورِ ![5]

* * *

وافتحْ فُؤادكَ لِلوُجُودِ ، وخَلِّهِ ... لِليَمِّ ، لِلأَمْواجِ ، لِلدّيجُورِ[6]

لِلثَّلجِ تَنثُرُهُ الزَّوابِعُ ، لِلأَسَى ... لِلهَوْلِ ، لِلآلامِ ، لِلمَقدُورِ

واتْركْهُ يقتحِمُ العَواصِفَ ، هائِماً ... في أُفْقِها ، المتلبِّدِ ، المقرُورِ[7]

ويَخوضُ أَحْشاءَ الوُجُودِ ، مُغامِراً ... في لَيلِها ، المُتَهيِّبِ ، المحذُورِ[8]

حَتَّى تُعانِقَهُ الحَياةُ ، ويَرْتَوِي ... مِنْ ثَغْرِها المُتَأَجِّجِ المَسْجُورِ[9]

---

(1) التغرير : التعرض للهلكة .

(2) الغبطة : المسرّة وحُسن الحال .

(3) التيه : الأرض الواسعة لا علامة فيها يهتدى بها .

(4) المتنطس : المدقق في الأمور المستقصي علمها .

(5) المهشّم : المحطم المكسور .

(6) اليم : البحر ، أو النهر العظيم . والديجور : الظلام .

(7) الهائم : السائر على غير هدى . والمقرور : البارد .

(8) المتهيب : المخيف .

(9) المتأجج : الملتهب المشتعل .

فَتَعِيشَ في الدُّنيا بِقَلبٍ زاخِرٍ يقظِ المَشاعِرِ ، حالِمٍ ، مَسحُورِ[1]

في نَشْوَةٍ ، صُوفِيَّةٍ قُدُسِيَّةٍ هي خَيرُ ما في العالَمِ المَنظُورِ

* * *

(1) قلب زاخر : مَلِيءٌ يزخر بالمشاعر .

قافية السِّين

[44]

نظرة في الحياة

قال : (المجتث)

إنَّ الحَياةَ صِراعٌ ... فِيْها الضَّعِيفُ يُداسُ[1]

ما فَازَ في ماضِغَيْها ... إلاَّ شَدِيدُ المِراسِ[2]

للخِبِّ فِيْها شُجونٌ ... فَكُنْ فَتَى الاحْتِراسِ[3]

الكَونُ كَونُ شَقاءٍ ... الكَونُ كَونُ الْتِباسِ[4]

الكَونُ كَونُ اخْتِلاقٍ ... وضَجَّةٍ واخْتِلاسِ[5]

سِيَّانِ عِنْدِيَ فِيْهِ ... السُّرُورُ ، والابْتِئاسِ[6]

* * *

بَيْنَ النَّوائِبِ بَوْنٌ ... لِلنَّاسِ فِيْهِ مَزايا[7]

البَعْضُ لَمْ يَدْرِ إلاَّ ... البِلَى يُنادِي البَلايا[8]

والبَعْضُ ما ذاقَ مِنْها ... سِوَى حَقِيرِ الرَّزايا[9]

---

(1) يداس : يوطأ بالنعال .

(2) الماضغان : الحنكان لمضغهما المأكول . والمراس : القوة على ممارسة الأمور .

(3) الخبّ : الخداع والمكر . والاحتراس : التوقّي والحذر .

(4) الالتباس : الاختلاط وعدم الوضوح .

(5) الاختلاق : الافتراء . والاختلاس : الاستلاب في مخاتلة .

(6) الابتئاس : البؤس والشقاء .

(7) النوائب : المصائب ، الواحدة نائبة . والبون : البعد . والمزايا : جمع مزيّة .

(8) البلى : الفناء والقدم . والبلايا : المصائب ، الواحدة بلية .

(9) الرزايا : المصائب والبلايا ، الواحدة رزيّة .

إنَّ الحَياةَ سُباتٌ سَيَنْقَضِي بالمَنايا[1]
وما الرُّؤى فِيْهِ إلاَّ آمالُنا ، والخَطايا[2]
فَإنْ تَيَقَّظَ كَانَتْ بَيْنَ الجُفُونِ بَقايا

* * *

إنَّ السَّكِينَةَ رُوحٌ في اللَّيْلِ لَيْسَتْ تُضامْ[3]
والرُّوحُ شُعْلَةُ نُورٍ مِنْ فَوْقِ كُلِّ نِظامْ
لا تَنْطَفِي بِرِياحِ الإرْهاقِ أو بِالحُسامْ[4]
بَلْ قَدْ يَعُجُّ لَظاها سَيْلاً ، ويطغَى الضِّرامْ[5]
كُلُّ البَلايا ... جَمِيعاً تَفْنَى ويَحْيا السَّلامْ !
والذُّلُّ سُبَّةُ عارٍ لا يَرْتَضِيهِ الكِرامْ ![6]

* * *

الفَجْرُ يَسْطَعُ بَعْدَ الـ ـدُّجَى ، ويَأْتِي الضِّياءْ
ويرقُدُ اللَّيْلُ قَسْراً على مِهادِ العَفاءْ[7]
ولِلشُّعوبِ حَياةٌ حِيْناً وحِيْناً فناءْ[8]
واليَأْسُ مَوْتٌ ولَكِنْ مَوْتٌ يُثِيرُ الشَّقاءْ
والجِدُّ للشَّعْبِ رُوحٌ تُوحِي إلَيْهِ الهَناءْ[9]

---

(1) السبات : النوم العميق . والمنايا : جمع المنية ، وهي الموت .

(2) الرؤى : جمع الرؤيا ، وهي الأحلام . والخطايا : جمع خطية .

(3) السكينة : الهدوء وطمأنينة القلب وخشوعه . وتضام : تظلم وتقهر .

(4) الإرهاق : تحمل الإنسان ما لا يطيق . والحسام : السيف القاطع .

(5) عجت الريح : اشتدت فأثارت الغبار . واللظى : اللهيب ، وأراد لهيب الرياح وغبارها . والضرام: الاشتعال .

(6) السبة : العار .

(7) قسراً : قهراً . والمهاد : الأرض المنخفضة المستوية . والعفاء : الزوال والهلاك والفناء .

(8) الفناء : الزوال .

(9) الجد : الاجتهاد في الأمر والعزم عليه .

فَـــإنْ تَـــوَلَّـــتْ تَـــصَـــدَّتْ حَـــيـــاتُـــهُ لِـلـبَـــلاءْ[1]

[45]

شكوى اليتيم

قال : (المتقارب)

على سَاحِلِ البَحْرِ ، أَنَّى يضجُّ صُراخُ الصَّباحِ ونَوْحُ المَسا
تنهَّدتُ من مُهْجَةٍ، أتْرِعَتْ بِدَمْعِ الشَّقاءِ وشَوْكِ الأَسَى[2]

فَضاعَ التَّنهُّدُ في الضَّجَّةِ
بِما في ثَناياهُ مِنْ لَوْعَةِ[3]
فَسِرتُ ونادَيتُ : يا أُمُّ ! هَيَّا
إلَيَّ ! فَقَدْ سَئِمتنِي الحَياة

وجِئْتُ إلى الغابِ ، أَسْكُبُ أَوْجا عَ قَلْبِي نَحِيباً ، كَلَفْحِ اللَّهيبْ[4]
نَحِيباً تَدافَعَ في مُهْجَتِي ، وسَالَ يَرُنُّ بِنَدْبِ القُلُوبْ

فَلَمْ يَفْهمِ الغابُ أَشْجانَهُ
وظَلَّ يُرَدِّدُ أَلْحانَهُ
فَسِرْتُ ونادَيتُ : يا أُمُّ هَيَّا
إلَيَّ ! فَقَدْ عَذَّبتنِي الحَياةْ

وقُمتُ على النَّهرِ ، أُهْرِقُ دَمْعاً تَفجَّرَ من فيضِ حُزْنِي الأَلِيمْ[5]
يَسِيرُ بِصَمْتٍ على وَجْنَتَيّ ويَلمعُ مِثْلُ دُمُوعِ الجَحِيمْ

---

(1) تولّت : زالت . وتصدت : تعرضت . والبلاء : الفناء .

(2) تنهد : أخرج النفس حُزناً . والمهجة : الروح والفؤاد . وأُترعت : مُلئت .

(3) اللوعة : الحرقة والأسى .

(4) لفح اللهيب : حرقته ووهجه .

(5) أهرق الدمع : أسكبه .

فَما خَفَّفَ النَّهرُ مِنْ عدْوِهِ[1]
ولا سَكَتَ النَّهْرُ عن شدْوِهِ[2]
فَسِرتُ ونادَيتُ : يا أُمُّ ! هيَّا
إلَيَّ ! فَقَدْ أَضْجرتنِي الحَياةْ
ولَمَّا ندبتُ ولَمْ ينفعِ[3]
ونادَيْتُ أُمِّي فَلَمْ تسمعِ
رَجَعْتُ بِحزنِي إلى وحْدَتِي
وردَّدْتُ نَوحِي على مِسمَعِي[4]
وعانَقْتُ فِي وحْدَتِي لَوْعَتِي
وقُلتُ لِنفسِي ألاَ فَاسْكُتِي !

[46]

من أغاني الرّعاة

حلّ الشّاعر صيفاً بعين دراهم «من الشّمال التونسي» مستشفياً ، وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفّة الهائلة ، والجبال الشمّ المجلّلة بالسّنديان قضى عهداً شعريًّا ، وادعاً ، خالصاً للشّعر ، والسّحر والأحلام .

وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال والأودية والغابات : (بمجزوء الرمل)

أَقْبَلَ الصُّبْحُ يُغَنِّي لِلحَياةِ النَّاعِسَهْ
والرُّبَى تحلمُ في ظِلِّ الغُصُونِ المائِسَهْ[5]

---

(1) عدوه : جريه السريع .
(2) شدوه : غنائه ، وأراد صوت حرير مائه .
(3) ندبت : بكيت .
(4) النوح : البكاء بصوت عالٍ .
(5) الربى : جمع الربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . والمائسة : المتمايلة .

والـصَّـبـا تُـرْقِـص أَوْراقَ الـزُّهُـورِ الـيـابِـسَـهْ[1]
وتَـهـادَى الـنُّـورُ فـي تِـلْـكَ الـفِـجـاجِ الـدَّامِـسَـهْ[2]

* * *

أَقْـبَـلَ الـصُّـبْـحُ جَـمِـيـلاً ، يَـمـلأُ الأُفْـقَ بَـهـاهْ
فَـتَـمَـطَّـى الـزَّهْـرُ ، والـطَّـيْـرُ ، وأَمْـواجُ الـمِـيـاهْ[3]
قَـدْ أَفـاقَ الـعـالَـمُ الـحَـيُّ ، وغَـنَّـى لـلـحَـيـاهْ
فَـأَفِـيـقِـي يـا خِـرافِـي ، وهَـلُـمِّـي يـا شِـيـاهْ[4]

* * *

واتْـبَـعِـيـنِـي يـا شِـيـاهِـي ، بَـيْـنَ أَسْـرابِ الـطُّـيـورْ[5]
وامْـلإي الـوادِي ثُـغـاءً ، ومِـراحـاً وحُـبُـورْ[6]
واسْـمَـعِـي هَـمْـسَ الـسَّـواقِـي ، وانْـشـقـي عِـطْـرَ الـزُّهُـورْ
وانْـظـرِي الـوادِي ، يُـغَـشِّـيـه الـضَّـبـابُ الـمُـسْـتَـنِـيـرْ[7]

* * *

واقْـطُـفِـي مِـنْ كَـلإِ الأَرْضِ ، ومَـرْعـاهـا الـجَـدِيـدْ[8]
واسْـمَـعِـي شَـبَّـابَـتِـي تَـشْـدُو ، بِـمَـعْـسُـولِ الـنَّـشِـيـدْ[9]
نَـغَـمٌ يَـصْـعَـدُ مِـنْ قَـلْـبِـي ، كَـأَنْـفـاسِ الـوُرُودْ

---

(1) الصبا : الريح .
(2) تهادى : تمايل وتبختر . والفجاج : جمع الفج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين . والدامسة : المظلمة .
(3) تمطّى الزهر : تطاول .
(4) الشياه : جمع الشاة ، وهي الواحد من الغنم والمعز .
(5) الأسراب : الجماعة ، الواحد سرب .
(6) الثغاء : صوت الغنم والظباء .... والحبور : السرور .
(7) يغشيه : يغطيه .
(8) كلأ الأرض : عشبها .
(9) الشبابة : نوع من المزامير .

ثُـمَّ يَـسْـمُـو طَـائِـراً كـالـبُـلْـبُـلِ الـشَّـادِي الـسَّـعِـيـدْ

* * *

وإذا جِـئْـنـا إلـى الـغـابِ ، وغَـطَّـانـا الـشَّـجَـرْ
فَـاقْـطُـفِـي مـا شِـئْـتِ مـن عُـشْـبٍ وزَهْـرٍ وثَـمَـرْ
أَرضَـعَـتْـهُ الـشَّـمْـسُ بِـالـضَّـوْءِ ، وغَـذَّاهُ الـقَـمَـرْ
وارْتَـوَى مِـنْ قَـطَـراتِ الـطَّـلِّ ، فـي وَقْـتِ الـسَّـحَـرْ[1]

* * *

وامْـرَحِـي مـا شِـئْـتِ فـي الـوِدْيـانِ ، أَو فَـوقَ الـتِّـلالْ
وارْبِـضِـي فـي ظِـلِّـهـا الـوارِفِ ، إنْ خِـفْـتِ الـكَـلالْ[2]
وامْـضِـغِـي الأَعْـشـابَ ، والأَفْـكـارَ فـي صَـمْـتِ الـظِّـلالْ
واسْـمَـعِـي الـرِّيـحَ تُـغَـنِّـي ، فـي شَـمـارِيـخِ الـجِـبـالْ[3]

* * *

إنَّ فـي الـغـابِ أَزاهِـيـراً ، وأَعْـشـابـاً عِـذابْ
يُـنـشِـدُ الـنَّـحْـلُ حَـوالَـيْـهـا ، أَهـازِيـجـاً طِـرابْ[4]
لَـمْ تُـدَنِّـسْ عِـطْـرَهـا الـطَّـاهِـرَ أَنْـفـاسُ الـذِّئـابْ
لا ، ولا طَـافَ بِـهـا الـثَّـعْـلَـبُ فـي بَـعْـضِ الـصِّـحـابْ !

* * *

وشَـذاً حُـلْـواً ، وسِـحْـراً ، وسَـلامـاً ، وظِـلالْ
ونَـسِـيـمـاً سـاحِـرَ الـخُـطْـوَةِ ، مَـوْفُـورَ الـدَّلالْ[5]
وغُـصُـونـاً يَـرْقُـصُ الـنُّـورُ عَـلَـيْـهـا ، والـجَـمـالْ

---

(1) ارتوى : شرب حتى اكتفى . والطلّ : الندى . والسحر : الوقت قبيل الصبح .
(2) اربضي : امكثي والبثي . والوارف : الممتد الطويل . والكلال : التعب والإعياء .
(3) شماريخ الجبال : رؤوسها وقممها .
(4) الأهازيج : الأغاني والأناشيد ، الواحدة أهزوجة .
(5) الموفور : الوفير الكثير .

واخْـضِـــراراً أَبَـــدِيًّـــا ، لَـــيْـــسَ تَـمـحُـوه الـلَّـيـالْ

* * *

لَـــنْ تَـمـلّـي ، يـا خِـرافِـي ، فـي حِـمَـى الـغـابِ الـظَّـلِـيـلْ
فَـــزَمـــانُ الـــغـــابِ طـفـلٌ ، لاعِـــبٌ ، عَـــذْبٌ ، جَـمِـيـلْ
وزَمـــانُ الـنَّـاسِ شَـــيْـــخٌ ، عـــابِـــسُ الـــوَجـــهِ ، ثَـقِـيـلْ
يَـتَـمَـشَّـى فـي مَـــلالٍ ، فَـــوقَ هَـاتِـيـكَ الـسُّـهُـولْ[1]

* * *

لَـكِ فـي الـغـابـاتِ مَـرْعـاكِ ، ومَـسْـعـاكِ الـجَـمِـيـلْ
ولِـــيَ الإنْـــشـــادُ ، والـــعَـــزْفُ إلـى وَقْـــتِ الأَصِـيـلْ[2]
فَـــإذا طَـالَـتْ ظِـــلالُ الـكَـلا الـغَـضِّ ، الـضَّـئِـيـلْ[3]
فَـهَـلُـمِّـي نُـرْجِـعِ الـمَـسْـعَـى إلـى الـحَـيِّ الـنَّـبِـيـلْ[4]

[47]

حرم الأمومة

قال : (الكامل)

الأمُّ تَـلْـثُـمُ طِـفْـلَـهـا ، وتَـضُـمُّـهُ ... حَرَمٌ ، سَماوِيُّ الجَمالِ ، مُقَدَّسُ[5]
تَـتَـأَلَّـهُ الأَفْـكـارُ ، وَهْـيَ جِـوارُهُ ... وتَـعـودُ طَـاهِـرةً هُـنـاكَ الأَنْـفُـسُ
حَـرَمُ الـحَـيـاةِ بِـطُـهْـرِهـا وحَنانِها ... هَل فَـوْقَـهُ حَـرَمٌ أجلُّ وأقـدسُ ؟[6]

---

(1) الملال : الفتور والكلال .

(2) الأصيل : الوقت بين العصر والمغرب .

(3) الكلأ : العشب . والغضّ : الطري والندي . والضئيل : القليل .

(4) هلمي : تعالي بسرعة . والمسعى : السير .

(5) تلثم : تقبل .

(6) الحرم : ما لا يحلّ انتهاكه .

بُورِكْتَ يا حَرَمَ الأُمومَةِ والصِّبا كَم فِيْكَ تكتملُ الحَياةُ وتَقْدُسُ[1]

[48]

النَّبي المجهول

قال : (الخفيف)

أيُّها الشَّعْبُ ! لَيْتَنِي كُنْتُ حطَّا باً فَأَهْوِي عَلَى الجُذوعِ بِفَأسِي ![2]

لَيْتَنِي كُنتُ كالسُّيولِ ، إذا سا لَتْ تَهُدُّ القبورَ ، رمساً برمسِ ![3]

لَيْتَنِي كُنتُ كالرِّياحِ ، فَأطوِي كُلَّ ما يَخْنقُ الزُّهورَ بِنَحْسِي

لَيْتَنِي كُنتُ كالشِّتاءِ ، أُغَشِّي كُلَّ ما أَذْبَلَ الخَريفُ بقرسِي ![4]

لَيْتَ لِي قُوَّةَ العَواصِفِ ، يا شعـ ـبِي فَأُلقِي إلَيكَ ثَوْرَةَ نَفْسِي !

لَيْتَ لِي قُوَّةَ الأَعاصِيرِ ، إنْ ضَجْـ ـجَتْ فَأدعُوكَ للحَياةِ بِنَبْسِي ![5]

لَيْتَ لِي قُوَّةَ الأَعاصِيرِ .. ! لَكِنْ أَنْتَ حَيٌّ ، يَقْضِي الحَياةَ بِرَمْسِ

أَنْتَ روحٌ غَبِيَّةٌ ، تَكرهُ النُّو رَ ، وتَقْضِي الدُّهورَ في لَيْلِ مَلْسِ[6]

أَنْتَ لا تدركُ الحَقائِقَ إنْ طا فَتْ حواليْكَ دُون مسٍّ وجَسِّ[7]

في صَباحِ الحَياةِ ضَمَّخْتُ أَكْوا بِي وأترعتُها بخمرَةِ نَفْسِي[8]

ثُمَّ قدَّمْتُها إلَيكَ ، فَأهرقْـ ـتَ رَحِيقي ، ودُستَ يا شعبُ كأسِي![9]

---

(1) تقدس : تصير مقدّسة .

(2) أهوي : أضرب . والجذوع : جمع الجذع ، وهو ساق الشجرة ونحوها .

(3) الرمس : القبر . وأراد قبراً بعد قبر .

(4) القرس : البرد الشديد .

(5) الأعاصير : جمع إعصار ، وهو ريحٌ تهبّ بشدة وتثير الغبار . والنبس : الكلام .

(6) ليل ملس : مختلط .

(7) جسّ الشيء : لمسه ومسّه بيده ليتعرّفه .

(8) ضمخت أكوابي : لطختها . وأترعتها : ملأتها .

(9) أهرقت رحيقي : سكبته . والرحيق : الخمر .

فَتأَلَّمتُ .... ثُمَّ أَسْكَتُّ آلا ... مِي ، وكَفْكَفْتُ من شُعوري وَحِسِّي
ثُمَّ نَضَّدْتُ مِنْ أَزاهِيرِ قَلْبِي ... باقَةً لَمْ يَمَسَّها أَيُّ إِنْسِي [1]
ثُمَّ قَدَّمْتُها إِلَيكَ ، فَمزَّقْـ ... ـتَ ورُودِي ، ودُسْتَها أيَّ دَوْسِ
ثُمَّ أَلْبَسْتَنِي مِنَ الحُزْنِ ثَوْباً ... وبِشَوْكِ الجِبالِ تَوَّجْتَ رَأْسِي [2]

* * *

إِنَّنِي ذاهبٌ إلى الغابِ ، يا شَعْـ ... ـبِي لأَقْضِي الحَياةَ ، وَحْدِي بِيأسِ
إِنَّنِي ذاهبٌ إلى الغابِ ، عَلِّي ... في صَمِيمِ الغاباتِ أَدْفُنُ بُؤْسِي
ثُمَّ أَنْساكَ ما اسْتَطعتُ ، فَما أَنْـ ... ـتَ بِأَهْلٍ لِخَمْرَتِي ولِكَأْسِي
سَوفَ أَتْلُو على الطُّيورِ أَناشِيـ ... ـدِي ، وأُفْضِي لَها بِأَشْواقِ نَفسِي [3]
فَهْيَ تَدرِي مَعْنَى الحَياةِ ، وتَدْرِي ... أَنَّ مَجدَ النُّفوسِ يَقْظَةُ حِسِّ
ثُمَّ أَقْضِي هُناكَ ، في ظُلْمَةِ اللَّيْـ ... ـلِ ، وأُلْقِي إلى الوُجُودِ بِيَأْسِي
ثُمَّ تَحْتَ الصَّنَوْبَرِ ، النَّاضِرِ ، الحُلْـ ... ـوِ ، تَخُطُّ السُّيولُ حُفْرَةَ رمسِي [4]
وتَظَلُّ الطُّيُورُ تَلْغُو على قَبْـ ... ـرِي ويَشْدُو النَّسِيمُ فَوقِي بِهَمْسِ [5]
وتَظَلُّ الفُصُولُ تَمْشِي حوالَيَّ ، ... كَما كُنَّ في غَضارَةِ أَمْسِي [6]
أَيُّها الشَّعْبُ ؟ أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ ، ... لاعِبٌ بالتُّرابِ واللَّيْلُ مُغْسِ ! [7]
أَنْتَ في الكَونِ قُوَّةٌ ، لَمْ تَسُسْها ... فِكرَةٌ ، عَبقَرِيَّةٌ ، ذاتُ بَأسِ
أَنْتَ في الكَونِ قُوَّةٌ ، كَبَّلتْها ... ظُلْماتُ العُصورِ ، مِنْ أمسِ أمسِ [8]
والشَّقِيُّ الشَّقِيُّ مَنْ كانَ مِثْلِي ... في حَساسِيَّتِي ، ورِقَّةِ نَفْسِي

---

(1) نضد الأزاهير : ضم بعضها إلى بعضٍ متّسقاً .

(2) توجت ، أي : جعلت من الشوك تاجاً وضعته على رأسي .

(3) أفضي لها : أعلمها به .

(4) الرمس : القبر .

(5) تلغو : تقول كلاماً لا يعتدّ به .

(6) الغضارة : النعمة والخصب .

(7) ليل مغس : مظلم .

(8) كبلتها : قيدتها .

هَكذا قال شاعِرٌ ، ناوَلَ النَّا ... سَ رَحِيقَ الحَياةِ في خَيرِ كَأْسِ[1]

فَأشاحُوا عَنْها ، ومَرُّوا غِضاباً ... واسْتَخفُّوا بِهِ ، وقالُوا بِيَأسِ :[2]

« قَدْ أَضاعَ الرَّشادَ في مَلعَبِ الجِنِّ ... فَيا بُؤسَهُ ، أُصِيبَ بِمَسِّ[3]

طَالَما خاطَبَ العَواصِفَ في اللَّيْـ ... ـلِ وناجَى الأَمْواتَ في غَيْرِ رَمْسِ

طَالَما رافَقَ الظَّلامَ إلى الغا ... بِ ونادَى الأَرْواحَ مِنْ كُلِّ جِنْسِ

طَالَما حدّثَ الشَّياطِينَ في الوا ... دِي ، وغَنَّى مَعَ الرِّياحِ بِجَرسِ[4]

إنَّهُ ساحِرٌ ، تُعَلِّمُهُ السِّحْـ ... ـرَ الشَّياطِينُ ، كُلَّ مَطْلعِ شَمْسِ

فأَبْعِدُوا الكافِرَ الخَبِيثَ عَن الهَيْـ ... ـكَلِ إنَّ الخَبِيثَ منبعُ رِجْسِ[5]

أُطْرِدُوه ، ولا تُصِيْخُوا إلَيْهِ ... فَهْوَ رُوحٌ شريرةٌ ، ذاتُ نحسِ[6]

هَكَذا قَالَ شاعِرٌ ، فَيلسوفٌ ، ... عَاشَ في شعبهِ الغَبِيِّ بِتَعْسِ

جَهِلَ النَّاسُ رُوحَه ، وأَغانِيـ ... ـها فَساموا شعورَه سوْمَ بَخسِ[7]

فَهْوَ في مَذهبِ الحَياةِ نَبِيٌّ ... وَهْوَ في شَعْبِهِ مُصابٌ بِمَسِّ[8]

هَكَذا قَالَ ، ثُمَّ سارَ إلى الغا ... بِ ، لِيَحْيا حَياةَ شِعْرٍ وقُدْسِ

وبَعِيداً .. ، هُناكَ .. ، في معبَدِ الغا ... بِ الذي لا يُظِلُّهُ أيُّ بُؤْسِ

في ظِلالِ الصَّنوبرِ الحُلوِ ، والزَّيـ ... ـتونِ يَقْضِي الحَياةَ : حَرْساً بِحرسِ[9]

في الصَّباحِ الجَمِيلِ ، يَشْدُو مَعَ الطَّيْـ ... ـرِ ، ويَمْشِي في نشوةِ المُتَحَسِّي[10]

---

(1) رحيق الحياة : خمرها .

(2) أشاحوا عنها : أعرضوا عنها كرهاً .

(3) البؤس : الشقاء .

(4) الجرس : الصوت الخفي .

(5) الرجس : القَذَرُ .

(6) لا تصيخوا : لا تصغوا ولا تستمعوا .

(7) ساموا شعوره : أذلّوه . والبخس : النقص والظلم .

(8) المسّ : الجنون .

(9) الحرس : الدهر .

(10) النشوة : أول السكر . والمتحسي : الذي يحتسي الخمرة جرعة بعد أخرى .

نَافِخاً نايَه ، حواليْه ، تَهتزُّ وُرُودُ الرَّبيعِ مِنْ كُلِّ قَنْسِ[1]

شَعْرُهُ مُرْسَلٌ ، تُداعِبُهُ الرِّيـ ـحُ على مَنْكِبَيْهِ مثلَ الدِّمَقْسِ[2]

والطُّيورُ الطِّرابُ تَشْدُو حواليْـ ـهِ وتَلْغُو في الدَّوْحِ ، مِنْ كُلِّ جنسِ

وتَراهُ عِنْدَ الأَصِيلِ ، لَدَى الجَدْ وَل ، يَرنُو للطَّائِرِ المُتَحَسِّي

أو يُغَنِّي بَيْنَ الصَّنوبر ، أو يَرْ نُو إلى سُدْفَةِ الظَّلامِ المُمَسِّي[3]

فإذا أقْبَلَ الظَّلامُ ، وأمستْ ظُلماتُ الوُجُود في الأَرْضِ تُغسِي[4]

كَانَ في كوخِهِ الجَمِيلِ ، مُقِيماً يَسْأَلُ الكَونَ في خُشوعٍ وهَمْسِ

عَنْ مَصبِّ الحَياةِ ، أَيْنَ مَداهُ ؟ وصَمِيمِ الوجُودِ ، أَيَّان يُرْسِي ؟[5]

وأَرِيجِ الوُرُودِ في كُلِّ وادٍ ونَشِيدِ الطُّيُورِ ، حِيْنَ تُمسِّي

وهَزِيمِ الرِّياحِ ، في كُلِّ فَجٍّ ورُسُومِ الحَياةِ من أمسِ أمسِ[6]

وأَغانِي الرُّعاةِ أَيْنَ يُوارِيـ ـها سُكونُ الفَضا ، وأَيَّان تُمْسِي ؟؟

هَكذا يَصْرِفُ الحَياةَ ، ويُفْنِي حَلَقاتِ السِّنِينَ : حَرْساً بحَرْسِ

يا لَها مِنْ مَعِيشَةٍ في صَمِيمِ الـ ـغابِ تُضْحِي بَيْنَ الطُّيورِ وتُمْسِي !

يا لَها مِنْ مَعِيشَةٍ ، لَمْ تُدَنِّسْها نُفوسُ الوَرَى بِخُبْثٍ ورِجْسِ

يا لَها مِنْ مَعِيشَةٍ ، هيَ في الكَونِ حَياةٌ غَرِيبَةٌ ، ذاتُ قُدسِ

[49]

الدُّموع

قال : (الخفيف)

يَنْقَضِي العَيْشُ بَيْنَ شَوْقٍ ويَأْسِ والمُنَى بَيْنَ لَوْعَةٍ وتَأَسِّ[7]

---

(1) القنس : الأصل .

(2) الدمقس : الحرير .

(3) يرنو : يديم النظر في سكون طرف . وسدفة الظلام : ظلمته .

(4) تغسي : تظلم .

(5) يرسي : يقف .

(6) هزيم الرياح : صوتها . والفج : الصوب والناحية .

(7) المنى : الأماني . واللوعة : الحرقة في القلب . والتأسّي : التعزي .

هَـذِهِ سُـنَّـةُ الـحَـيـاةِ ، ونَـفْـسِـي ... لا تَـوَدُّ الرَّحِيقَ فِي كَـأْسِ رِجْـسِ[1]

مُلِئَ الـدَّهْـرُ بـالـخِـداعِ ، فَكَمْ قَدْ ... ضَـلَّـلَ الـنَّـاسَ مِـنْ إمـامٍ وقَـسِّ

كُـلَّـمـا أَسْـأَلُ الـحَـيـاةَ عَن الـحَـقِّ ... تَـكُـفُّ الـحَـيـاةُ عَـنْ كُـلِّ هَـمْـسِ

لَمْ أجِدْ فِي الـحَـيـاةِ لَـحْـنـاً بَـدِيـعـاً ... يَـسْـتَـبِـيـنِـي سِوَى سَكِينَةِ نَفسِي[2]

فَـسَـئِـمْـتُ الـحَـيـاةَ ، إلاَّ غِـــراراً ... تَـتـلاشَـى بِـهِ أَنـاشِـيـدُ يَـأْسِـي[3]

نَـاوَلَـتْـنِـي الـحَـيـاةُ كَـأْسـاً دِهـاقـاً ... بالأَمانِي ، فَما تَناوَلْتُ كَـأْسِـي[4]

وسَـقَـتْـنِـي مِـنَ الـتَّـعـاسَـةِ أَكْـوا ... باً تَـجَـرَّعْـتُـهـا ، فَيا شَدَّ تَعْسِي ![5]

إنَّ فـــي روضَـــةِ الـحَـيـاةِ لأَشْـــوا ... كـاً بِـهـا مُـزِّقَـتْ زَنـابِـقُ نَـفْـسِـي

* * *

ضَاعَ أَمْسِي ! وأَيْنَ مِنِّيَ أَمْسِـي ؟ ... وقَضَى الـدَّهْـرُ أَنْ أَعِـيـشَ بِـيَـأْسِـي

وقَضَى الـحُـبُّ فِي سُـكُـونٍ مُـرِيـعٍ ... ساعَةَ الـمَوْتِ بَيْنَ سُخْطٍ وبُؤْسِ[6]

لَمْ تُـخَـلِّـفْ لِيَ الـحَـيـاةُ مِـنَ الأَمْـ ... ـسِ سِوَى لَوْعَةٍ ، تَهُبُّ وتُرسِي[7]

تَـتَـهـادَى مـا بَـيْـنَ غصَّاتِ قَـلْـبِـي ... بِـسُـكُـونٍ وبَـيْـنَ أَوْجـاعِ نَفْسِي[8]

كَخَيالٍ مِنْ عالَمِ الـمَـوْتِ ، يَـنْـسـا ... بُ بِصَمْتٍ ما بَيْنَ رَمْسٍ ورَمْسِ[9]

تِلْكَ أَوْجـاعُ مُـهـجَـةٍ ، عَـذَّبَـتْـهـا ... فِي جَحِيمِ الحَياةِ أطْيافُ نَحْسِ[10]

---

(1) السنة : الطريقة والشريعة . والرحيق : الخمر . والرجس : القذر .

(2) يستبيني : يسبيني ويأسرني .

(3) الغرار : القليل . وأراد لحظات قليلة .

(4) كأس دهاق : مملوءة .

(5) تجرعتها : ابتلعتها . ويا شدّ تعسي ، أي : يا شدة تعاستي لذلك .

(6) سكون مريع : مخيف . والسخط : الغضب .

(7) اللوعة : الحرقة في القلب .

(8) تتهادى – أي اللوعة – : تتمايل . والغصات : جمع الغصة ، وأراد أحزان نفسه التي يغصّ بها .

(9) ينساب : يجري . والرمس : القبر .

(10) المهجة : الروح .

[50]

شجون

قال : (الخفيف)

عَـجَـبـاً لِـي ! أَوَدُّ أنْ أفـهـمَ الـكَـوْ ... نَ ، ونَفْسِي لَمْ تستطِعْ فَهْمَ نَفْسِي!

لَـمْ أُفِـدْ مِـنْ حَـقـائِـقِ الـكَـونِ إلاَّ ... أنَّنِـي في الوجُودِ مُـرْتـادُ رَمْـسِ[1]

كُـلُّ دَهْـرٍ يَـمُـرُّ يَـفْـجـعُ قَـلْـبِـي ... لَيتَ شِعْـرِي أَيْنَ الزَّمان الـمُـؤَسِّـي

في ظلامِ الـكُـهُـوفِ أَشْـبـاحُ شـؤمٍ ... وبِـهَـذا الـفَـضـاءِ أَطْـيـافُ نَـحْـسِ

وخِـلالَ الـقُـصُـورِ أَنَّـاتُ حُـزْنٍ ... وبِتِلْكَ الأَكْـواخِ أَنْضاءُ بُـؤسِ ![2]

والـفَـضـاءُ الأَصَـمُّ يَـعْـتَـسِـفُ الـنَّـا ... س ويقضِي ما بَيْنَ سَيْفٍ وقَوْسِ ![3]

* * *

هَـذهِ صُـورَةُ الـحَـيـاةِ ، وهَـذا ... لَونُها في الـوُجُـودِ ، مِنْ أمسِ أمسِ

صُـورَةٌ لـلـشَّـقـاءِ دامِـعَـةُ الـطَّـرْ ... فِ ولَـونٌ يَـسُـودُ في كُلِّ طِـرْسِ[4]

* * *

---

(1) المرتاد : القاصد . والرمس : القبر .

(2) الأنات : جمع الأنّة ، وهي صوت الألم . والأنضاء : جمع النضو ، وهو المهزول من الإنسان والحيوان .

(3) يعتسف : يظلم .

(4) الطرف : العين . والطرس : الصحيفة .

قافية العين

[51]

أنشودةُ الرَّعد

قال : (مجزوء الرمل)

فِـي سُـكُـونِ الـلَّـيْـلِ لَـمَّـا عَـانَـقَ الـكَـوْنَ الـخُـشُـوعْ
واخْـتَـفَـى صَـوْتُ الأَمـانِـي خَـلْـفَ آفـاقِ الـهُـجُـوعْ[1]

* * *

رَتَّـلَ الـرَّعْـدُ نَـشِـيـداً رَدَّدَتْـهُ الـكَـائِـنـاتْ[2]
مِـثْـلَ صَـوْتِ الـحَـقِّ إنْ صَـا حَ بِـأَعْـمـاقِ الـحَـيـاةْ

* * *

يَـتَـهـادَى بِـضَـجِـيـجٍ فِـي خَـلايـا الأَوْدِيَـهْ[3]
مِـثْـلَ جَـبَّـارٍ بَـنِـي الـجِـنِّ بِـأَقْـصَـى الـهـاوِيَـهْ[4]
فَـسَـأَلْـتُ الـلَّـيْـلَ ، والـلَّـيْـلُ كَـئِـيـبٌ ، ورَهِـيـبْ[5]
شَـاخِـصـاً بِـالـلَّـيْـلِ والـلَّـيْـلُ جَـمِـيـلٌ ، وغَـرِيـبْ

* * *

أتُـرَى أُنْـشُـودَةُ الـرَّعْـدِ أَنِـيـنٌ وحَـنِـيـنْ
رَنَّـمَـتْـهـا بِـخُـشُـوعٍ مُـهْـجَـةُ الـكَـوْنِ الـحَـزِيـنْ ؟[6]

---

(1) الهجوع : النوم في الليل .

(2) رتل : نظّم وألّف .

(3) يتهادى : يمشي متمايلاً .

(4) الهاوية : موضع السقوط من الجبل المشرف .

(5) الرهيب : المخيف .

(6) رنّمتها : غنّتها . والمهجة : النفس والروح .

أمْ هِـيَ الـقُـوَّةُ تَـسْـعَـى بِـاعْـتِـسـافٍ واصْـطِـخـابْ[1]
يَـتَـراءَى فِـي ثَـنـايـا صَـوْتِـهـا رُوحُ الـعَـذابْ ؟

* * *

غَـيْـرَ أَنَّ الـلَّـيْـلَ قَـدْ ظَـلَّ رَكُـوداً ، جـامِـدا
صَـامِـتـاً مِـثْـلَ غَـدِيـرِ الـقَـفْـرِ ، مِـنْ دُونِ صَـدَى ![2]

[52]

في فجاج الآلام

قال : (المجتث)

يـا لابْـتِـسـامَـةِ قَـلْـبٍ مَـطْـلُـولَـةٍ بِـدُمُـوعِـهْ[3]
غَـاضَـتْ ، فَـلَـمْ تُـبْـقِ إلاَّ الـدُّمُـوعَ بَـيْـنَ صُـدُوعِـهْ[4]
فَـظَـلَّ يَـهْـتُـفُ مـن شَـجْـ ـوِهِ ، وفَـرْطِ وُلُـوعِـهْ[5]
«وَيْـحَ الـحَـيـاة ! أَمَـا تَـنْـ ـقَضِي لَـدَيْـهـا الـرَّزايـا ؟!»[6]
«أَمَـا يُـكَـفْـكِـفُ هَـذا الـزَّ مـانُ صَـوْبَ الـبَـلايـا ؟!»[7]
«يـا دَهْـرُ ! رِفْـقـاً ! فَـإنَّ الـ ـقُـلُـوبَ أَمْـسَـتْ شَـظايـا »[8]

* * *

يـا قَـلْـبُ نَـهْـنِـهْ دُمُـوعَ الأَسَـى ، وَلَـوْعَـةَ روعِـكْ[9]

---

(1) الاعتساف : الظلم . والاصطخاب : اختلاط الأصوات وضجيجها .
(2) الغدير : مجتمع الماء . والقفر : الخلاء من الأرض . والصدى : رجع الصوت وارتداده .
(3) مطلولة : مبللة . من الطل ، وهو المطر الخفيف .
(4) غاضت : غابت . والصدوع : الشقوق ، الواحد صدعٌ .
(5) شجوه : حزنه . والولوع : التعلق بشدة . وفرط ولوعه : شدته .
(6) الرزايا : المصائب ، الواحدة رزية .
(7) يكفكف : يردّ ويصرف . وصوب البلايا : انهمارها ونزولها . والبلايا : المصائب .
(8) الشظايا : جمع شظية ، وهي القطعة المتناثرة من القلب .
(9) نهنه : كفّ . والأسى : الحزن . واللوعة : الحرقة في القلب . والروع : القلب .

إنَّ الـــدُّهُـــورَ الـــبَـــواكِـــي غَـــنِـــيَّـــةٌ عَـــنْ دُمُـــوعِـــكْ
حَـــسْـــبُ الـحَـيـاةِ أسـاهـا فَـاطْـوِ الأَسَـى فـي صُـدُوعِـكْ
واحْـلُـمْ بِـفَـجْـرِ الـلَّـيـالِـي ، فَـفَـجْـرُهـا فـي هُـجُـوعِـكْ[1]
وإنْ غَـفَـوْتَ فَـإنَّ الـ ـحَـيـاةَ لَـيْـسَـتْ تَـرُوعُـكْ
وَسَـوْفَ يَـمْـضِـي شِـتـاءُ الـ أَسَـى ، ويَـأْتِـي رَبِـيـعُـكْ

* * *

بَـيْـنَ الـقُـبُـورِ فَـتـاةٌ جَـارَ الـزَّمـانُ عَـلَـيْـهـا[2]
فَـافْـتَـكَّ مِـنْـهـا بِـعُـنْـفٍ كَـفُّ الـرَّدَى أَبَـوَيْـهـا[3]
تَـقُـولُ والـلَّـيْـلُ سـاجٍ والـقَـبـرُ مُـصـغٍ إلَـيْـهـا : [4]
«يـا لَـيْـتَـنِـي متُّ مِـن قَـبْـ ـلِ أَنْ تَـسُـوءَ حَـيـاتِـي ! »
«ويَـنـضُـبَ الـدَّمْـعُ مـن لَـوْ عَـتِـي ومِـنْ حَـسَـراتِـي !»[5]
«مَـنْ لِـي بِـحُـفْـرَةِ قَـبْـرٍ تَـضـمُّـنِـي وشَـكَـاتِـي !»[6]

* * *

فـي الـحَـيِّ صَـبٌّ يُـعـانِـي فـي الـصَّـدْرِ داءً دَفِـيْـنـا[7]
وفـي الـفُـؤادِ جَـوًى كـا مِـنـاً وجِـسًّـا مَـكِـيْـنـا[8]
حَـتَّـى دَهَـتْـه الـلَّـيـالِـي وجَـرَّعَـتْـهُ مَـنُـونَـه[9]

---

(1) الهجوع : النوم ليلاً .

(2) جار الزمان عليها : ظلمها .

(3) افتك : اغتال . وكفّ الردى : كفّ الموت .

(4) الساجي : الساكن .

(5) نضب الدمع : جفّ .

(6) الشكاة : المرض ، والشكوى .

(7) الصبّ : العاشق . ويعاني : يقاسي . والدفين : المدفون .

(8) الجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن . والمكين : العظيم .

(9) دهته الليالي : أصابته بداهية ، وهي المصيبة . وجرعته : سقته . والمنون : الموت .

فَشَيَّعَ المَيْتَ جَمْعٌ مِنْ حَيِّهِ ، يَنْدُبُونَهْ[1]
حَتَّى إذا ما أرادوا رَصْفَ الصَّفائِحِ دُونَهْ[2]
ناحَتْ عَلَيْهِ فَتاةٌ : «وَيْلِي ، لِمَنْ تَتركونَهْ !»

* * *

كَانَ الصَّبِيُّ يَصِيدُ الفَراشَ بَيْنَ الزُّهُورِ
فَداسَ زَهراً نَدِيًّا أَلْقَى بِهِ في الغَدِيرِ[3]
فَأَخْرَجُوه ، ولَكِنْ بَعْدَ القَضاءِ الأَخِيرِ
فَخَرَّتِ الأُمُّ حَول الصَّبِيِّ ، تَصرخُ : «وَيْلِي»[4]
فَقُلْتُ ـ والقَلْبُ دَامٍ والنَّاسُ يَبْكُون حَوْلِي ـ :
« ما أَسْخَفَ العَيْشَ تَقْضِي عَلَيْهِ زَلَّةُ نَعْلِ ! »[5]

* * *

شَيْخٌ شَآهُ دَهْرُ الأَسَى ، وَجِيدٌ شَتِيتُ[6]
بَيْنَ الخَرائِبِ يُمْسِي على الطَّوَى ، ويَبِيتُ[7]
في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ فَاضَتْ على الوُجُودِ حَياتُهْ
وطَرفُهُ يَرْمُقُ النَّجْمَ مِلْؤُهُ عَبَراتُهْ[8]
وما حواليهِ إلاَّ الخرابُ يُشْجِي صُماتُهْ[9]
فَما بَكاهُ فَتاهُ ولا بَكَتْهُ فَتاتُهْ

---

(1) ندب الميت : بكى عليه وعدد محاسنه .

(2) الصفائح : جمع الصفيحة ، وهي العريض من الحجر أو اللوح أو المعدن .

(3) الغدير : مستنقع الماء .

(4) خرت : سقطت وهوت .

(5) الزلة : السقطة والعثرة .

(6) شآه : سبقه .

(7) الطوى : الجوع .

(8) يرمق النجم : ينظره . والعبرات : الدموع ، الواحدة عبرة .

(9) يشجي : يغلب ويقهر . والصمات : الصمت .

يـــا زهـــرةً ســامَـــهـــا الـــعـــابِـــرون خَـــسْـــفـــاً وهُـــونـــا ![1]
لَـــو كُـــنـــتِ شـــوكـــاً عَـضُـوضـاً مـــا داسَـــكِ الـــعـــابِـــرُونـــا[2]
لأَنَّـــهُـــم يَـــجـــهـــلُـــونَ الـــوَحْـــيَ الـــذي تُـــضْـــمِـــرِيـــنـــا
هُـــمْ يَـــسْـــخَـــرُون بِـــهَـــمْـــسِ الـــزُّهُـــورِ وَهْـــوَ بَـــدِيـــعُ !
ويُـــنـــصِـــتُـــونَ لِـــصَـــوْتِ الأَشْـــواكِ ، وَهْـــوَ مُـــرِيـــعُ ![3]
فَـــلا تُـــبـــالِـــي بِـــقَـــومِ الـــحَـــقُّ فِـــيْـــهِـــمْ صَـــرِيـــعُ[4]

* * *

رَبَّـــاهُ ! كَـــمْ مِـــنْ فَـــتـــاةٍ ، تَـــشْـــكُـــو الـــحَـــيـــاةَ وتَـــبْـــكِـــي ،
ومُـــعْـــدِمٍ ، بَـــوَّأتْـــهُ الـــدُّهُـــورُ مَـــقْـــعَـــدَ ضَـــنْـــكِ[5]
ويـــائِـــسٍ مَـــاتَ فـــي لُـــبِّـــهِ الـــمَـــرامُ الـــوَحِـــيـــدُ[6]
وتـــائِـــهٍ ، ضَـــاعَ بَـــيْـــنَ الـــقِـــفـــارِ ، وَهْـــوَ فَـــرِيـــدُ[7]
حَـــتَّـــى طَـــوَتْـــهُ مِـــنَ الـــعـــاصِـــفـــاتِ رِيـــحٌ شَـــرُودُ[8]
رَبَّـــاهُ ! رُحْـــمـــاكَ إنَّ الـــزَّمـــانَ فَـــضٌّ شَـــدِيـــدُ[9]

* * *

يـــا طَـــائِـــرَ الـــشِّـــعْـــرِ ! رَوِّحْ عـــلـــى الـــحَـــيـــاةِ الـــكَـــئِـــيـــبَـــهْ
وامْـــسَـــحْ بِـــرِيـــشِـــكَ دَمْـــعَ الـــقُـــلـــوبِ فَـــهْـــيَ غَـــرِيـــبَـــهْ

---

(1) سامها : أذلّها ، وأراد داسها العابرون . والخسف : الظلم والإذلال . والهون مثله أيضاً .
(2) الشوك العضوض : الشديد الأذى .
(3) المريع : المخيف .
(4) الصريع : المصروع على الأرض .
(5) بوأته : أنزلته . والضنك : الضيق والشدة .
(6) لبه : عقله . والمرام : المقصد والغاية .
(7) القفار : جمع قفر ، وهو الخلاء . والفريد : الوحيد .
(8) طوته : لفته . وريح شرود : سائرة في البلاد .
(9) الفضّ : الكسر المتفرق .

وعَـزِّهـا عَـنْ أَسـاهـا فَـقَـدْ دَهَـتْـهـا الـمُـصِـيـبَـهْ[1]

وأَنْـتَ رُوحٌ جَـمِـيـلٌ ، بَـيْـنَ الـهِـضـابِ الـجَـدِيـبَـهْ[2]

فَـانْـفـخْ بِـهـا مِـنْ لَـهِـيـبِ الـسَّـمـاءِ رُوحـاً خَـضِـيـبَـهْ

وابْـعَـثْ بِـسِـحْـرِكَ فـي قَـلْـبِـهـا ضِـرامَ الـشَّـبِـيـبَـهْ

* * *

(1) دهتها : أصابتها الداهية .

(2) الهضاب : جمع هضبة . والجديب : القاحل المجدب .

قافية الفاء

[53]

بقايا الخريف

قال : (المتقارب)

كَرِهْتُ القُصُورَ ، وقُطَّانَها ، وما حَوْلَها مِن صِراعٍ عَنِيفْ[1]

وكَيْدَ الضَّعِيفِ لِسَعْيِ القَوِيِّ ، وعَصْفَ القَوِيِّ بِجَهْدِ الضَّعِيفْ[2]

وجَاشَتْ بِنَفْسِي دُمُوعُ الحَياةِ ، وعَجَّتْ بِقَلْبِي رِياحُ الصُّروفْ[3]

لِقَلْبِ الفَقِيرِ الحَطِيمِ الكَسِيرِ ، ودَمْعِ الأَيامَى السَّفِيحِ الذَّرِيفْ[4]

ونَوْحِ اليَتامَى على أُمَّهاتٍ ، تَوارَيْنَ خَلْفَ ظَلامِ الحُتُوفْ[5]

فَسِرْتُ إلى حَيثُ تَأوِي أغانِي الرْ رَبِيعِ ، وتَذْوِي أَمانِي الخَرِيفْ

وحَيْثُ الفَضا شاعِرٌ ، حالِمٌ ، يُناجِي السُّهولَ بِوَحْيٍ طَرِيفْ

وقَدْ دَثَّرَتْهُ غُيُومُ المَساءِ بِظِلٍّ ، حَزِينٍ ، ضَرِيجٍ ، شَفِيفْ[6]

وبَيْنَ الغُصُونِ التي جَرَّدَتْها لَيالِي الخَرِيفِ ، القَوِيِّ العَسُوفْ[7]

وَقَفْتُ ، وحَوْلِي غَدِيرٌ ، مواتٌ ، تَمادَتْ بِهِ غَفَواتُ الكُهُوفْ[8]

---

(1) قطان القصور : جمع قاطن ، وهو المقيم المتوطّن القصر .

(2) كيد الضعيف : احتياله في إلحاق الضرر بالقوي . وعصف القوي : شدته .

(3) جاشت : غلت وهاجت . وعجت : ضجت . وصروف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(4) الحطيم : المحطّم . والأيامى : جمع الأيّم ، وهي المرأة التي فقدت زوجها . والسفيح : المسفوح . والذريف : المذروف .

(5) نوح اليتامى : بكاؤهن . وتوارين : اختفين . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت .

(6) دثرته : غطته . وضريج : مضرّج بالدم ، أي : ملطّخ . وشفيف : شفّاف .

(7) العسوف : الظلوم .

(8) الغدير : مستنقع الماء . والغفوات : جمع غفوة . والكهوف : جمع كهف .

قَضَتْ في حفافِيْهِ تِلْكَ الزُّهُورُ ، فَكَفَّنها بالصَّقِيعِ الخَرِيفْ[1]

سِوَى زَهْرَةٍ شَقِيَتْ بالحَياةِ ، وملْبَثها بالمُقامِ المُخِيفْ[2]

يُروِّعُها فِيْهِ قَصْفُ الرُّعُودِ ويُحْزِنُها فِيْهِ نَدْبُ الزَّفِيفْ[3]

ويَنْتابُها في الصَّباحِ السَّدِيمُ ، وفي اللَّيْلِ ، حُلْمٌ مُرِيعٌ مُخِيفْ[4]

وتُرْهِبُها غادِياتُ الغَمامِ ، وتُؤلِمُها كُلُّ رِيحٍ عَصُوفْ[5]

فَتَرْنُو لِما حَوْلَها مِنْ زُهُورٍ ، وما ثَمَّ إلا السَّحِيقُ ، الجَفِيفْ[6]

فَتَبْكِي بُكاءَ الغَرِيب ، الوَحِيدِ ، بِشَجْوٍ كَظِيمٍ ، ونَوْحٍ ضَعِيفْ[7]

تُباكِي بِهِ لُبَّها المُسْتَطارَ ، وتَرْثِي بِهِ ما طَوَتْهُ الحُتُوفْ[8]

وتَشكُو أَساها بَياضَ النَّهارِ ، وتندُبُ حَظَّ الحَياةِ السَّخِيفْ[9]

ولَكِنْ لَقَدْ فَقَدَتْ في الوُجُودِ رَفِيقاً مُصِيخاً ، وقَلْباً رَؤُوفْ[10]

فَما ثَمَّ إلاَّ الصُّخُور القَواسِي ، وإلاَّ الصَّدَى المُسْتَطارُ الهَتُوفْ[11]

فَجادَتْ بِرُوحٍ شَقِيٍّ شَجِيٍّ ، ... لَقَدْ عذَّبته اللَّيالِي صُنُوفْ[12]

وماتَتْ ، وقَدْ غادَرَتْها بِقاعٍ مِنَ الأَرْضِ ضَنْكٍ ، حَياةُ الصُّرُوفْ[13]

---

(1) قضت الزهور : ذبلت وماتت . وكفنها : لفّها بالكفن .

(2) ملبثها : مكان الإقامة والتلبث .

(3) يروعها : يخيفها . والزفيف : صوت هبوب الرياح . وندبها : صوتها .

(4) السديم : الضباب الرقيق . وينتابها : ينزل بها . والمريع : المخيف المفزع .

(5) ترهبها : تخيفها . والغمام : السحاب . وغاديات السحاب : السحب التي تغدو . وريح عصوف: شديدة الهبوب .

(6) ترنو : تنظر بدوام طرف . وثم : هناك . والسحيق : المسحوق .

(7) الشجو : الحزن . والكظيم : الشديد .

(8) لبّها : قلبها . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت .

(9) تشكو أساها ، أي : تشكو حزنها في النهار .

(10) رفيقٌ مصيخٌ : مستمعٌ لهمومها .

(11) الصدى : رجع الصوت وارتداده .

(12) الشجي : الحزين .

(13) الضنك : الضيّق والشديد .

فَبانَتْ حيالَ الغَدِيرِ الأصَمِّ ، وقَدْ أخرَسَ المَوْتُ ذاكَ الحَفِيفْ[1]

وقَدْ خَضَّبَتْها غُيومُ المَساءِ ، كَغانِيَةٍ ضَرَّجَتْها السُّيوفْ[2]

فَسَلْها : «تُرَى كَيفَ غاضَ الأرِيجُ ؟ وكَيفَ ذَوَى سِحْرُ ذاكَ الرَّفِيفْ؟»[3]

«وكَيفَ خَبَتْ بَسَماتُ الحَياةِ بأَجْفانِها ، وعَراها الكُسُوفْ ؟»[4]

«وكَيفَ لَوَتْ جيدَها الحَادِثاتُ وأَلْوَتْ بِذاكَ القوامِ اللَّطِيفْ؟»[5]

ذَكَرْتُ بِمضجَعِها المُطْمَئِنِّ ومرقَدِها في السَّفِيرِ الجَفِيفْ[6]

مَصارِعَ آمالِيَ الغابِراتِ وخَيْبَتَها في الصِّراعِ العَنِيفْ[7]

فَقَلَّبتُ طَرْفِي بِمَهْوَى الزُّهورِ وصعَّدتُه في الفَضاءِ الأسِيفْ[8]

وقُلْتُ : « هُوَ الكَونُ مَهْدُ الجمالِ ولَكِنْ لِكُلِّ جمالٍ خَرِيفْ !»[9]

وأطرقتُ ، أُصْغِي لِهَمْسِ الأَسَى وقَدْ غَشِيَ النَّفسَ همٌّ كَثِيفْ[10]

وغَاضَتْ ثُمالَةُ نُورِ النَّهارِ وأَرْخَى ظَلامُ الوجُودِ السُّجُوفْ[11]

* * *

---

(1) الغدير : مستنقع الماء . والأصم : الصامت . والحفيف : الصوت الخفيف .

(2) خضبتها : لونتها وصبغتها . والغانية : المرأة التي استغنت بجمالها عن الزينة . وضرجتها السيوف : لطختها بالدم .

(3) الأريج : انتشار ريح الطيب . وغاض : ولّى وذهب . والرفيف : بريق الثغر .

(4) خبت : خمدت . وعراها : أصابها الكسوف . والكسوف : احتجاب نور الشمس . وأراد عراها الظلام.

(5) الجيد : العنق . والحادثات : المصائب والنوازل . ولوت جيدها : ثنته . وألوت : أمالت . والقوام: القامة وحسن الطول .

(6) المضجع والمرقد واحد . والسفير : ما سقط من ورق الشجر . والجفيف : الذي جفّ من الأوراق وذبل .

(7) المصارع : جمع مصرع . والغابرات : الماضيات . وخيبتها : فشلها . والعنيف : الشديد .

(8) الأسيف : الحزين .

(9) قوله : لكل جمال خريف ، أي : نهاية يذبل فيها كالشجر في الخريف .

(10) غشي الهم النفس : غطّاها وأصابها .

(11) ثمالة الشيء : بقيته . والسجوف : جمع السجف ، وهو أحد الستزين المقرونين بينهما فرجة .

قافية القاف

[54]

الغزال الفاتن

قال : (مجزوء الخفيف)

بَـــذَرَ الـــحُـــبُّ بَـــذْرَهُ ... فِـــي فُـــؤادِي فَـــأَوْرَقـــا

بِـــلِـــحـــاظٍ نَـــوافِـــثٍ ... فَـجَـنَـى حَـظِّـيَ الـشَّـقـا[1]

وسَـــعَـــى فِـــيْـــهِ مُـــهْـــرُهُ ... عَـــادِيـــاً ، ثُـــمَّ أَعْـنَـقـا[2]

* * *

رُبَّ ظَـبْـيٍ عَـلِـقْـتُـهُ ... بِـالـبَـهـا قَـدْ تَـقَـرْطَـقـا[3]

ثُـمَّ مِـنْ وَصْـلِـهِ الـجَـمِـيـ ... ـلِ غَـدا الـقَـلْـبُ مُـمْـلِـقـا[4]

سَـحَـرَ الـلُّـبَّ طَـرْفُـهُ ... مـا دَهـا الـرِّيـقَ لَـوْ رَقَـى[5]

أَوْصَـبَ الـصَّـبَّ صَـدُّهُ ... والـشَّـقـا لَـوْ تَـرَفَّـقـا[6]

صَـارَ مُـلْـقًـى بِـحُـبِّـهِ ... مُـوثَـقـاً لَـيْـسَ مُـطْـلَـقـا[7]

صَـارَ ذا جِـنَّـةٍ بِـهِ ... ذا عَـذابٍ ، مُـؤَرِّقـا[8]

---

(1) اللحاظ : مؤخر العين مما يلي الصدغ ، وأراد العين . والنوافث : جمع نافثة ، وهي التي تنفث سحرها . والشقا : الشقاء .

(2) عادياً : جارياً راكضاً . وأعنق في جريه : أسرع .

(3) علقته : تمكن حبه من قلبه . والبهاء : الحسن والجمال والروعة . وتقرطقا : ارتدى .

(4) المملق : المتودّد المتلطّف المتضرع .

(5) اللب : العقل . وطرفه : عينه ونظره . وما دها : أي ما أصاب بداهية . ورقي المريض رقياً : عوّذ وقرأ له ليشفى .

(6) أوصب : أسقم . والصبّ : العاشق المولّه . وصدّه : هجره .

(7) الموثق : المقيّد .

(8) الجنة : الجنون . والمؤرق : الساهر ليلاً . والأرق : ذهاب النوم لعلّة .

يَـرْقُـبُ الـبَـدْرَ جَـفْـنُـهُ لِـيُـنـاجِـيْـهِ مـا لَـقَـى[1]

هَـامَ فـي الـعَـيْـنِ غَـرْبُـهُ وهَـمَـى ثُـمَّ أَغْـدَقـا[2]

وهَـمَـى صَـوْبُ هَـمِّـهِ فَـاسْـتَـقَـى مِنْهُ ما اسْـتَـقَـى[3]

* * *

كَـمْ قُـلُـوبٍ تَـفَـطَّـرَتْ ودَمٍ صَـارَ مُـهْـرَقـا[4]

ودُمُـوعٍ تَـسَـلْـسَـلَـتْ مِـثْـلَ غَـيْـمٍ تَـدَفَّـقـا[5]

دُونَ أنْ تَـبْـلَـعَ الـنُّـفُـو سُ رُضـابـاً مُـرَوَّقـا[6]

وشَـقِـيـقٍ بِـخَـدِّهِ مُـهَـجَ الـخَـلْـقِ شَـقَّـقـا ؟[7]

ثَـغْـرُهُ مِـنْ عُـقُـودِهِ ودُمُـوعِـي تَـنَـسَّـقـا[8]

خَـصْـرُهُ مِـنْ نَـحـافَـتِـي ونُـحُـولِـي تَـمَـنْـطَـقـا[9]

مَـرْشَـفـاهُ بِـخَـدِّهِ ودِمـائِـي تَـخَـلَّـقـا[10]

مِـنْ لَـظَـى جَـمـرِ خَـدِّهِ كَـبِـدِي قَـدْ تَـحَـرَّقـا[11]

قَـدُّهُ فَـوْقَ رِدْفِـهِ غُـصْـنُ بـانٍ عـلـى نَـقـا[12]

---

(1) ناجاه مناجاة ونجاء : سارّه وخصّه بالحديث . وما لقى ، أي : ما لقي .

(2) الغرب : الدمع . وهمى الدمع : سال . وأغدقت العين : فاضت وكثر ماؤها .

(3) همى : سال . والصوب : المطر ، وأراد دمعه .

(4) تفطرت : تشققت وتصدعت . ودم مهراق : مراق .

(5) تسلسل الدمع : جرى . وتدفق ماء الغيم : تصبب وسال في قوة .

(6) الرضاب : الريق . وشراب مروق : مصفى .

(7) المهج : الأرواح . وشقق : فطر وصدع .

(8) الثغر : الفم .

(9) النحافة والنحول : الضعف والهزال . وتمنطق : شدّ وسطه بالنطاق .

(10) المراشف : الشفاه ، الواحد مَرشف . وتخلق : تطيب بالخلوق .

(11) اللظى : اللهيب . وتحرّق : احترق .

(12) القدّ : القامة أو القوام . والردف : العجز . والنقا : الكثيب من الرمل . والبان : ضرب من الشجر طويل الأفنان ليّنها ، تشبه به قدود الحسان في الطول واللين .

جِـيْـــدُهُ تَـحْـتَ فَـــرْعِـــهِ بَـــرْقُ غَـيْـــمٍ تَـــأَلَّـــقَـــا[1]

نَـــسَـــبِـــي فـــي غَـــرامِـــهِ نَـــسَـــبـــاً صَـــارَ مُـــعْـــرِقـــا[2]

[55]

الحبّ

قال : (البسيط)

الحُبُّ شُعْلَةُ نُورٍ ساحِرٍ ، هَبَطَتْ مِنَ السَّماءِ ، فَكانَتْ ساطِعَ الفَلَقِ[3]

ومَزَّقَتْ عَن جُفُونِ الدَّهْرِ أَغْشِيَةً وعَنْ وُجُوه اللَّيالِي بُرقُعَ الغَسَقِ[4]

الحُبُّ رُوحٌ إلَهِيٌّ ، مُجنّحَةٌ أَيَّامُهُ بِضِياءِ الفَجْرِ والشَّفَقِ[5]

يَطوفُ في هَذِهِ الدُّنيا ، فَيَجْعَلُها نَجْماً، جَمِيلاً، ضَحُوكاً، جدَّ مُؤْتَلِقِ[6]

لَولاهُ ما سُمِعَتْ في الكَونِ أُغْنِيَةٌ ولا تَآلَفَ في الدُّنيا بَنُو أُفُقِ

الحُبُّ جَدْوَلُ خَمرٍ ، مَنْ تَذَوَّقَهُ خَاضَ الجَحِيمَ ، ولَمْ يُشْفِقْ مِنَ الحَرَقِ

الحُبُّ غايَةُ آمالِ الحَياةِ ، فَما خَوْفِي إذا ضَمَّنِي قبرٌ؟ وما فَرَقِي ؟[7]

* * *

---

(1) الجيد : العنق . والفرع : الشعر التام . وتألق : تلألأ ولمع .

(2) نسب معرق : عريق في الحسب والكرم .

(3) الفلق : الصبح ينشق من ظلمة الليل .

(4) البرقع : قناع النساء على التشبيه به هنا . والغسق : ظلمة أول الليل .

(5) الضياء : الضوء .

(6) المؤتلق : اللامع الوضاء .

(7) الفرق : شدة الجزع والخوف .

قافية الكاف

[56]

ألحاني السَّكرى

قال : (الخفيف)

قَدْ سَكِرْنا بِحُبِّنا واكْتَفَيْنا ... يا مُدِيرَ الكُؤُوس فاصْرِفْ كُؤوسَكْ[1]

واسْكبِ الخَمْرَ للعَصافِيرِ والنَّحْـ ... ـلِ وخَلِّ الثَّرَى يَضُمُّ عرُوسَكْ[2]

* * *

ما لَنا والكُؤوسَ ، نَطْلُبُ مِنْها ... نشوَةً والغَرامُ سِحْرٌ وسُكْرُ !

خَلِّنا مِنْكَ ، فَالرَّبِيعُ لَنا سا ... قٍ وهَذا الفَضاءُ كَأْسٌ وخَمرُ !

* * *

نَحْنُ نَحْيا كالطَّيرِ ، في الأُفُقِ السَّا ... جِي وكالنَّحْلِ ، فَوْقَ غَضِّ الزُّهُورِ[3]

لا تَرَى غَيْرَ فِتنَةِ العالَمِ الحَيِّ ... وأَحْلامِ قَلْبِها المَسْحُورِ ...

* * *

نَحْنُ نلهُو تَحْتَ الظِّلالِ ، كَطِفلَيـ ... ـن سَعِيدَين ، في غُرُورِ الطُّفُولَهْ

وعلى الصَّخْرةِ الجَمِيلَةِ في الوا ... دِي وبَيْنَ المَخاوِفِ المَجْهُولَهْ

* * *

نَحْنُ نَغْدُو بَيْنَ المرُوجِ ونُمسِي ... ونُغَنِّي مَعَ النَّسِيمِ المغَنِّي

ونُناجِي رُوحَ الطَّبِيعَةِ في الكَوْنِ ... ونُصْغِي لِقَلْبِها المُتَغَنِّي

* * *

نَحْنُ مِثلُ الرَّبِيعِ نَمْشِي على أَرْضٍ ... مِنَ الزَّهْرِ ، والرُّؤى ، والخَيالِ

---

(1) مدير الكؤوس : الذي يدور بها ويقدمها ، وأراد الساقي . وصرف الكأس : ردّه .

(2) الثرى : التراب .

(3) الساجي : الساكن . وزهور غضة : نديّة نضرة .

فَوْقَها يَرقُصُ الغَرامُ ، ويَلْهُو ... ويُغَنِّي في نشوَةٍ ودَلالِ

* * *

نَحْنُ نَحيا في جَنَّةٍ مِنْ جنان السْـ ... ـسِحْرِ في عالَمٍ بَعِيدٍ ... بَعِيدِ ...
نَحْنُ في عُشِّنا المُوَرَّدِ ، نَتْلُوْ ... سُوَرَ الحُبِّ للشَّبابِ السَّعِيدِ

* * *

قَدْ تَرَكْنا الوُجُودَ للنَّاسِ فَلْيَقْـ ... ـضوا عَلَيْهِ الحَياةَ كَيفَ أَرادُوا
وذَهَبْنا بِلُبِّهِ ، وَهْوَ رُوحٌ ... وتَركنا القُشُورَ ، وَهْيَ جَمادُ[1]

* * *

قَدْ سَكِرْنا بِحُبِّنا ، واكْتَفَيْنا ... طَفَحَ الكَأْسُ ، فَاذْهَبُوا يا سُقاةُ
نَحْنُ نَحْيا فَلا نُرِيدُ مَزِيداً ... حَسْبُنا ما مَنَحْتِنا يا حَياةُ[2]

* * *

حَسْبُنا زهرُنا الذي نَتَنَشَّى ... حَسْبُنا كَأْسُنا التي نَتَرَشَّفْ[3]
إنَّ في ثَغْرِنا رَحِيقاً سَماوِيًّا ... وفي قَلْبِنا رَبِيعاً مُفَوَّفْ[4]

* * *

أيُّها الدَّهْرُ ، أيُّها الزَّمَنُ الجا ... رِي إلى غَيْرِ وُجْهَةٍ وقَرارِ ![5]
أيُّها الكَونُ ! أيُّها الفَلَكُ الدّو ... وارُ بالفَجْرِ ، والدُّجَى والنَّهارِ
أيُّها الكَونُ ! أيُّها القَدَرُ الأَعْـ ... ـمَى ! قِفُوا حَيْثُ أَنْتُمُ ! أو فَسِيرُوا
ودَعُونا هنا : تُغَنِّي لَنا الأَحْـ ... ـلامُ والحُبُّ ، والوُجُودُ ، الكَبِيرُ

* * *

وإذا ما أَبَيْتُمُ ، فَاحْمِلُونا ... ولَهِيْبُ الغَرامِ في شَفَتَيْنا

---

(1) لبّه : عقله ، أو قلبه .

(2) حسبنا ، أي : يكفينا ما أعطيتنا .

(3) نتنشى : نشم . ونترشف الكأس : نشربه .

(4) الثغر : الفم . والرحيق : الخمر . وربيع مفوّف : مزهر .

(5) الوجهة : الغاية والقصد .

وزهُورُ الحَياةِ ، تَعْبَقُ بالعِطْـ ـرِ وبالسِّحْرِ ، والصِّبا في يَدَيْنا[1]

[57]

الأشواق التَّائهة

قال : (الخفيف)

يا صَمِيمَ الحَياةِ ! إنِّي وَحِيدٌ مُدْلِجٌ ، تائِهٌ ، فَأَيْنَ شُرُوقُكْ ؟[2]

يا صَمِيمَ الحَياةِ ! إنِّي فُؤادٌ ضَائِعٌ ، ظَامِئٌ ، فَأَيْنَ رَحِيقُكْ ؟[3]

يا صَمِيمَ الحَياةِ ! قَدْ وَجَمَ النَّا يُ وغَامَ الفَضا فَأَيْنَ بُرُوقُكْ ؟[4]

يا صَمِيمَ الحَياةِ ! أَيْنَ أَغانِيـ ـكَ ! فَتَحْتَ النُّجومِ يُصْغِي مَشُوقُكْ[5]

* * *

كُنْتُ في فَجرِكَ ، المُوشَّحِ بالأَحْـ ـلامِ ، عِطْراً ، يَرِفُّ فَوْقَ وُرُودِكْ

حَالِماً ، يَنْهَلُ الضِّياءَ ، ويُصْغِي لَكَ ، في نَشوَةٍ بِوَحيِ نَشِيدِكْ

ثُمَّ جاءَ الدُّجَى .. ، فَأمْسيتُ أَوْرا قاً بِداداً ، من ذابِلاتِ الوُرُودِ[6]

وضَبابـاً مِنَ الشَّذَى ، يَتَلاشَى بَيْنَ هَولِ الدُّجَى وصَمتِ الوُجُودِ

كُنتُ في فَجْرِكَ المُغلَّف بالسَّحـ ـرِ ، فَضاءً مِنَ النَّشِيدِ الهادِي

وسَحاباً مِنَ الرُّؤى ، يَتَهادَى في ضَمِيرِ الآزالِ والآبادِ

وضِياءً ، يُعانِقُ العالَمَ الرَّحْـ ـبَ ، ويَسْرِي في كُلِّ خافٍ وبَادِ[7]

---

(1) تعبق : تنتشر رائحته . والصبا : الشباب .

(2) المدلج : السائر ليلاً . والتائه : الضائع .

(3) الرحيق : الخمر .

(4) وجم : سكت . والناي : نوع من آلات الطرب . وغام الفضا : غطّاه الغيم . والبروق : جمع برق ، وهو اللمع .

(5) المشوق : المشتاق .

(6) أوراقاً بداداً : متفرقة . وورود ذابلات : يابسات .

(7) الخافي : المختفي . والبادي : الظاهر .

وانْقَضَى الفَجرُ ، فَانْحدرْتُ منَ الأُفْـ ـقِ تُراباً إلى صَمِيمِ الوادِي

* * *

يا صَمِيمَ الحَياةِ ! كَمْ أنا في الدُّنْـ ـيا غَرِيبٌ أَشْقَى بِغُرْبَةِ نَفْسِي
بَيْنَ قَومٍ ، لا يَفْهَمُون أَناشِيْـ ـدَ فُؤادِي ، ولا مَعانِيَ بُؤْسِي
في وجُودٍ مُكَبِّلٍ بِقُيُودٍ ، تائِهٍ في ظَلامِ شَكٍّ ونَحْسِ
فَاحْتَضِنِّي ، وضُمَّنِي لَكَ ـ كالما ضِي ـ فَهذا الوُجُودُ عِلَّةُ يَأْسِي

* * *

لَمْ أَجدْ في الوُجُودِ إلاَّ شقاءً ، سَرْمَدِيًّا ، ولذّةً ، مُضْمَحِلَّهْ[1]
وأَمانِيَّ ، يُغرِقُ الدَّمعُ أَحْلا ها ، ويُفنِي يَمُّ الزَّمانِ صَداها[2]
وأَناشِيدَ ، يَأكُلُ اللَّهَبُ الدَّا مِي مَسَرَّاتِها ، ويُبْقِي أَساها
ووُرُوداً ، تَمُوت في قَبضَةِ الأَشْـ ـواكِ ما هَذِهِ الحَياةُ المُمِلَّهْ ؟!
سَأْمٌ هَذِهِ الحَياةُ مَعادٌ وصَباحٌ ، يَكُرُّ في إثرِ لَيْلِ
لَيْتَنِي لَمْ أَفِدْ إلى هَذِهِ الدُّنـ ـيا ، ولَمْ تَسْبَحِ الكَواكِبُ حولِي ![3]
لَيْتَنِي لَمْ يُعانِقِ الفَجْرُ أَحْلا مِي ، ولَمْ يَلْثُمِ الضِّياءُ جفُونِي
لَيْتَنِي لَمْ أزلْ ـ كَما كُنتُ ـ ضوءاً شائِعاً في الوجُودِ ، غَيْرَ سَجِينِ !

* * *

(1) الشقاء السرمدي : الدائم الذي لا ينقطع .
(2) اليمّ : البحر . والصدى : رجع الصوت وارتداده .
(3) أفد : آتي ، وأراد أخلق .

قافية اللام

[58]

قلب الأم

قال : (مجزوء الكامل)

يـا أيُّـهـا الـطِّـفْـلُ الـذي قَـدْ كَـانَ كـالـلَّـحْـنِ الـجَـمِـيـلْ
والـوَرْدَةِ الـبَـيْـضـاءِ ، تَـعْـبَـقُ فـي غِـيـابـاتِ الأَصِـيـلْ[1]
يـا أيُّـهـا الـطِّـفْـلُ الـذي قَـدْ كَـانَ فـي هَـذا الـوُجُـودْ
فَـرِحـاً ، يُـنـاجـي فِـتْـنَـةَ الـدُّنـيـا بِـمَـعْـسُـولِ الـنَّـشِـيـدْ
هـا أَنْـتَ ذا قَـدْ أَطْـبَـقَـتْ جَـفْـنَـيـكَ أَحْـلامُ الـمَـنُـونْ[2]
وتَـطـايَـرَتْ زُمَـرُ الـمَـلائِـكِ حـولَ مـضْـجَـعِـكَ الأَمِـيـنْ[3]
ومَـضَـتْ بِـرُوحِـكَ لـلـسَّـمـاءِ عَـرائِـسُ الـنُّـورِ الـحَـبِـيـبْ
يَـحـمِـلْـنَ تِـيـجـانـاً ، مُـذَهَّـبَـةً ، مِـنَ الـزَّهَـرِ الـغَـرِيـبْ
هـا أَنْـتَ ذا قَـدْ جَـلَّـلَـتْـكَ سَـكِـيـنَـةُ الأبـدِ الـكَـبِـيـرْ[4]
وبَـكَـتْـكَ هـاتِـيـكَ الـقُـلُـوبُ ، وضَـمَّـكَ الـقَـبْـرُ الـصَّـغِـيـرْ
وتـفـرَّقَ الـنَّـاسُ الـذيـنَ إلـى الـمَـقـابِـرِ شَـيَّـعُـوكْ[5]
ونَـسُـوكَ مـن دنـيـاهُـمُ ، حَـتَّـى كَـأَنْ لَـمْ يَـعْـرِفُـوكْ
شَـغَـلَـتْـهُـمُ عَـنْـكَ الـحَـيـاةُ ، وحَـرْبُ هَـذِي الـكَـائِـنـاتْ
إنَّ الـحَـيـاةَ ـ وقَـدْ قـضـيْـتَ قُـبَـيْـلَ مـعـرِفَـةِ الـحَـيـاةْ ـ

---

(1) تعبق : تنتشر رائحتها . والغيابات : جمع غيابة ، وغيابة كل شيء : قعره . والأصيل : الوقت بين العصر والمغرب .

(2) المنون : الموت .

(3) الزمر : الجماعات . والمضجع : المرقد .

(4) جللتك : عمّتك وغمرتك . والسكينة : الهدوء .

(5) شيّعوك : خرجوا معك ليودعوك ويبلغوك قبرك .

بَحْرٌ ، قَرارَتُهُ الرَّدَى ، ونَشِيْدُ لُجَّتِهِ ، شَكاةْ[1]
وعلى شَواطِئِهِ القُلُوبُ تَئِنُّ ، دامِيَةً عُراةْ
بَحْرٌ ، تَجِيشُ بِهِ العَواصِفُ في العَشِيَّةِ والغَداةْ[2]
وتُظِلُّهُ سُحُبُ الظَّلامِ ، فَلا سكونَ ولا إياةْ[3]
نَسِيَتْكَ أَمْواجُ البُحَيْرَةِ ، والنُّجُومُ اللاَّمِعَهْ
والبُلبُلُ الشَّادِي ، وهاتِيكَ المرُوجُ الشَّاسِعَهْ[4]
وجَداولُ الوادِي النَّضِيرِ برقْصِها وخَرِيرِها[5]
ومسالكُ الجَبلِ الصَّغِيرِ بعُشْبِها وزُهُورِها
حَتَّى الرِّفاقُ ... ، فَإنَّهُمْ لَبِثُوا مدًى يَتَساءَلُونْ
في حَيْرَةٍ مَشْبُوبَةٍ : « أَيْنَ اخْتَفَى هَذا الأَمِينْ ؟»
لَكِنَّهُمْ عَلِمُوا بِأَنَّكَ في اللَّيالِي الدَّاجِيَهْ[6]
حَمَلَتكَ غِيلانُ الظَّلامِ إلى الجِبالِ النَّائِيَهْ[7]
فَنَسُوكَ مِثْلَ النَّاسِ ... وانْصَرفُوا إلى اللَّهْوِ الجَمِيلْ
بَيْنَ الخَمائِلِ والجَداوِلِ ، والرَّوابِي ، والسُّهُولْ[8]
ونَسُوا وَداعَةَ وَجْهِكَ الهادِي ، ومنظَرَكَ الوَسِيمْ
ونَسُوا تَغَنِّيكَ الجَمِيلَ بِصَوتِكَ الحلوِ ، الرَّخِيمْ[9]

---

(1) قرارته : عمقه . والردى : الموت . واللجة : الأمواج المتلاطمة . والشكاة : الشكوى .

(2) تجيش به العواصف : تضج وتضطرب . والغداة : الصباح الباكر .

(3) الإياة : شعاع الشمس وضوؤها .

(4) البلبل الشادي : المغني . ومروج شاسعة : كبيرة واسعة .

(5) النضير : الجميل الحسن . والخرير : صوت جريان الماء .

(6) الداجية : المظلمة .

(7) الغيلان : جمع الغول ، وهو نوع من الشياطين تظهر للناس فتضلهم ، أو حيوان وهمي لاوجود له. وجبال نائية : بعيدة .

(8) الخمائل : جمع خميلة ، وهي الشجر المجتمع الكثير الملتف.

(9) صوت رخيم : لين سهل .

ومَضَوْا إلى المَرْجِ البَهِيجِ ، يُطارِدُون طُيُورَهُ
ويُزَحْزِحُونَ صُخورَهُ ، ويُعابِثُونَ زُهُورَهُ
ويُشَيِّدونَ مِنَ الرِّمالِ البِيْضِ ، والحَصَبِ النَّضِيرْ[1]
غُرَفاً ، وأَكْواخاً تُكَلِّلُها الحَشائِشُ والزُّهُورْ
ويُنضِّدون من الرُّبَى ، بَيْنَ التَّضاحُكِ والحُبُورْ[2]
طَاقاتِ وردٍ ، آبِدٍ تُزْرِي بأوْرادِ القُصُورْ[3]
يُلقُونها في النَّهرِ ، قُرباناً لآلِهَةِ السُّرُورْ[4]
فَتَسِيرُ في التَّيارِ ، راقِصَةً على نَغَمِ الخَرِيرْ
كُلٌّ نَسُوكَ ، ولَمْ يَعُودُوا يَذْكُرونَكَ في الحَياةْ
والدَّهْرُ يَدْفُنُ في ظَلامِ المَوْتِ حَتَّى الذِّكْرياتْ
إلاَّ فُؤاداً ، ظَلَّ يَخفُقُ في الوُجُودِ إلى لِقاكْ
ويَودُّ لَو بَذَلَ الحَياةَ إلى المَنِيَّةِ ، وافْتَداكْ
فَإذا رأى طِفلاً بكاكَ ، وإنْ رَأى شَبَحاً دَعاكْ
يُصْغِي لِصوتِكَ في الوُجُودِ ، ولا يَرَى إلاَّ بهاكْ[5]
يُصْغِي لِنَغمتكَ الجَمِيلَةِ في خَرِيرِ السَّاقِيَهْ
في رَنَّةِ المِزْمارِ ، في لَغْوِ الطُّيورِ الشَّادِيَهْ[6]
في ضَجَّةِ البَحرِ المُجَلجِلِ ، في هَدِيرِ العاصِفَهْ[7]
في نَغْيَةِ الحَمَلِ الوَدِيعِ ، وفي أَناشِيدِ الرُّعاةْ[8]

---

(1) الحصب : صغار الحجارة . والنضير : المبلل الندي .

(2) نضد الورد : ضم بعضها إلى بعضٍ منسقاً . والربى : التلال ، الواحدة ربوة .

(3) طاقات الورد : باقات الورد . وتزري : تعيب وتستهزئ . وأوراد القصور : وردها .

(4) القربان : ما يتقرب به إلى الله أو غيره .

(5) البهاء : الحسن والجمال .

(6) لغو الطيور : زقزقتها وكلامها الذي لا يفهم . والطيور الشادية : المغنية .

(7) بحر مجلجل : شديد الصوت . وهدير العاصفة : صوتها .

(8) النغية : الصوت الحسن .

بَيْنَ المرُوجِ الخُضْرِ والسَّفْحِ المجلَّلِ بالنَّباتْ[1]
في آهَةِ الشَّاكِي ، وضَوْضاءِ الجُمُوعِ الصَّاخِبَهْ[2]
في شهقةِ الباكِي يؤجِّجُها نُواحُ النَّادِبَهْ[3]
في كُلِّ أَصْواتِ الوُجُودِ ، طَرُوبِها وكَئِيبِها
ورَخِيمِها ، وعَنِيفِها ، وبَغِيضِها ، وحَبِيبِها
ويَراكَ في صُوَرِ الطَّبِيعَةِ : حُلوِها ، وذَمِيمِها
وحَزِينِها وبَهِيجِها ، وحَقِيرِها وعَظِيمِها
في رِقَّةِ الفَجرِ الوَدِيعِ ، وفي اللَّيالِي الحالِمَهْ
في فِتْنَةِ الشَّفقِ البَدِيعِ ، وفي النُّجُومِ الباسِمَهْ
في رقْصِ أَمْواجِ البُحَيْرَة ، تَحْتَ أَضْواءِ النُّجُومْ
في سِحْرِ أَزْهارِ الرَّبِيعِ ، وفي تهاوِيلِ الغُيُومْ[4]
في لَمْعَةِ البَرْقِ الخَفُوقِ ، وفي هُوِيِّ الصَّاعِقَهْ
في ذِلَّةِ الوادِي ، وفي كِبْرِ الجِبالِ الشَّاهِقَهْ
في مَشْهَدِ الغابِ الكَئِيبِ ، وفي الوُرُودِ العاوِيَهْ[5]
في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الحَزِين ، وفي الكُهُوفِ العارِيَهْ
أعَرفتَ هَذا القَلْبَ في ظَلْماءِ هاتِيكَ اللُّحُودْ ؟
هُوَ قَلْبُ أُمِّكَ ، أُمِّكَ السَّكْرَى بِأَحْزانِ الوُجُودْ
هُوَ ذلك القَلْبُ الذي سَيَعيشُ كالشَّادِي الضَّرِيرْ
يَشدُو بِشَكْوَى حُزْنِهِ الدَّاجي إلى النَّفَسِ الأَخِيرْ
لا ربَّةُ النِّسيان تَرْحَمُ حُزْنَهُ وتَرَى شقاهْ

---

(1) المجلل : المغطّى والملبس .

(2) الضوضاء : الضجيج والجلبة .

(3) النواح : البكاء . والنادبة : المرأة تندب الميت وتبكي عليه .

(4) التهاويل : زينة التصاوير والنقوش والوشي ، مفردها تهويل .

(5) الورود : جمع الورد ، وهو الأسد . والعاوية : المصوتة بزئيرها .

كَـــلاّ ! ولا الأَيَّـــامُ تُـــبْـــلِـــي فـــي أَنـــامِـــلِـــهـــا أَســـاهْ[1]
إلاّ إذا ضَـــفَـــرَتْ لَـــهُ الأَقْـــدارُ إكْـــلِـــيـــلَ الـــجـــنُـــونْ[2]
وغَـــدا شَـــقِـــيًّـــا ضَـــاحِـــكـــاً ، تَـــلْـــهُـــو بِـــمَـــرآهُ الـــسُّـــنُـــونْ
هـــو ذلـــكَ الـــقَـــلْـــبُ الـــذي مَـــهْـــمـــا تَـــقَـــلّـــبـــتِ الـــحَـــيـــاةْ
وتَـــدفَّـــعَ الـــزَّمَـــنُ الـــمُـــدَمْـــدِمُ فـــي شِـــعـــابِ الـــكَـــائِـــنـــاتْ[3]
وتَـــغَـــنَّـــتِ الـــدُّنـــيـــا ، وغَـــرَّد بُـــلْـــبُـــلُ الـــغـــابِ الـــجَـــمِـــيـــلْ
سَـــيَـــظـــلُّ يَـــعـــبُـــدُ ذكـــريـــاتِـــكِ : لا يَـــمَـــلُّ ، ولا يَـــمِـــيـــلْ
كَـــالأَرْضِ : تَـــمْـــشِـــي فَـــوقَ تُـــربَـــتِـــهـــا الـــمـــسِـــرّةُ ، والـــشَّـــبـــابْ
واللَّـــيْـــلُ ، والـــفَـــجـــرُ الـــمُـــجَـــنَّـــحُ ، والـــعَـــواصِـــفُ ، والـــسَّـــحـــابْ
والـــحُـــبُّ تَـــنْـــبُـــتُ فـــي مَـــواطِـــنِـــهِ الـــشَّـــقـــائِـــقُ ، والـــوُرُودْ
والـــمَـــوْتُ تُـــحْـــفَـــرُ - أَيْـــنَـــمـــا يـــخـــطُـــو - الـــمَـــقـــابِـــرُ واللّـــحُـــودْ
وتَـــمـــرُّ بَـــيْـــنَ فِـــجـــاجِـــهـــا الـــلّـــذاتُ ، حـــالِـــمَـــةً ، تَـــمِـــيـــدْ[4]
سَـــكْـــرَى ، وأَشْـــواقُ الـــوَرَى تَـــرنُـــو إلـــى الأُفـــقِ الـــبَـــعِـــيـــدْ ....[5]
وتَـــظَـــلُّ تَـــرْقُـــصُ لـــلأَسَـــى ، لـــلّـــهْـــوِ ، أَشْـــبـــاحُ الـــدُّهُـــورْ
حَـــتّـــى يُـــوارِيَـــهـــا ضَـــبـــابُ الـــمَـــوْتِ فـــي وادِي الـــدُّثُـــورْ[6]
وتَـــظَـــلُّ تُـــورِقُ ، ثُـــمَّ تُـــزْهِـــرُ ثُـــمَّ يَـــنْـــشُـــرُهـــا الـــصَّـــبـــاحْ
لـــلـــمَـــوْتِ ، لـــلـــشَّـــوْكِ الـــمُـــمَـــزِّقِ ، لـــلـــجَـــداوِلِ لـــلـــرِّيـــاحْ
بَـــسَـــمـــاتُ ثَـــغْـــرٍ ، حـــالِـــمٍ ، يـــفـــتَـــرُّ فـــي سَـــهْـــوِ الـــسُّـــرورْ[7]
ووُرودُ روضٍ ، بـــاسِـــمٍ ، يُـــصْـــغِـــي لأَلْـــحـــانِ الـــطُّـــيُـــورْ

---

(1) تبلي : تفني . وأساه : حزنه .

(2) ضفرت الإكليل : نسجت بعضه على بعضٍ .

(3) المدمدم : الغاضب .

(4) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق بين جبلين . وتميد : تضطرب وتتحرك .

(5) الورى : الناس . وترنو : تديم النظر .

(6) يواريها : يخفيها ويسترها . والدثور : الهلاك .

(7) يفتر : يبسم . وسهو السرور : غفلته .

وتَـظَـلُّ تَـخـفـقُ ، ثُـمَّ تـشْـدُو ، ثُـمَّ يَـطْـوِيْـهـا الـتُّـرابْ
قُـبَـلٌ ، وأَطْـيـارٌ ، تُـغَـرِّدُ لـلـحَـيـاةِ ، ولـلـشَّـبـابْ
وتَـظَـلُّ تَـمْـشِـي فـي جِـوارِ الـمَـوْتِ أَفْـراحُ الـحَـيـاةْ !...
ويُـغـرِّدُ الـشُّـحـرُورُ مـا بَـيْـنَ الـجَـمـاجِـمِ والـرُّفـاتْ[1]
والأَرْضُ حَـالِـمَـةٌ : ، تُـغَـنِّـي بَـيْـنَ أَسْـرابِ الـنُّـجُـومْ
أُنـشـودَةَ الـمـاضِـي الـبَـعِـيـدِ ، وسُـورَةَ الأزَلِ الـقَـدِيـمْ ....

[59]

أراكِ

قال : (المتقارب)

أَراكِ ، فَـتَـحْـلُـو لَـدَيّ الـحَـيـاةُ ويَـمـلأُ نَـفْـسِـي صَـبـاحُ الأَمَـلْ
وتَـنْـمُـو بِـصَـدْرِي وُرُودٌ ، عِـذابٌ وتَـحْـنُـو على قَـلْـبِـيَ الـمُـشْـتَـعِـلْ
ويَـفْـتِـنُـنِـي فِـيْـكِ فَـيـضُ الـحَـيـاةِ وذاكَ الشَّبابُ ، الوَدِيعُ ، الثَّمِلْ[2]
ويَـفْـتِـنُـنِـي سِـحْـرُ تِـلْـكَ الـشِّـفـاهِ تُـرفـرفُ مِـنْ حَـوْلِـهِـنَّ الـقُـبَـلْ
فَـأَعْـبُـدُ فِـيْـكِ جَـمـالَ الـسَّـمـاءِ ، ورِقَّـةَ وَرْدِ الـرَّبِـيـعِ ، الـخـضِـلْ[3]
وطُـهْـرَ الـثُّـلُـوجِ ، وسِـحْـرَ الـمُـرُوجِ مُـوَشَّـحَـةً بِـشُـعـاعِ الـطَّـفَـلْ[4]

* * *

أَراكِ ، فَـأُخْـلَـقُ خـلْـقـاً جَـدِيـداً كَـأَنِّـيَ لَـمْ أَبْـلُ حَـربَ الوُجُودْ[5]
ولَـمْ أَحْـتَـمِـلْ فِـيْـهِ عِـبْـئـاً ثَـقِـيـلاً مـن الـذِّكْـرَيـاتِ الـتـي لا تَـبِـيـدْ[6]

---

(1) الشحرور : من الطيور المغردة . والرفات : بقايا الميت .

(2) يفتنني : يعجبني ويسحرني . والثمل : السكران .

(3) ورد خضل : ندي ناعم .

(4) الطفل : الوقت قبيل غروب الشمس ، أو بُعيد طلوع الشمس .

(5) بلا : خبر وعرف .

(6) لا تبيد : لا تفنى ولا تُنسى .

وأَضغـاثِ أَيَّـامِـي الـغـابِـراتِ ... وفِيها الشَّقِيُّ ، وفِيْها السَّعِيدْ[1]
ويغْمُرُ رُوحِي ضِياءٌ ، رَفِيقٌ ... تُكـلّـلُـهُ رائِـعـاتُ الـوُرُودْ
وتُسْمِعُنِي هـاتِـهِ الكَائِنـاتُ ... رقيقَ الأَغـانِي ، وحُـلـوَ النَّشِيدْ
وتَـرْقُـصُ حَـولِي أَمـانٍ ، طِـرابٌ ... وأَفْراحُ عُـمْرٍ خَـلِيٍّ ، سَعِيدْ[2]

* * *

أَراكِ ، فَتَخْفُقُ أَعْصابُ قَلْبِي ... وتـهـتـزُّ مِـثْـلَ اهْـتِـزازِ الـوَتَـرْ
ويُجرِي عَلَيْها الـهَـوَى ، فِي حُـنُـوٍّ ... أَنـامِـلَ لُـدْنـاً ، كَـرَطْـبَ الـزَّهَـرْ[3]
فَـتَـخْـطُـو أَناشِيدُ قَـلْـبِـيَ ، سَكْرَى ... تُـغَـرِّدُ ، تَـحْـتَ ظِـلالِ الـقَـمَـرْ
وتَـمْـلأُنِي نَـشْـوَةٌ ، لا تُـحَـدُّ ... كَـأَنِّـيَ أَصْـبَـحْـتُ فَـوقَ الـبَـشَـرْ
أَوَدُّ بِـرُوحِـي عِـنـاقَ الـوُجُـودِ ... بِـمـا فِـيْـهِ مِنْ أَنْـفُـسٍ ، أو شَـجَـرْ
ولَـيْـلٍ يَـفِـرُّ ، وفَـجْـرٍ يَـكُـرُّ ... وغَـيْـمٍ ، يُـوَشِّـي رِداءَ الـسَّـحَـرْ[4]

[60]

زوبعة في ظلام

قال : (السريع)

لَـوْ كَـانَـتِ الأَيَّـامُ فِـي قَـبْـضَـتِـي ... أَذْرَيْـتُـهـا لـلـرِّيـحِ ، مِثْلَ الرِّمالْ[5]
وقُـلـتُ : يا رِيـحُ ، بِـهـا فَـاذْهَـبِـي ... وبـدِّديـهـا فِي سَـحِـيـقِ الـجِـبـالْ[6]
بَـلْ فِي فجاجِ الـمَـوْتِ ... فِي عالَمٍ ... لا يـرقُـصُ الـنُّـورُ بِـهِ والـظِّـلالْ[7]

---

(1) أضغاث الأحلام : ما كان ملتبساً مختلطاً لا يصح تأويله لاختلاطه والتباسه .

(2) الخلي : الخالي من الهموم .

(3) أنامل لدن : ليّنة . والرطب : الندي الناعم من الزهور .

(4) يوشي : يزين ويطرز . والسحر : قبيل الصبح .

(5) أذريتها : فرقتها وأطرتها .

(6) بدّديها : فرّقيها . وسحيق الجبال : بعيدها .

(7) الفجاج : الطرق ، الواحد فجٌّ .

لَوْ كَانَ هَذا الكَونُ في قَبْضَتِي ... أَلْقَيْتُهُ في النَّارِ ، نارِ الجَحِيمْ
ما هَذهِ الدُّنيا ، وهَذا الوَرَى ... وذلِكَ الأُفْقُ ، وتِلْكَ النُّجُومْ ؟
النَّارُ أَوْلَى بِعَبِيدِ الأَسَى ، ... ومَسرحِ المَوْتِ ، وعُشِّ الهُمُومْ

* * *

يا أَيُّها الماضِي الذي قَدْ قَضَى ... وضمَّهُ المَوْتُ ولَيْلُ الأَبَدْ
يا حاضِرَ النَّاس الذي لَمْ يَزُل ! ... يا أيُّها الآتِي الذي لَمْ يَلِدْ
سَخافَةٌ دُنياكُمُ هَذهِ ... تائِهَةٌ في ظُلْمَةٍ لا تُحَدْ[1]

[61]

غرفة من يمّ

قال : (البسيط)

ضُعْفُ العَزِيْمَةِ لَحْدٌ ، في سَكِينَتِهِ ... تَقْضِي الحَياةُ ، بَناهُ اليأسُ والوجلُ[2]
وفي العَزِيْمَةِ قُوَّاتٌ مُسَخَّرَةٌ ، ... يَخِرُّ دُونَ مَداها الشَّامِخُ الجَبَلُ[3]
والنَّاس شَخْصانِ : ذا يَسْعَى بِهِ قَدَمٌ ... مِنَ القُنُوطِ ، وذا يَسْعَى بِهِ الأَمَلُ[4]
هذا إلى المَوْتِ ، والأَجْداثُ ساخِرَةٌ، ... وذا إلى المَجْدِ ، والدُّنْيا لَهُ خَوَلُ[5]
ما كُلُّ فِعْلٍ يُجِلُّ النَّاسُ فاعِلَهُ ... مَجْداً ، فإنَّ الوَرَى في رَأْيِهِمْ خَطَلُ[6]
فَفي التَّماجُدِ تَمْوِيهٌ وشَعْوَذَةٌ ، ... وفي الحَقِيقَةِ ما لا يُدْرِكُ الدَّجَلُ[7]
ما المَجْدُ إلاَّ ابْتِساماتٌ يَفِيضُ بِها ... فمُ الزَّمان ، إذا ما انْسَدَّتِ الحِيَلُ

---

(1) قوله : لا تحد ، أي : لا حدود لها .

(2) العزيمة : ما عزمت عليه . واللحد : القبر . والوجل : الخوف .

(3) يخرّ : يسقط ويهوي . والشامخ : العالي المرتفع .

(4) القنوط : اليأس .

(5) الأجداث : القبور ، الواحد جدث . والمجد : النبل والشرف والكرم . والخول : الخدم .

(6) يجل : يكبر ويعظم . والورى : البشر . ورأي خطل : فاسد رديء .

(7) التماجد : التفاخر . والتمويه : التضليل . والشعوذة : خفة في اليد وأخذ كالسحر . والدجل : الكذب.

ولَيْسَ بالـمَجْدِ ما تَشْقَى الـحَياةُ بِهِ ... فَيَحْسُدُ اليَوْمُ أَمْساً ، ضَمَّهُ الأَزَلُ

فَما الحُرُوب سِوَى وَحشِيَّةٍ ، نَهَضَتْ ... فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، فانْقادَتْ لَها الدُّولُ

وأَيْـقَـظَـتْ فِي قُلُوبِ النَّاسِ عاصِفَةً ... غَامَ الوجُودُ لَها ، واربَدَّت السُّبُلُ[1]

فَـالـدَّهْـرُ مُـنْـتَـعِـلٌ بِالنَّارِ ، مُلْتَحِفٌ ... بِالـهَوْلِ والوَيْلِ ، والأَيَّامُ تَشْتَعِلُ[2]

والأَرْضُ دامِـيَـةٌ ، بِالإِثْمِ طَـامِـيَـةٌ ، ... ومارِدُ الشَّـرِّ فِي أَرْجـائِـهـا ثَـمِـلُ[3]

والمَوْتُ كالـمارِدِ الـجَبَّار ، مُنْتَصِبٌ ... فِي الأَرْضِ يَخْطُفُ مَنْ قَدْ خانَهُ الأَجَلُ[4]

وفـي الـمَـهـامِـهِ أَشْـلاءٌ ، مُـمَـزَّقَـةٌ ... تَتْلُو على القفْرِ شِعْراً ، لَيْسَ يُنْتَحَلُ[5]

[62]

ذكرى صباح

قال : (الخفيف)

قَـدَّسَ الـلَّـهُ ذِكْـرَهُ مِـن صَـبـاحٍ ... سَـاحِـرٍ ، فِي ظِـلالِ غابٍ جَـمِـيـلِ

كَانَ فِيْهِ الـنَّـسِـيـمُ ، يرقُصُ سَكْرا ... نَاً على الوردِ ، والنَّباتِ البَـلِـيـلِ[6]

وضَبابُ الـجِـبـالِ ، يَنْسابُ فِي رفْـ ... ـقٍ بَـدِيـعٍ ، على مُروج السُّهولِ[7]

وأَغانِي الرُّعاة ، تـخفُقُ فِي الأَغْـوارِ ... والـسَّـهْـلِ ، والرُّبَى ، والـتُّـلـولِ[8]

---

(1) غام الوجود لها ، أي : أصبح غائماً . واربدّت : اغبرّت . والسبل : الطرق .

(2) المنتعل : اللابس النعل بقدميه . والملتحف : المتدثر باللحاف . والهول : الخوف والفزع .

(3) دامية : من كثرة القتلى والدماء . وطامية : مغمورة . والإثم : الذنب . وثمل : سكران .

(4) قوله : قد خانه الأجل ، أي : انتهى أجله .

(5) المهامه : جمع مهمه ، وهي الفلاة لا ماء بها ولا أنيس . والقفر : الخلاء . وانتحل شعر غيره : نسبه لنفسه .

(6) نبات بليل : ندي مبلل .

(7) ينساب : يجري .

(8) تخفق : تضطرب وتتحرك . والأغوار : جمع الغور ، وهو المنخفض من الأرض . والربى : جمع ربوة ، وهي التلة .

ورحابُ الفضاءِ ، تَعْبُقُ بالأَلْحانِ والعِطْرِ ، والضِّياءِ الجَمِيلِ[1]

والملاكُ الجَمِيلُ ، ما بَيْنَ رَيْحانٍ وعُشْبٍ ، وسِنْديانٍ ، ظَلِيلِ[2]

يَتَغَنَّى مَعَ العَصافِيرِ ، في الغا بِ ويرنُو إلى الضَّبابِ الكَسُولِ[3]

وشُعُورُ المَلاكِ ترقُصُ بالأَزْ هارِ والضَّوءِ ، والنَّسِيمِ العَلِيلِ[4]

* * *

حُلُمٌ ساحِرٌ ، بِهِ حَلُمَ الغا بُ فَواهاً لِحُلْمِهِ المَعْسُولِ !

مِثْلُ رؤيا تَلُوحُ للشَّاعِرِ الفَنْـ ـنانِ في نَشوَةِ الخَيالِ الجَلِيلِ[5]

قَدْ تَمَلَّيْتُ سِحْرَهُ في أناةٍ وحَنانٍ ، ولَذَّةٍ ، وذُهُولِ[6]

ثُمَّ نَادَيتُ ، حِينَما طفحَ السِّحْـ ـرُ بِأَرْجاءِ قَلْبِيَ المَتْبُولِ[7]

يا شُعُورٌ تَمِيدُ في الغابِ بالرَّيْـ ـحانِ ، والنُّورِ ، والنَّسِيمِ البَلِيلِ[8]

كَبِّلِينِي بهاتِهِ الخُصَلِ المُرْ خاةِ في فِتنَةِ الدَّلالِ المَلُولِ[9]

كَبِّلِي يا سَلاسلَ الحبِّ أَفْكا رِي ، وأَحْلامَ قَلْبِيَ الضَّلِّيلِ[10]

كَبِّلِينِي بكُلِّ ما فِيْكِ من عِطْـ ـرٍ وسحرٍ مُقَدَّسٍ ، مَجْهُولِ

كَبِّلِينِي ، فَإِنَّما يُصْبِحُ الفَنْـ ـنانُ حُرًّا ، في مِثْلِ هَذِي الكُبُولِ[11]

* * *

---

(1) عبق الفضاء بالعطر : انتشرت رائحته فيه . والضياء : النور .

(2) الظليل : ذو الظل الدائم .

(3) يرنو : ينظر في إدامة طرف .

(4) نسيم عليل : لين ناعم .

(5) الرؤيا : ما يراه النائم في نومه من الأحلام .

(6) تمليت سحره : استمتعت به . والأناة : التؤدة . والذهول : الانشغال والغفلة .

(7) طفح قلبي : امتلأ حتى فاض . والمتبول : الذي أسقمه الحب وذهب بعقله .

(8) تميد : تتحرك وتضطرب . ونسيم بليل : ندي .

(9) كبليني : قيّديني . والخصل : جمع خصلة الشعر . والملول : الضجر السئم .

(10) قلب ضليل : كثير الضلال .

(11) الكبول : جمع كبل ، وهو القيد .

لَيْتَ شِعري ! كَمْ بَيْنَ أَمْواجِكِ السُّو ... دِ ، وطَيَّاتِ لَيْلِكِ المَسْدُولِ[1]
من غَرامٍ مُذَهَّبِ التَّاجِ ، مَيْتٍ ... وفُؤادٍ مصفَّدٍ ، مَغْلُولِ[2]
وزهُورٍ من الأَمانِيِّ تذوِي ... في شُحُوبٍ ، وخَيبَةٍ ، وخُمُولِ[3]
أنتِ لا تعلمينَ ... واللَّيْلُ لا يَعْـ ... ـلَمُ كَمْ في ظلامِهِ مِنْ قَتِيلِ
أَنْتِ أُرْجُوحَةُ النَّسِيمِ فَمِيلِي ... بالنَّسِيمِ السَّعِيدِ كُلَّ مَمِيلِ
ودَعِي الشَّمسَ والسَّماءَ تُسَوِّي ... لَكِ تاجاً ، من الضِّياءِ الجَمِيلِ
ودَعِي مُزْهِرَ الغُصُونِ يُغَشِّيـ ... ـكِ بِأَوْراقِ وَرْدِهِ المَطلُولِ[4]

* * *

لِلشُّعاعِ الجَمِيلِ أَنْتِ ، وللأَنْسا ... مِ ، والزَّهرِ ، فَالْعَبِي ، وأَطِيلِي
ودعِي للشَّقِيِّ أَشْواقَهُ الظَّمْـ ... ـأَى وأَوْهامَ ذِهْنِهِ المَعلُولِ[5]
يا عرُوسَ الجِبالِ ، يا وَردَةَ الآ ... مالِ ، يا فِتْنَةَ الوُجُودِ الجَلِيلِ
لَيْتَنِي كُنتُ زَهْرَةً ، تَتَثَنَّى ... بَيْنَ طَيَّاتِ شَعْرِكِ المَصْقُولِ ![6]
أو فَراشاً ، أَحُومُ حَولكِ مَسْحُوْ ... راً غَرِيقاً ، في نشوتِي ، وذُهُولِي !
أو غُصُوناً ، أَحْنُو عَلَيكِ بِأَوْرا ... قِي حُنُوَّ المُدَلَّهِ ، المتبُولِ ![7]
أو نَسِيماً ، أضُمُّ صَدْرَكِ في رِفْـ ... ـقٍ ، إلى صَدْرِيَ الخفُوقِ ، النَّحِيلِ[8]
آهِ ! كَمْ يُسْعِدُ الجَمالُ ، ويُشْقِي ... مِنْ قُلُوبٍ شِعْرِيَّةٍ ، وعُقُولِ

* * *

---

(1) ليل مسدول : مخيم مرخى .

(2) المصفد : الموثق بالأصفاد . والمغلول : المقيد بالأغلال .

(3) تذوي : تذبل . والشحوب : التغيّر والهزال .

(4) الورد المطلول : المغطى بالطلّ ، وهو الندى .

(5) الذهن المعلول : المريض بعلّة .

(6) تتثنى : تتمايل . وطيات شعرك : جنباته . والمصقول : الأملس .

(7) المدله : المحيّر الذي ذهب الحب بعقله . والمتبول : الذي أسقمه الحب .

(8) الخفوق : الكثير الخفقان . والنحيل : الهزيل .

[66]

خَلّه للموت

قال : (الرمل)

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الخَسْفَ ، وما ... مَلَّ مِنْ ذُلِّ الحَياةِ الأَرْذَلِ[1]

كُلُّ شَعْبٍ قَدْ طَغَتْ فِيْهِ الدِّما ... دُونَ أَنْ يَثْأَرَ لِلْحَقِّ الجَلِي[2]

خَلِّهِ لِلْمَوْتِ يَطْوِيْهِ ! ... فَما ... حَظُّهُ غَيْرُ الفَناءِ الأَنْكَلِ[3]

* * *

(1) الخسف : الذل والهوان .

(2) طغت : كثرت . والحق الجلي : الواضح .

(3) الفناء : الموت .

قافية الميم

[67]

أكثرت يا قلبي فماذا تروم ؟

قال : (السريع)

يا قَـلْـبِـيَ الـدَّامِـي ! إلامَ الوُجُومْ !؟[1]
يَكْفِيكَ ! إنَّ الـحُـزْنَ فَـظٌّ ، غَشُومْ[2]
هَـذِي كُـؤوسِـي مُـرَّةً ، كـالـرَّدَى[3]
مـا مِـلْـؤُهـا إلاَّ عَـصِـيـرُ الـهُـمُـومْ
وذاكَ نَـايِـي صـامِـتٌ ، واجِـمٌ
يُـصْـغِـي إلى صَـوْتِ الـغَـرامِ الـقَـدِيـمْ
يـا قَـلْـبِـيَ الـبـاكِـي إلامَ الـبُـكـا ؟
مـا فـي فَـضـاءِ الـكَـونِ شَـيءٌ يَـدُومْ
فَـانْـثُـرْ غُـبـارَ الـحُـزْن فَوقَ الدُّجَى[4]
واسْـمـعْ إلى صَوتِ الشَّبابِ الـرَّخِـيـمْ
وانْـقُـرْ عـلـى دَفِّ الـهَـوَى لَـحـنَـهُ
وارقُصْ مَعَ النُّور الـضَّـحُـوك الـوَسِـيـمْ
يـا قَـلْـبِـيَ الـدَّاجِـي ! إلامَ الـوُجُـومْ ؟
إنْ لَـمْ أَلُـمْ قَـلْـبِـي فَـمَـنْ ذا ألـومْ ؟
مـا لَـكَ لا تُـصْـغِـي لِـغَـيـرِ الأَسَـى ؟

---

(1) الوجوم : السكوت على غيظ أو فزعٍ .

(2) الفظ : الجافي السيّئ الخلق . والغشوم : الظلوم .

(3) الردى : الموت .

(4) انثر : ارمِ . والدجى : الظلام .

ما لَكَ لا تَرْنُو لِغَيرِ الكُلُومْ ؟[1]
ما لَكَ قَد أَصْبَحْتَ لا تصرفُ
الأيَّامَ إلاَّ في شِعابِ الجَحِيمْ ؟[2]
أمَا تَرَى البُلْبُل في غابِهِ ؟
يَشْدُو وفَوقَ الغابِ تَخطُو النُّجُوم ؟
أمَا تَرَى الأَسْحارَ تبُدو بِها[3]
الغاباتُ كالأَحْلام ـ خلْفَ السَّدِيمْ ؟[4]
أمَا تَرَى الآمالَ في سِحْرِها ؟
أمَا تَرَى اللَّيْلَ يُناغِي النُّجُومْ ؟[5]

* * *

يا قَلْبِيَ الدَّاجِي ! إلامَ الوُجُومْ ؟
أكثرت يا قَلْبِي فَماذا تروم ؟[6]
هَلْ تَحْسَبُ الأيَّامَ في زَحْفِها
ترثِي لِمَنْ قَدْ هدَّمَتْهُ الرّجُومْ ،[7]
كَلاَّ ! فَإنَّ الدَّهْرَ يَمْضِي ولا
يلوِي على ما خَلْفَهُ مِنْ كَلِيمْ[8]
واليمُّ لا يَرْثِي لِمَنْ طمَّهُ[9]

---

(1) ترنو : تديم النظر . والكلوم : الجروح ، الواحد كلم .
(2) الشعاب : جمع الشعب ، وهو الطريق .
(3) الأسحار : جمع السحر ، وهو الوقت قبيل الصبح .
(4) السديم : الضباب الرقيق .
(5) يناغي : يلاطف ويغازل .
(6) تروم : تبغي وتطلب .
(7) الرجوم : النجوم التي يرمى بها .
(8) الكليم : الجريح .
(9) اليم : البحر الواسع . وطمّه : غمره وغطاه .

والسَّيلُ لا يبكِي لنَوحِ الهَشِيمْ[1]
والعاصِفُ الجَبَّار في سُخْطِهِ[2]
لا يَرْحَمُ الغُصْنَ الرَّشِيقَ ، القَوِيمْ[3]
هَذِي هِيَ الدُّنيا فَمَا ذا الأَسَى
يا قَلْبِيَ الدَّامِي ،ومَا ذا الوُجُومْ !

[65]

إلى عازف أعمى

قال : (مخلّع البسيط)

أدركتَ فَجْرَ الحَياةِ أَعْمَى ... وكُنْتَ لا تَعْرِفُ الظَّلامْ
فَأطْبَقَتْ حَوْلَكَ الدَّياجِي ... وغَامَ مِنْ فَوْقِكَ الغَمامْ[4]
وعِشْتَ في وَحْشَةٍ ، تُقاسِي ... خَواطِراً ، كُلُّها ضِرامْ[5]
وغُرْبَةٍ ، ما بِها رَفِيقٌ ... وظُلْمَةٍ ، ما لَها خِتامْ
تَشُقُّ تِيهَ الوُجُودِ فرداً ... قَدْ عَضَّكَ الفَقْرُ والسُّقامْ[6]
وطَارَدَتْ نَفْسَكَ المَآسِي ... وفَرّ مِنْ قَلْبِكَ السَّلامْ

* * *

هَوِّنْ على قَلْبِكَ المُعَنَّى ... إنْ كُنْتَ لا تُبْصِرُ النُّجُومْ[7]

---

(1) الهشيم : النبت اليابس المتكسر .

(2) سخطه : غضبه .

(3) غصن رشيق : حسن الطول معتدل .

(4) أطبقت الدياجي : أظلمت . والدياجي : الظلمات . وغام : غطّى الغمام ، وهو السحاب .

(5) تقاسي : تعاني وتكابد . والضرام : الاشتعال .

(6) التيه : الصحراء لا علامة فيها يتيه الإنسان فيها . وعضّه الفقر : اشتد عليه . والسقام : المرض .

(7) قلب معنّى : معذّب .

ولا تَـرَى الـغـابَ ، وَهْـوَ يـلـغُـو وفَـوْقَـه تَـخْـطُـرُ الـغُـيـومْ[1]

ولا تَـرَى الـجَـدْوَلَ الـمُـغَـنِّـي وحَـوْلَـهُ يَـرْقُـصُ الـغَـيـمْ[2]

فَـكُـلُّـنـا بـائِـسٌ ، جَـدِيـرٌ بِـرأْفَـةِ الـخـالِـقِ الـعَـظِـيـمْ

وكُـلُّـنـا فـي الـحَـيـاةِ أَعْـمَـى يَـسُـوقـه زَعْـزَعٌ عَـقِـيـمْ[3]

وحَـوْلَـهُ تَـزْعَـقُ الـمَـنـايـا كَـأَنَّـهـا جِـنَّـةُ الـجَـحِـيـمْ[4]

* * *

يـا صـاحِ ! إنَّ الـحَـيـاةَ قَـفْـرٌ مُـرَوِّعٌ ، مَـاؤه سَـرابْ[5]

لا يَـجْـتَـنِـي الـطَّـرْفُ مِـنْـهُ إلاَّ عَـواطِـفَ الـشَّـوكِ والـتُّـرابْ[6]

وأسـعَـدُ الـنَّـاسِ فِـيْـهِ أَعْـمَـى لا يُـبْـصِـرُ الـهـولَ والـمُـصـابْ

ولا يَـرَى أَنْـفُـسَ الـبَـرايـا تَـذُوب فـي وَقْـدَةِ الـعَـذابْ[7]

فَـاحْـمَـدْ إلَـهَ الـحَـيـاةِ ، واقْـنَـعْ فِـيْـهـا بِـأَلْـحـانِـكَ الـعِـذابْ

وعِـشْ ، كَـمـا شـاءَتِ الـلَّـيـالِـي مـن آهَـةِ الـنَّـاي والـرَّبـابْ[8]

[66]

أغاني التَّائه

قال : (الرمل)

كَانَ فِي قَـلْـبِـيَ فَـجْـرٌ ، ونُـجُـومْ ، وبِحارٌ ، لا تُـغَـشِّـيـهـا الـغُـيُـومْ[9]

---

(1) يلغو : يقول كلاماً لا يفهم ولا يعتدّ به . وتخطر النجوم : تتمايل في سيرها .

(2) عجز البيت جاء مختل الوزن والقافية .

(3) ريح زعزع : شديدة تزعزع الأشياء . وريح عقيم : لا يكون معها لقح ، أي : لا تأتي بالمطر .

(4) تزعق : تصيح . والمنايا : الموت . والجنة : الجنّ .

(5) القفر : الأرض الخالية المقفرة . والمروّع : المخيف .

(6) اجتنى : قطف وأخذ . والطرف : البصر .

(7) الأنفس : جمع النفس . والبرايا : الناس . والوقدة : شدة الحرّ .

(8) الناي والرباب : من آلات الطرب .

(9) لا تغشّيها : لا تغطيها .

وأَنـاشِـيـدٌ ، وأَطْـيـارٌ تَـحُـومْ ورَبِيعٌ ، مُـشْـرِقٌ ، حُـلْـوٌ ، جَمِيلْ
كَـانَ فـي قَـلْـبِـي صَـبـاحٌ ، وإيَّـاهْ وابْتِسامـاتٌ ولَكِـنْ .. وا أَسـاهْ ![1]
آه ! مـا أهـولَ إعْـصـارَ الـحَـيـاهْ ! آه ! ما أشقى قُـلُـوبَ النَّاسِ ! آه !

كَـانَ فِي قَـلْـبِـيَ فَـجـرٌ ، ونُـجُـومْ
فـإذا الـكُـلُّ ظَـلامٌ وسَـدِيـمْ ،[2]
كَـانَ فِي قَـلْـبِـيَ فَـجـرٌ ، ونُـجُـومْ

يا بَـنِـي أُمِّـي ! تُـرَى أَيْنَ الصَّبـاحْ ؟ قَد تقضَّى الـعُـمْـرُ والـفَـجْـرُ بَعِـيـدْ
وطَغَى الوادِي بِـمَـشْـبُـوبِ النُّواحْ وانْقَضَتْ أُنشودةُ الفَصْلِ السَّعِيدْ[3]
أَيْـنَ نَـايـي ؟ هَل تَـرامَـتْـهُ الرِّيـاحْ ؟ أَيْنَ غابي؟ أَيْنَ محرابُ السُّجُودْ ..؟[4]
خبِّروا قَلْبِي ـ فَما أقْسَى الجراح ! ـ كَيفَ طَارتْ نشوةُ العَيشِ الحَمِيدْ !

يا بَـنِـي أُمِّـي ! تُـرَى أَيْـنَ الصَّبـاحْ ؟
أوَراءَ البَحْر ؟ أمْ خلفَ الوُجُودْ ؟
يا بَـنِـي أُمِّـي ؟ تُـرَى أَيْنَ الصَّبـاحْ !

* * *

لَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ سَتُسْلِينِي الغداةْ وتـعَـزِّيـنِـي عن الأَمْسِ الـفَـقِـيـدْ[5]
وتُـرِيـنِـي أَنَّ أَفْـراحَ الـحَـيـاةْ زُمَـرٌ تـمـضِـي ، وأَفْـواجٌ تَعـودْ[6]
فـإذا قَـلْـبِـي صَـبـاحٌ ، وإيَّـاه ... ، وإذا أَحْـلامِـيَ الأولَـى ورُودْ ...
وإذا الـشُّـحْـرُورُ حُلْوُ النَّغماتْ .. ، وإذا الـغـابُ ضِـيـاءٌ ونَـشِـيـدْ .. ؟

لَيْتَ شِعْرِي ! هَل سَتُسْلِينِي الغَداةْ

---

(1) الإياة : شعاع الشمس وضوؤها.

(2) السديم : الضباب الرقيق .

(3) مشبوب النواح : اشتعال البكاء وكثرته .

(4) ترامته الرياح : رمته وقذفته . والمحراب : مقام الإمام في المسجد .

(5) تسليني : تنسيني فتطيب نفسي .

(6) الزمر : الجماعات ، الواحدة زمرة .

أَمْ سَتَنْسانِي ، وتبقِينِي وَحِيدْ ؟
لَيْتَ شِعْرِي ! هَل تُعَزِّينِي الغَداةْ ؟

[67]

في الظَّلام

قال : (الرمل)

رَفْرَفَتْ في دُجْيَةِ اللَّيْلِ الحَزِينْ زُمْـــرَةُ الأَحْـــلامْ[1]
فَوْقَ سِرْبٍ مِنْ غَمامات الشُّجُونْ مِـــلْـــؤُهـــا الآلامْ[2]

* * *

شَخَصَتْ ، لَمَّا رَأَتْ ، عَيْنُ النُّجُومْ بَـعْـثَـةَ الـعُـشَّـاقْ
ورَمَتْـهـا مِنْ سَماها بِرُجُومْ تَـسْـكُـبُ الأَحْـراقْ[3]

* * *

كُنْتُ إذْ ذاكَ على ثَوْبِ السُّكونْ أَنْـثُـرُ الأَحْـزانْ
والهَوَى يَسْكُبُ أَصْداءَ المَنُونْ فِـي فُـؤادٍ فَـانْ[4]
سَاكِتاً مِثْلَ جَمِيعِ الكَائِناتْ راكِـدَ الأَلْـحـانْ
هَائِمٌ قَلْبِي بِأَعْماقِ الحَياةْ تَـائِـهٌ ، حَـيْـرانْ

* * *

إنَّ لِلحُبِّ على النَّاسِ يَداً تَـقْـصِـفُ الأَعْـمـارْ[5]
ولَهُ فَجْرٌ على طُولِ المَدَى سَـاطِـعُ الأَنْـوارْ

* * *

---

(1) الدجية : الظلمة .

(2) الغمامات : جمع الغمامة ، وهي السحابة . والشجون : الأحزان .

(3) الرجوم : النجوم التي يرمى بها .

(4) المنون : الموت . والفاني : البائد الميت .

(5) تقصف الأعمار : تكسرها وتأخذها . والأعمار : جمع العمر .

ثَـوْرَةُ الـشَّـرِّ ، وأَحْـلامُ الـسَّـلامْ ، وجَـمـــــالُ الـنُّـــــورْ
وابْتِسامُ الـفَـجْـرِ في حُـزْنِ الظَّلامْ ، فـــي الـعُـيُـونِ الـحُـورْ[1]

[68]

صوت تائه

قال : (الكامل)

قَـضَّـيتُ أَدْوارَ الـحَـيـاةِ ، مُـفَـكِّـراً في الكَائِناتِ ، مُعَـذَّباً ، مَـهْـمُـومـا
فَـوَجَـدْتُ أَعْـراسَ الوُجُود مَـآتِـمـاً ووجَدتُ فِرْدَوسَ الزَّمانِ جَحِيما[2]
تَدْوِي مَخارِمُهُ بِـضَـجَّـةِ صَـرْصَـرٍ ، مَـشْـبُـوبَـةٍ ، تَذَرُ الـجِبالَ هَشِيما[3]
وحَـضَـرْتُ مائِدَةَ الـحَياة فَلَمْ أَجِدْ إلاَّ شَـرابـاً آجِـنـاً مَـسْـمُـومـا[4]
ونَـفَـضْـتُ أَعْماقَ الفَضاءِ فَلَمْ أَجِدْ إلاَّ سُكُـونـاً ، مُـتـعَـبـاً مَـحْـمُـومـا
تَـتَـبـخَّـرُ الأَعْـمـارُ فـي جَـنـبـاتِـهِ وتَمُوتُ أَشْواقُ النُّفُوسِ وُجُوما[5]
ولَمَسْتُ أَوْتارَ الدُّهُورِ ، فَلَمْ تُفِضْ إلاَّ أَنِـيـنـاً ، دامِـيـاً ، مَـكْـلُـومـا[6]
يَـتْـلُـو أَقاصِيصَ الـتَّـعـاسَـةِ والأَسَى ويُـصِـيـرُ أَفْـراحَ الـحَـيـاةِ هُـمُـومـا

* * *

شُـرِّدْتُ عن وَطَنِي السَّماويِّ الذي ما كَانَ يَـوْمـاً واجِـمـاً ، مَغْمُوما[7]
شُرِّدْتُ عَنْ وَطَنِي الجَميل .. أَنا الشَّقِـ ـيُّ ، فَعِشْتُ مَشْطورَ الفُؤادِ ، يتِيما ..

---

(1) الحور : جمع حوراء ، وهي الشديدة بياض الحدقة والشديدة سوادها .
(2) المآتم : جمع المأتم ، وهو جماعة النساء يجتمعن في الفرح والحزن ، وهو يريد مقام حزن ههنا .
(3) المخارم : جمع المخرم ، وهو الطريق في الجبل . والصرصر : الريح الباردة . ومشبوبة : مشتعلة . وتذر الجبال : تتركها . والهشيم : المتكسر من كل شيء .
(4) ماء آجن : متغير اللون والطعم .
(5) الوجوم : السكوت من غيظ أو فزع .
(6) الأنين : الصوت من الألم . والمكلوم : المجروح .
(7) الواجم : الساكت . والمغموم : المحزون .

فـي غُـربَـةٍ ، رُوحِـيَّـةٍ ، مَـلْـعُـونَـةٍ أَشْواقُها تَقْضِي، عِطاشاً، هِيما ..[1]
يا غُـربَـةَ الرُّوحِ المُـفَـكِّر ! إنَّـهُ في النَّاسِ يَحْيا ، سائِماً، مَسْؤُوما[2]
شُـرِّدتُ لِـلـدُّنـيـا ... وكُـلُّ تـائِـهٌ فِـيْـهـا يُـرَوَّعُ راحِـلاً ومُـقِـيـمـا[3]
يدعُو الحَياةَ، فَلا يُجيبُ سِوَى الرَّدَى لـيـدُسَّـهُ تَحْتَ الـتُّـرابِ رَمِـيـمـا[4]
وتَـظَـلُّ سَـائِـرَةً ، كَـأَنَّ فَـقِـيـدهـا ما كَانَ يَـوْمـاً صاحِباً وحَـمِـيـمـا !

* * *

يا أيُّها السَّارِي ! لَقَدْ طَالَ السُّرَى حَتَّامَ تَرْقُبُ في الظَّلامِ نُجُوما ..؟[5]
أَتَخالُ في الوادِي البَعيدِ الـمُرْتَجَى ؟ هَيهات ! لَنْ تَـلْـقَـى هُناكَ مَرُوما[6]
سِرْ ما اسْتَطَعْتَ، فَسَوْفَ تُلفِي ـ مِثلما خلَّفتَ ـ مَمشُوقَ الغُصونِ حَطِيما

[69]

جدول الحبّ

بين الأمس واليوم

قال : (مجزوء الكامل)

بِـالأَمْـسِ قَـدْ كَـانَـتْ حَـيـاتِـي كـالـسَّـمـاءِ الـبـاسِـمَـهْ
والـيَـوْمَ ، قَـدْ أَمْـسَـتْ كـأَعْـمـاقِ الـكُـهُـوفِ الـواجِـمَـهْ[7]
قَـدْ كَـانَ لِـي مـا بَـيْـنَ أَحْـلامِـي الـجَـمِـيـلَـة جَـدْوَلُ
يَـجْـرِي بِـهِ مـاءُ الـمَـحَـبَّـةِ طَـاهِـراً يَـتَـسَـلْـسَـلُ

---

(1) الهيم : العطاش .

(2) السائم : الضجر الملول .

(3) يروع : يدخل قلبه الروع ، وهو الفزع .

(4) الردى : الموت . ويدسه ، أي : يضعه ويدفنه . والرميم : البالي .

(5) الساري : السائر ليلاً . والسرى : سير الليل .

(6) المروم : المراد .

(7) الواجمة : الساكتة .

تَسْعَى بِهِ الأَمْواجُ باسِمَةً كأَحْلامِ الصِّبا
بَيْضاءَ ، ناصِعَةً ضحُوكاً مِثْلَ أَزْهارِ الرُّبَى[1]
مَيَّاسَةً كَعَرائِسِ الفِرْدَوْسِ بَيْنَ حُقُولِهِ[2]
تَتْلُو أَناشِيدَ المُنَى في مَدِّهِ وقُفُولِهِ[3]

* * *

هُوَ جدولُ الحُبِّ الذي قَدْ كَانَ في قَلْبِي الخَضِلْ[4]
بِمَراشِفِ الأَحْلامِ مُنْطَلِقاً ، يَسِيرُ على مَهَلْ[5]
يَتْلُو على سَمْعِي أَغارِيدَ الحَياةِ الطَّاهِرَهْ
ويُثِيرُ في قَلْبِي أَناشِيدَ الخُلُود السَّاحِرَهْ
تَقِفُ العَذارَى الخالِداتُ ... عَرائِسُ الشِّعرِ البَدِيعْ
في ضِفَّتَيْهِ ، مُردِّداتٍ نَغْمَةَ الحُلْمِ الوَدِيعْ
يَلْمُسْنَ من قِيثارَةِ الأَحْلامِ أَوْتارَ الغَزَلْ
فَتَفِيضُ أَلْحانُ الصَّبابَةِ عَذْبَةً ، مِثْلَ الأَمَلْ[6]
وتَطِيرُ بالبَسَماتِ والأَنْغامِ أَجْنِحَةُ الصَّدَى
في ذَلِكَ الأُفقِ الجَمِيلِ ، وذَلِكَ النَّسَمِ الرُّخا[7]
وهُناكَ حَيْثُ تُعانِقُ البَسَماتُ أَنْغامَ الغَزَلْ
يَتَمايلُ الحُلُمُ الجَمِيلُ ... كَبَسْمَةِ القَلْبِ الثَّمِلْ

* * *

(1) الناصعة : الشديدة البياض . والربى : التلال .

(2) ميّاسة : متبخترة متمايلة .

(3) تتلو أناشيد المنى : تنشدها . والقفول : العودة .

(4) الخضل : الناعم الندي .

(5) المراشف : الشفاه ، الواحد مرشف .

(6) الصبابة : شدة الشوق في الحب .

(7) الرخاء ، وجاء بها مخففة : الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً .

هُـوَ جـــدولٌ ، قَـدْ فـجَّـرتْ ينـبـوعَـهُ فـي مُـهـجَـتِـي[1]
أَجْـفـانُ فـاتِـنَـةٍ أَرَتْـنِـيـهـا الـحَـيـاةُ لِـشَـقْـوَتِـي
أَجْـفـانُ فـاتِـنَـةٍ تَـراءَتْ لِـي عـلـى فَـجْـرِ الـشَّـبـابْ
كَـعَـرُوسَـةٍ مِـنْ غـانِـيـاتِ الـشِّـعْـرِ ، فـي شَـفَـقِ الـحـسـابْ
ثُـمَّ اخْـتَـفَـتْ خَـلْـفَ الـسَّـمـاءِ ، وَراءَ هـاتِـيـكَ الـغُـيُـومْ
حَـيْـثُ الـعَـذارَى الـخـالِـداتُ ، يَـمِـسْـنَ مـا بَـيْـنَ الـنُّـجُـومْ[2]
ثُـمَّ اخْـتَـفَـتْ أوّاهِ ! طَـائِـرَةً بِـأَجْـنِـحَـةِ الـمَـنُـونْ[3]
نَـحْـوَ الـسَّـمـاءِ ، وهـا أنـا فـي الأَرْضِ تـمـثـالُ الـشُّـجُـونْ
قَـدْ كَـانَ ذَلِـكَ كُـلُّـهُ بِـالأَمـسِ ! بِـالأَمـسِ الـبَـعِـيـدْ ...
والأَمْـسُ قَـدْ جَـرَفَـتْـهُ مَـقـهُـوراً يَـدُ الـمَـوْتِ الـعَـتِـيـدْ[4]
قَـدْ كَـانَ ذَلِـكَ تَـحْـتَ ظِـلِّ الأَمـسِ ، والـمـاضِـي الـجَـمِـيـلْ
قَـدْ كَـانَ ذَلِـكَ فـي شُـعـاعِ الـبَـدْرِ مِـنْ قَـبْـلِ الأُفُـولْ[5]
والـيَـوْمَ إذْ زالَـتْ ظِـلالُ الأَمـسِ عَـنْ زَهَـرِي الـبَـدِيـعْ
وتَـجَـلْـبَـبَ الـزَّهْـرُ الـجَـمِـيـلُ بِـظُـلْـمَـةِ الـلَّـيْـلِ الـمُـرِيـعْ[6]
ذَبُـلَـتْ مَـراشِـفُـهُ ، فَـأَصْـبَـحَ ذاوِيـاً ، نِـضْـوَ الـكُـلُـومْ[7]
وهَـوَى لأنَّ الـلَّـيْـلَ أَسْـمَـعَـهُ أَنـاشِـيـدَ الـوُجُـومْ ....[8]

* * *

بِـالأَمْـسِ قَـدْ كَـانَـتْ حَـيـاتِـي كـالـسَّـمـاءِ الـبـاسِـمَـهْ

---

(1) المهجة : الروح .

(2) العذارى : جمع عذراء ، وهي الفتاة البكر . ويمسن : يتمايلن ويتبخترن .

(3) المنون : الموت .

(4) العتيد : الشديد .

(5) الأفول : المغيب .

(6) تجلبب : لبس الجلباب ، وهو الثوب الواسع . والمريع : المخيف .

(7) المراشف : الأوراق التي يمتص بها . والذاوي : الذابل . والكلوم : الجروح . والنضو : المهزول .

(8) الوجوم : الحزن والغمّ .

والـيَـوْمَ قَـدْ أَمْـسَـتْ كـأَعْـمـاقِ الـكُـهُـوفِ الـواجِـمَـهْ
إذْ أَصْـبَـحَ الـنَّـبْـعُ الـجَـمِـيـعُ يَـسِـيـرُ فـي وادِي الأَلَـمْ
مُـتَـعَـثِّـراً بَـيْـنَ الـصُّـخُـورِ ، يَـغُـور فـي تِـلْـكَ الـظُّـلَـمْ
جَـفَّـتْ بِـهِ أَمْـواجُ ذيَّـاك الـغـرامِ الآفِـلِ
فَـتَـدفَّـقَـتْ فِـيْـهِ الـدُّمُـوعُ بِـصَـوبِـهـا الـمُـتَـهـاطِـلِ[1]
قَـدْ حَـجَّـبَـتْـهُ غُـيُـومُ أَحْـزانِ الـوُجُـودِ الـقـاتِـمَـهْ[2]
قَـدْ أَخْـرَسَـتْـهُ مَـرارَةُ الـقَـلْـبِ الـتَّـعِـيسِ الـظَّـالِـمَـهْ
جَـمـدتْ عـلـى شَـفَـتَـيْـهِ أَنْـغـامُ الـصَّـبـابَـةِ والـهَـوَى[3]
وقَـضَـتْ أَغـانِـي الـحُـبِّ ، فـي أَعْـمـاقِـهِ لَـمَّـا هَـوَى
وَعَـدَتْ بِـهِ الأَمْـواجُ ، جـامِـدَةَ الـمـلامِـحِ ، قـاتِـمَـهْ[4]
قَـد أَسْـكَـتَـتْـهـا لَـوعَـةُ الـرُّوحِ الـحَـزِيـنِ الـواجِـمَـهْ[5]
غَـاضَـتْ أَمـانِـيـهـا ، وغَـارَ بِـهـا الـجَـمـالُ الـسَّـاحِـرُ[6]
فَـأَصـابَـهـا ـ لَـهْـفـاً عَـلَـيْـه ـ الاكْـتِـئـابُ الـكـافِـرُ
فـي ضِـفَّـتَـيـه عَـرائِـسُ الأَشْـعـارِ تـنـصُـبُ مَـأتـمـا[7]
يُـهْـرِقْـنَ فِـيْـهِ الـدَّمْـعَ ، حَـتَّـى يَـلْـطُـمَ الـدَّمْـعُ الـدَّمـا[8]
فَـيَـسِـيـلُ ذاك الـمَـدْمَـعُ الـدَّامِـي لِـقَـلْـبِ الـجـدولِ
حَـيْـثُ الـمَـرارَةُ ، والأَسَـى ، بَـيْـنَ الـزُّهُـورِ الـذُّبَّـلِ[9]

---

(1) الصوب : المطر . والمتهاطل : المتساقط .

(2) القاتمة : السوداء .

(3) الصبابة : العشق . والهوى : الحب .

(4) عدت به : جرت . والقاتمة : السوداء .

(5) اللوعة : الحرقة في القلب . والواجمة : الساكتة من غيظ .

(6) غاضت أمانيها : ذهبت . وغار بها : ذهب بها .

(7) المأتم : جماعة النساء يجتمعن في حزنٍ .

(8) يهرقن الدمع : يسكبنه .

(9) زهور ذبّل : ذابلة .

وَيَـنُـحْـنَ حَـتَّـى يُـفْـعِـمَ الآفـاقَ صَـوْتُ الانْـتِـحـابْ[1]
فَـتَـسِـيـرُ أَصْـداءُ الـنّـيـاحَـةِ نَـحْـوَ أَطْـبـاق الـضَّـبـابْ
وهُـنـاك مـا بَـيْـنَ الـضَّـبـابِ الأَقْـتَـمِ الـسَّـاجـي الـكَـئِـيـبْ[2]
تَـهْـتَـزُّ آلامِـي ، وتـخـتَـلِـجُ الـكَـآبَـةُ ، بِـالـنَّـحِـيـبْ[3]

[70]

إلى الشَّعب

قال : (الخفيف)

أَيْنَ يا شعبُ قَلْبُكَ الخافِقُ الحَسْـ ـساسُ ؟ أَيْنَ الطُّمُوحُ ، والأَحْلامُ؟
أَيْنَ يا شعبُ ، رُوحُك الشَّاعرُ الفنْـ ـنانُ أَيْنَ ، الخَيالُ والإلْهامُ ؟
أَيْنَ يا شعبُ ، فَنُّك السَّاحرُ الخلْـ لاقُ ؟ أَيْنَ الرُّسُومُ والأَنْغامُ ؟
إنَّ يَمَّ الحَياةِ يَدْوِي حوالَيْـ ـكَ فَأَيْنَ المُغامِرُ ، المِقْدامُ[4]
أَيْنَ عَزْمُ الحَياةِ ؟ لا شَيْءَ إلاَّ المَوْتُ ، والصَّمْتُ ، والأَسَى ، والظَّلامُ
عُمُرٌ مَيِّتٌ ، وقَلْبٌ خَواءٌ ودَمٌ لا تُثِيْرُهُ الآلامُ[5]
وحَياةٌ ، تَنامُ في ظُلْمَةِ الوا دِي وتَنْمُو مِنْ فَوْقِها الأَوْهامُ
أيُّ عَيشٍ هَذا ، وأيُّ حَياةٍ ؟! (رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمامُ)[6]

* * *

قَدْ مَشَتْ حولكَ الفُصولُ وغَنَّتْـ ـكَ فَلَمْ تَبْتَهِجْ ، ولَمْ تَتَرَنَّمْ
ودَوَتْ فَوقَك العَواصِفُ والأَنْـ ـواءُ حَتَّى أَوْشَكْتَ أن تتحطّمْ[7]

---

(1) ينحن : يبكين . ويفعم : يملأ . والانتحاب : البكاء .
(2) الأقتم : الأسود . والساجي : الساكن .
(3) تختلج : تمتزج ههنا .
(4) يمّ الحياة : بحرها الواسع . والمقدام : الجريء الشجاع .
(5) قلب خواء : فارغ لا شيء فيه . وتثيره : تحركه .
(6) عجز البيت لأبي الطيب وهو اقتباس من الشابي . والحمام : الموت .
(7) الأنواء : جمع النوء ، وهو المطر الشديد .

وأَطافَت بكَ الوُحُوشُ وناشَتْـ ـكَ فَلَمْ تَضْطَرِبْ ، ولَمْ تَتألَّمْ[1]

يا إلَهي ! أمَا تحسُّ ؟ أمَا تَشْـ ـدُو ؟ أمَا تشتكِي ؟ أمَا تتكلَّمْ ؟

مَلَّ نَهرُ الزّمانِ أيَّامَكَ المَوْ تَى وأَنْقاضَ عُمرِكَ المُتهدِّمْ

أَنْتَ لا مَيِّتٌ فَيبْلَى ، ولا حَيٌّ فَيَمْشِي ، بَلْ كائِنٌ ، لَيْسَ يُفْهَمْ[2]

أبداً يرمقُ الفراغَ بطرفٍ جامِدٍ ، لا يَرَى العَوالِمَ ، مُظْلِمْ

أيُّ سِحْرٍ دَهاكَ ، هَلْ أَنْتَ مَسْحُو رٌ شَقِيٌّ ؟ أو مارِدٌ يَتَهَكَّمْ ؟

* * *

آهِ ! بَل أَنْتَ في الشُّعوب عَجُوزٌ ، فَيلسوفٌ ، مُحَطَّمٌ في إهابهْ[3]

ماتَ شوقُ الشَّبابِ في قَلْبِهِ الذَّا وِي ، وعَزْمُ الحَياةِ في أَعْصابهْ[4]

فَمَضَى يَنْشُدُ السَّلامَ بَعِيداً ... «في قبورِ الزَّمانِ» خلفَ هضابهْ

وهُناكَ ، اصْطَفَى البقاءَ مَعَ الأَمْـ ـواتِ «في قبرِ أمسِهِ» غَيرَ آبهْ

وارْتَضَى القَبرَ مَسكَناً ، تتلاشَى فِيْهِ أَيَّامُ عُمرِهِ المُتَشابِهْ

وتَناسَى الحَياةَ ، والزَّمَنَ الدَّا وِي وما كَانَ منْ قَدِيمِ رِغابهْ

فَالْزَمِ القَبرَ ، فَهْوَ بَيتٌ ، شَبِيهٌ بِكَ في صَمْتِ قَلْبِهِ ، وخَرابهْ

واعْبُدِ «الأمسَ» وادَّكِر صُوَرَ الما ضِي فَدُنْيا العجوزِ ذِكْرى شبابهْ[5]

* * *

وإذا مَرَّتِ الحَياةُ حوالَيْـ ـكَ جَمِيلاً ، كالزَّهْرِ غَضًّا صِباها[6]

تَتَغَنَّى الحَياةُ بالشَّوقِ والعَزْ مِ فَيُحيي قَلْبَ الجمادِ غِناها[7]

---

(1) ناشتك : أصابتك .

(2) يبلى : يفنى ويزول .

(3) الإهاب : الجلد .

(4) قلبه الذاوي : الذابل .

(5) ادّكر : تذكّر .

(6) الزهر الغضّ : الندىّ .

(7) غناها : غناءها .

والرَّبيعُ الـجَـمِـيـلُ يرقُصُ فَـوقَ الـ ـورِدِ ، والعُشْبِ ، منْشِداً ، تيَّاها[1]

ومَشَى النَّاسُ خَـلـفَـهـا ، يـتَـمـلَّـوْ نَ جـمـالَ الـوُجُـودِ فـي مَـرْآهـا[2]

فَاحْذرِ السِّحْرَ ! أيُّها النَّاسِكُ القِـدْ دِيسُ إنَّ الـحَـيـاةَ يُـغـوي بَهاها[3]

والـرَّبـيـعُ الـفَـنَّـانُ شـاعِـرُهـا الـمـفـ ـــتُـون يُـغْـرِي بِـحُـبِّـهـا وهَـواهـا

وتَـمَـلَّ الـجـمـالَ فـي رِمـمِ الـمَـوْ تَى ! بَعِيداً عن سِحْرِها وصَداها[4]

وتَـغَـزَّلْ بِـسِـحْـرِ أيَّـامِـكَ الأو لَى وخَلِّ الـحَـيـاةَ تَـخْـطُـو خُطاها

* * *

وإذا هَـبَّـتِ الـطُّـيـورُ مَـعَ الـفَـجْـ ـرِ ، تُـغَـنِّـي بَيْنَ الـمُرُوجِ الـجَمِيلَهْ

وتُـحَـيِّـي الـحَـيـاةَ ، والعالَمَ الـحَيَّ بِـصَـوْتِ الـمَـحَـبَّـةِ الـمَـعْـسُـولَـهْ

والفَراشُ الـجَـمِـيـلُ رَفْرَفَ فِي الـرَّوْ ضِ ، يُناجِي زهورَهُ الـمطـلـولَـهْ[5]

وأفـاقَ الـوُجُـودُ لِـلْـعـمـلِ الـمـجْـ ـدِي ولِلسَّعِي ، والـمَعانِي الـجَلِيلَهْ

ومَشَى النَّاسُ فِي الشِّعابِ ، وفِي الغا بِ ، وفَوقَ الـمَسالِكِ الـمَجهُولَهْ[6]

يَنْشُدُونَ الـجمالَ ، والنُّورَ ، والأَفْـ ـراحَ والـمَجدَ ، والـحَياةَ النَّبِيلَـهْ

فَاغْضُضِ الطَّرفَ فِي الظَّلامِ! وحاذِرْ فِتْنَةَ النُّورِ ..! فَهْيَ رُؤْيا مَهُولَهْ ..[7]

وصَبـاحُ الـحَـيـاةِ لا يُـوقِـظُ الـمَـوْ تَى ولا يَرْحَمُ الـجُفُونَ الكَلِيلَهْ[8]

* * *

كُلُّ شَـيءٍ يُعاطِفُ العالَم الـحَـيَّ ، ويُـذْكِـي حَـيـاتَـه ، ويُـفِـيـدُهْ[9]

---

(1) التياه : المختال يتيه .

(2) يتملون جمال الوجود : يستمتعون به .

(3) يغوي : يستهوي .

(4) الرمم : جمع الرمة ، وهي العظام البالية .

(5) الروض : جمع الروضة ، وهي الأرض المخضرة بألوان النبات . والمطلولة : المبللة بالطلّ ، وهو الندى.

(6) الشعاب : جمع الشعب ، وهو الطريق في الجبل . والمسالك : الطرق ، الواحد مسلك .

(7) رؤيا مهولة : رؤيا مخيفة .

(8) الجفون الكليلة : المتعبة .

(9) يذكي حياته : يوقدها ويزيد اشتعالها .

والذي لا يُجاوِبُ الكَونَ بالإحْـ ـساسِ عِبْءٌ على الوجُودِ ، وُجُودُهْ
كُلُّ شَيءٍ يُسايرُ الزَّمنَ الما شِي بعزمٍ ، حَتَّى التُّرابُ ، ودُودُهْ
كُلُّ شَيءٍ - إلاَّكَ - حَيٌّ ، عَطُوفٌ يُؤنِسُ الكَونَ شَوْقُهُ ، ونَشِيدُهْ
فَلِماذا تَعِيشُ في الكَونِ يا صا حِ ! وما فِيْكَ من جنًى يَستَفِيدُهْ[1]
لَسْتَ يا شَيخُ للحَياةِ بأَهلٍ أَنْتَ داءٌ يُبِيدُها وتُبِيدُهْ[2]
أَنْتَ قَفْرٌ ، جَهَنَّمِيٌّ لَعِينٌ ، مُظْلِمٌ ، قاحِلٌ ، مُرِيعٌ ، جمُودُهْ[3]
لا تَرفُّ الحَياةُ فِيْهِ ، فَلا طَيْـ ـرٌ يُغَنِّي ولا سَحابٌ يَجُودُهْ[4]

* * *

أَنْتَ يا كَاهِنَ الظَّلامِ حَياةٌ تعبدُ المَوْتَ ...! أَنْتَ رُوحٌ شَقِيُّ
كَافِرٌ بالحَياةِ والنُّورِ ..، لا يُصْـ ـغِي إلى الكَونِ قَلْبُهُ الحَجَرِيُّ
أَنْتَ قَلْبٌ ، لا شَوقَ فِيْهِ ولا عَزْ مٌ وهَذا داءُ الحَياةِ الدّويُّ[5]
أَنْتَ دُنيا ، يُظِلُّها أُفُقُ الما ضِي ولَيْلُ الكَآبَةِ الأبدِيُّ
ماتَ فِيْها الزَّمانُ ، والكَونُ إلاَّ أمسُها الغابرُ ، القَدِيمُ ، القَصِيُّ[6]
والشَّقِيُّ الشَّقِيُّ في الأَرْضِ قَلْبٌ يَومُهُ مَيِّتٌ ، وماضِيهِ حَيُّ
أَنْتَ لا شَيءَ في الوُجُودِ ، فَغادِرْ هُ إلى المَوْتِ فَهْوَ عَنْك غَنِيُّ

[71]

الأبد الصَّغير

قال : (البسيط)

يا قَلْبُ ! كَمْ فِيكَ من دُنْيا مُحَجَّبَةٍ كَأَنَّها ، حِيْنَ يَبْدُو فَجْرُها «إرَمُ»[7]

---

(1) الجنى : الثمر . وأراد الفائدة .

(2) يبيدها : يهلكها .

(3) القفر : الأرض المقفرة . والقاحل : المجدب . والمريع : المخيف .

(4) يجوده : يمطره . والجود : المطر الغزير .

(5) الدوي : المدويّ ، وهو العالي الصوت .

(6) الغابر : الماضي . والقصي : البعيد .

(7) إرم : مدينة أسطورية أحاطتها الخرافات بجو خيالي مسحور . فزعمت أنّها بنيت على ضفة الجنة ،=

يا قَلْبُ! كَمْ فِيكَ من كَونٍ، قَدِ اتَّقَدَتْ ... فِيْهِ الشُّموسُ وعاشَتْ فَوقَهُ الأممُ[1]

يا قَلْبُ ! كَمْ فِيكَ من أُفْقٍ تُنَمِّقُهُ ... كَواكِبٌ تَتَجَلَّى ، ثُمَّ تَنْعَدِمُ[2]

يا قلبُ ! كَمْ فِيكَ مِنْ قَبرٍ قد انْطَفأت ... فِيْهِ الحَياةُ ، وضَجَّتْ تَحْته الرِّمَمُ[3]

يا قَلْبُ ! كَمْ فِيكَ من غابٍ ومن جَبَلٍ ... تَدْوِي بِهِ الرِّيحُ أو تسمُو بِهِ القممُ[4]

يا قَلبُ! كَمْ فِيكَ من كهفٍ قَد انْبَجست ... مِنْهُ الجَداولُ تجري ما لَها لُجُمُ[5]

تمشِي ..، فتحملُ غُصناً مُزْهِراً نَضِراً ... أوْ وَرْدَةً لَمْ تُشَوِّهْ حُسْنَها قَدَمُ

أو نَحْلَةً جَرَّها التَّيارُ مُنْدَفِعاً ... إلى البحارِ ، تُغَنِّي فَوْقها الدِّيَمُ[6]

أو طائِراً ساحِراً مَيْتاً قَد انْفَجَرتْ ... في مُقْلَتَيْهِ جِراحٌ جَمَّةٌ ودَمُ[7]

يا قَلْبُ! إنَّك كَونٌ، مُدْهِشٌ عَجَبٌ ... إنْ يُسْأَلِ النَّاسُ عن آفاقِهِ يَجمُوا[8]

كَأَنَّكَ الأبدُ المجهُولُ ..، قَد عَجَزَتْ ... عَنْكَ النُّهَى، واكْفَهَرَّتْ حَوْلَكَ الظُّلَمُ[9]

* * *

يا قَلْبُ ! كَمْ من مَسرَّاتٍ وأَخْيلَةٍ ... ولَذَّةٍ ، يَتَحامَى ظِلَّها الألَمُ

غَنَّتْ لِفجرِكَ صَوْتاً حالِماً ، فَرِحاً ... نَشْوانَ ثُمَّ توارَتْ ، وانْقَضَى النَّغمُ

وكَمْ رَأَى لَيْلُكَ الأَشْباحَ هَائِمَةً ... مَذْعُورَةً تَتَهاوَى حَوْلَها الرُّجُمُ[10]

- أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان ، وسماؤها من سحر مرصع بالأحلام ، وأنها لا زالت إلى يومنا هذا في صحراء العرب ، ولكنّها محجوبة لا يراها أحد .

(1) اتّقدت : اشتعلت ، وأراد سطعت .

(2) تنمقه : تزينه . وتتجلى : تظهر وتبدو .

(3) الرمم : جمع الرِّمة ، وهي العظام البالية .

(4) تسمو القمم : تعلو وترتفع .

(5) انبجست : تفجّرت . واللجم : جمع لجام ، وأراد ما يلجم جريان مائها .

(6) الديم : جمع الديمة ، وهو المطر يدوم في سكون لا رعد فيه ولا برق .

(7) الجمّة : الكثيرة .

(8) يجموا : يسكتوا ويعجزوا عن التكلم من الغيظ أو الخوف .

(9) النهى : العقول . واكْفهرّت الظلم : اشتدّ سوادها .

(10) الرجم : النجوم التي يرمى بها .

ورَفْرَفَ الألَمُ الدَّامِي ، بِأَجْنِحَةٍ مِنَ اللَّهِيبِ ، وأنَّ الحُزْنُ والنَّدَمُ
وكَمْ مَشَتْ فوقكَ الدُّنيا بأَجْمَعها حَتَّى توارَتْ ، وسَارَ المَوْتُ والعَدمُ
وشَيَّدَتْ حَولَكَ الأيَّامُ أَبْنِيَةً مِنَ الأَناشِيدِ تُبْنَى ، ثُمَّ تَنْهدمُ

* * *

تَمْضِي الحَياةُ بِماضِيها ، وحاضِرِها وتذهَبُ الشَّمْسُ والشُّطآنُ والقِمَمُ
وأَنْتَ، أَنْتَ الخِضَمُّ الرَّحْبُ، لا فَرَحٌ يَبْقَى على سطحك الطَّاغِي، ولا ألَمُ[1]

* * *

يا قَلْبُ كَمْ قَد تملَّيتَ الحَياةَ ، وكَمْ رقَّصتَها مَرَحاً ، ما مَسَّكَ السَّأَمُ[2]
وكَمْ تَوَشَّحْتَ من لَيلٍ ، ومن شَفَقٍ ومن صَباحٍ تُوَشِّي ذيلَهُ السُّدُمُ[3]
وكَمْ نَسَجْتَ من الأَحْلامِ أَردِيَةً قَدْ مَزَّقَتْها اللَّيالِي ، وهي تَبْتَسِمُ[4]
وكَمْ ضَفَرْتَ أَكالِيلاً مُورَّدَةً طَارَتْ بِها زَعْزَعٌ تدوِي وتَحْتَدِمُ[5]
وكَمْ رسمتَ رسُوماً ، لا تُشابِهُها هَذِي العَوالِمُ ، والأَحْلامُ ، والنُّظُمُ
كَأَنَّها ظُلَلُ الفِرْدَوْسِ ، حَافِلَةً بِالحُورِ ، ثُمَّ تَلاشَتْ ، واختَفَى الحُلُمُ[6]

* * *

تَبلُو الحَياةَ فتبلِيها وتَخلَعُها وتَسْتَجِدُّ حَياةً ، ما لَها قِدَمُ
وأَنْتَ أَنْتَ : شَبابٌ خالِدٌ ، نَضِرٌ مِثْلُ الطَّبِيعَةِ : لا شَيْبٌ ولا هَرَمُ

* * *

---

(1) الخضم : البحر . والرحب : الواسع .

(2) مسّك السأم : أصابك الضجر .

(3) السدم : جمع السديم ، وهو الضباب الرقيق .

(4) الأردية : الأثواب .

(5) ضفرت : نسجت . والزعزع : الريح الشديدة . وتدوي : تصوّت . وتحتدم : تشتد .

(6) حافلة : تحفل وتغصّ . والحور : جمع حوراء ، وهي الشديدة بياض الحدقة ، والشديدة سوادها .

[72]

زئير العاصفة

قال : (الطويل)

تُسائِلُني : «ما لِي سَكَتُّ، ولَمْ أُهِبْ ... بِقَومِي ودَيْجُورُ المَصائِبِ مُظْلِمُ»[1]

«وسَيْلُ الرَّزايا جارِفٌ ، مُتَدَفِّعٌ ... غَضوبٌ، ووجهُ الدَّهرِ أربدُ، أقْتَمُ؟»[2]

* * *

سَكَتُّ ، وقَدْ كَانَتْ قَناتِيَ غضَّةً ... تُصِيخُ إلى هَمْسِ النَّسِيمِ ، وتحلُمُ[3]

وقُلتُ ، وقَد أصغتْ إلى الرِّيحِ مَرَّةً ... فَجاشَ بِها إعْصارُهُ المُتهزِّمُ[4]

وقُلتُ وقَدْ جاشَ القَريضُ بِخاطِرِي ... كَما جاشَ صَخَّابُ الأواذِيِّ، أَسْحَمُ:[5]

«أَرَى المَجدَ معصُوبَ الجَبِينِ مُجَدَّلاً ... على حسَكِ الآلامِ ، يَغْمرُهُ الدَّمُ»[6]

«وقَدْ كَان وَضَّاحَ الأسارِيرِ ، باسِماً ... يَهُبُّ إلى الجُلَّى ، ولا يَتَبرّمُ»[7]

* * *

«فيا أيُّها الظُّلمُ المُصَعِّرُ خَدَّهُ ... رُويدكَ ! إنَّ الدَّهْرَ يَبْنِي ويَهْدِمُ»[8]

«سَيثأر للعزِّ المُحَطَّمِ تَاجُهُ ... رِجالٌ إذا جَاشَ الرَّدَى فهُمُ هُمُ»[9]

---

(1) أهاب بقومه : دعاهم إلى خيرهم وصلاحهم . والديجور : الظلام .

(2) الرزايا : المصائب ، الواحدة رزية . والوجه الأربد : المغبرّ . والأقتم : الأسود .

(3) القناة : القامة . وتصيخ : تصغي وتسمع .

(4) جاش : اضطرب وتحرك . والمتهزم : المصوّت ذو الجلبة .

(5) القريض : الشعر . والأواذي : جمع الآذي ، وهو موج البحر . وأراد السحاب الممطر . والأسحم: الأسود . والصخاب : ذو الصخب والجلبة .

(6) المجدّل : المصروع الملقى على الأرض .

(7) الأسارير : محاسن الوجه . والجلى : الأمور الجليلة العظيمة . ويتبرم : يتذمر .

(8) صعّر خدّه : أماله إعراضاً وتكبراً وعُجباً .

(9) العزّ : القوة والغلبة . والردى : الموت . وجاش الردى : اضطرب وتحرك . وأراد وقت الشدة .

«رِجـالٌ يَـرَوْنَ الـذُّلَّ عـاراً وسُـبَّـةً ولا يرْهبُون المَوْتَ ، والمَوْتُ مُقْدِمُ»[1]

«وهَـلْ تَـعْـتَـلِـي إلاَّ نُـفُـوسٌ أَبِـيَّـةٌ تُصَدِّعُ أَغْلالَ الهوانِ ، وتَحطِمُ»[2]

[73]

إلى الطَّاغية

قال : (الطويل)

يَقُولونَ : «صَوْتُ المُسْتَذِلِّين خَافِتٌ وسَمْعُ طُغاةِ الأَرْضِ (أَطْرَشُ) أَصْخَمُ»

وفي صَيْحَةِ الشَّعْبِ الـمُسَخَّر زَعْزَعٌ تَخرُّ لَها شُـمُّ العُرُوشِ ، وتُـهْـدَمُ[3]

ولَـعْـلَـعَـةُ الحَقّ الغَضُوبِ لَها صَدًى ودَمْدَمَةُ الحَربِ الضَّروسِ لَها فَمُ[4]

إذا الْـتَـفَّ حَـوْلَ الـحَـقِّ قَـوْمٌ فَـإنَّـهُ يُـصَـرِّمُ أَحْـداثَ الـزَّمـانِ ويُـبْـرِمُ[5]

* * *

لَكَ الوَيْلُ يا صَرْحَ الـمَظالِمِ مِنْ غَدٍ إذا نَهَضَ المُسْتَضْعَفُونَ ، وصَمّموا!

إذا حَطَّمَ الـمُـسْـتَـعـبِـدُونَ قيودَهُمْ وصبُّوا حَمِيمَ السُّخْطِ أَيَّانَ تَعْلَمُ ..![6]

أَغَرَّك أنَّ الشَّعْبَ مُـغْـضٍ على قَذًى وأنَّ الفَضاءَ الرَّحْبَ وَسْنانُ ، مُظْلِمُ؟[7]

ألا إنَّ أَحْـلامَ الـبِـلاد دَفِـيـنَـةٌ تُجَمْجِمُ في أَعْماقِها ما تُجَمْجِمُ[8]

ولَكِنْ سَيَـأْتِـي بَعْدَ لأْيٍ نُـشُـورُهـا ويَـنْـبَـثِـقُ الـيَـوْمُ الـذي يَـتَـرَنَّـمُ[9]

---

(1) السبة : العار .

(2) تُصدع : تحطم . وأغلال الهوان : قيود الذل .

(3) المسخر : المقهور المذلول . والزعزع : الريح الشديدة . وتخر : تسقط وتهوي . وشم العروش : أراد العروش العظيمة .

(4) دمدمة الحرب : هلاكها . وحرب ضروس : أكول عضوض .

(5) يصرم أحداث الزمان : يقطعها . ويبرم : يحكم .

(6) الحميم : الماء الحار . والسخط : الكراهية والغضب . أراد حرار الغضب والكراهية .

(7) أغضى عيناً على قذًى : صبر على أذى . والوسنان : الذي أخذه النعاس .

(8) جمجم الشيء في صدره : أخفاه و لم يبده .

(9) بعد لأي : بعد إبطاء ومشقّة . ونشورها : بعثها .

هُوَ الحَقُّ يُغْفِي .. ثُمَّ يَنْهَضُ ساخِطاً فَيَهْدُمُ ما شادَ الظَّلامُ ويَحْطِمُ[1]

غدا الرَّوعُ، إنْ هَبَّ الضَّعِيفُ بِبأْسِهِ، سَتَعْلَمُ مَنْ مِنَّا سَيَجْرُفُهُ الدَّمُ[2]

إلى حَيْثُ تَجْنِي كَفُّهُ بَذْرَ أمْسِهِ ومُزْدَرِعُ الأَوْجاعِ لا بُدَّ يَنْدَمُ[3]

سَتَجْرَعُ أَوْصابَ الحَياةِ ، وتَنْتَشِي فَتُصْغِي إلى الحَقِّ الذي يَتَكَلَّمُ[4]

إذا ما سَقاكَ الدَّهْرُ مِنْ كَأْسِهِ التي قَرارَتُها صَابٌّ مَرِيرٌ ، وعَلْقَمُ[5]

إذا صُعِقَ الجَبَّارُ تَحْتَ قُيُودِهِ يُصِيخُ لأَوْجاعِ الحَياةِ ويَفْهَمُ !![6]

[74]

يا حماة الدِّين

قال : (الطويل)

لَقَدْ نامَ أَهلُ العِلْمِ نَوْماً مُغنطَساً فَلَمْ يَسْمَعُوا ما رَدَّدَتْهُ العَوالِمُ[7]

ولَكِنَّ صَوْتاً صَارِخاً ، مُتَصاعِداً مِنَ الرُّوحِ يَدرِي كُنْهَهُ المُتَصامِمُ[8]

سَيُوقِظُ مِنْهُمْ كُلّ منْ هُوَ نائِمٌ ويُنطِقُ مِنْهمْ كُلَّ منْ هُو واجِمُ[9]

* * *

سَكَتُّمْ حُماةَ الدِّينِ سَكْتَةَ واجِمٍ ونِمْتُمْ بِمِلْءِ الجَفْنِ ، والسُّيلُ داهِمُ[10]

---

(1) الساخط : الغاضب . وما شاد الظلام : ما شيّده . والظلام : الظلم .

(2) الروع : الخوف . والبأس : الشدة .

(3) تجني : تقطف . ومزدرع الأوجاع : زارعها .

(4) تجرع : تشرب . وأوصاب الحياة : متاعبها ومصائبها .

(5) قرارة الكأس : قاعها المستدير . والصاب : شجر مرٌّ له عصارة بالغة المرارة . والعلقم : نبات شديد المرارة .

(6) صُعِق الجبار : أصابته الصاعقة . ويصيخ : يستمع .

(7) العوالم : جمع العالم . وقوله : نوماً مغنطساً ، أراد نوماً سرمديًّا .

(8) كنه الشيء : جوهره وحقيقته . والمتصامم : الذي يُري نفسه أنه أصم وليس به صمم .

(9) الواجم : الساكت عن غيظ أو فزع .

(10) سيل داهم : كثير شديد .

سَكَتُّمْ ، وقَد شِمتمْ ظلاماً ، غُصُونُه ... عـلائِـمُ كُـفْـرٍ ثَـائِـرٍ ومَعـالِـمُ[1]

مَـواكِـبُ إلْـحـادٍ وراءَ سكـوتِكُـم ... تَضجُّ ، وها إنَّ الـفَـضـاءَ مَـآثِـمُ[2]

أَفِـيـقُـوا فَـلَـيـلُ النَّومِ وَلَّى شَـبـابُـهُ ... وَلاحَـتْ لِلأُلاءِ الصَّباحِ عَـلائِـمُ[3]

فَـدونَ ضَجيجِ الفاسِقين سَكِـيـنَـةٌ ... هِيَ الـمَـوْتُ مِمَّا أَورثَتْه التَّمائِمُ[4]

عـوائِـدُ تُـحـيـي في الـبـلادِ نَـوائِـبـاً ... تـقُـدُّ قِـوامَ الدِّين ، والدِّينُ قـائِـمُ[5]

أَفِـيـقُـوا ، وهُـبُّـوا هَـبَّـةً ضَـيْـغَـمِـيَّـةً ... ولا تحجمُوا ، فالمَوْتُ في الجبْنِ جاثِمُ[6]

فَدون نِقابِ الصَّمتِ تَـنْـمُـو مَلامِحٌ ... تَـبَـرقَـعـتِ الـشَّـرَّ الذي لا يُقاوِمُ[7]

فَقَدْ فَتَّ في زَنْـدِ الـدِّيـانَـةِ مَـعْـشَـرٌ ... أثارُوا على الإسْلامِ مَنْ قد يُهاجِمُ[8]

فوا الـحَقِّ ، ما هَذِي الزَّوايا وأهلُها ... سِوَى مَصنعٍ فِيْهِ تُصاغُ السَّخائِمُ[9]

لَحَى اللَّـهُ مَنْ لَمْ تَـسْـتـثِـره حـمـيَّـةٌ ... على دِينِهِ ، إنْ داهمتهُ العَظائِمُ[10]

لَحَى اللَّـهُ قَـوْمـاً ، لَمْ يُبالُوا بِأسْهُمٍ ... يُـصـوِّبـهـا نَـحْـوَ الـدِّيـانَـةِ ظَـالِـمُ

* * *

---

(1) شمتم : نظرتم ورأيتم .

(2) الإلحاد : الميل والعدول عن القصد . والمأثم : الوقوع في الإثم .

(3) لألاء الصباح : ضوؤه .

(4) الفاسق : العاصي التارك لطاعة الله . والتمائم : جمع التميمة ، وهي العوذة ، ما يعلق في العنق لدفع العين .

(5) العوائد : جمع العادة . والنوائب : المصائب ، الواحدة نائبة . وقوام الدين : عماده ونظامه .

(6) ضيغمية : نسبة إلى الضيغم ، وهو الأسد . ولا تحجموا : لا تنكصوا وتجبنوا .

(7) تبرقعت الشرّ : وضعت برقع الشرّ ، وهو قناعه . والنقاب : القناع .

(8) فتّ في زند الديانة : أوهن قوتها وفرّق عنها أتباعها .

(9) الزوايا : جمع زاوية ، وهي المسجد غير الجامع ليس فيه منبر ، وهي مأوى المتصوفين . والسخائم: جمع سخيمة ، وهي الحقد والضغينة .

(10) لحى الله : لعنه . والحمية : الأنفة والغيرة . وداهمته العظائم ، أي : نزلت به المصائب العظام .

[75]

السَّعادة

قال : (البسيط)

تَرْجُو السَّعادَةَ يا قَلْبي ولَو وُجِدَتْ ... في الكَونِ لَمْ يشتعلْ حُزْنٌ ولا أَلَمُ

ولا اسْتَحالَتْ حَياةُ النَّاسِ أجْمعُها ... وزُلْزلتْ هاتِهِ الأَكْوانُ والنُّظمُ

فَما السَّعادَةُ في الدُّنيا سِوَى حُلُمٍ ... ناءٍ تُضَحِّي لَهُ أَيَّامَها الأُمَمُ[1]

ناجَتْ بِهِ النَّاسَ أَوْهامٌ معَرْبِدَةٌ ... لَمَّا تغَشَّتْهُمُ الأَحْلامُ والظُّلَمُ[2]

فَهَبَّ كُلٌّ يُنادِيهِ ويَنْشُدُهُ ... كَأَنَّما النَّاسُ ما نامُوا ولا حلُمُوا[3]

* * *

خُذِ الحَياةَ كَما جاءَتْك مُبْتَسِماً ... في كَفِّها الغارُ، أو في كَفِّها العَدَمُ[4]

وارْقُصْ على الوَردِ والأَشْواكِ مُتَّئِداً ... غَنَّتْ لَكَ الطَّيرُ ، أو غَنَّت لَكَ الرُّجُمُ[5]

واعْملْ كَما تأمُرُ الدُّنيا بِلا مَضَضٍ ... والجمْ شُعورَكَ فِيْها ، إنَّها صَنَمُ[6]

فَمَنْ تَألَّمَ لَمْ تُرْحَمْ مَضاضَتُهُ ... ومَنْ تجلّدَ لَمْ تَهْزأ بِهِ القِمَمُ[7]

هَذِي سَعادَةُ دُنيانا ، فَكُنْ رَجُلاً ... ـ إنْ شِئْتَها ـ أَبَدَ الآباد يَبْتَسِمُ !

وإنْ أردتَ قَضاءَ العَيْشِ في دَعَةٍ ... شِعْرِيَّةٍ لا يُغَشِّي صَفْوَها نَدَمُ[8]

فَاتْرُكْ إلى النَّاسِ دُنياهُمْ وضَجَّتَهُمْ ... وما بَنَوْا لِنِظامِ العَيشِ أو رَسَمُوا

---

(1) النائي : البعيد . وتضحي : تبذل في سبيله .

(2) أوهام معربدة : سيئة . وتغشتهم : تغطتهم .

(3) أراد أن الناس ينشدون السعادة ، وما السعادة إلا حلم من الأحلام .

(4) الغار : شجر بريٌّ طيب الرائحة . والعدم : الفقر ، أو الموت .

(5) المتئد : المتأني المتمهل . والرجم : النجوم التي يرمى بها .

(6) المضض : ألم المصيبة . والجم شعورك : قيّده .

(7) تجلّد : تصبّر .

(8) الدعة : خفض العيش ولينه . ولا يغشي صفوها ، أي : لا يكدره .

واجْعَلْ حَياتكَ دَوحاً مُـزْهِـراً نَضِراً ... في عُـزْلَـةِ الغابِ يَـنْـمُـو ثُـمَّ ينعدمُ[1]

واجْعلْ لَـيـالِـيـك أَحْـلامـاً مُـغَـرِّدةً ... إنَّ الـحَـيـاةَ ومـا تَـدْوِي بِـهِ حُـلُـمُ

[76]

النَّاس

قال : (البسيط)

ما قدّسَ الـمثـلَ الأَعْـلَـى وجَـمَّـلَـهُ ... فـي أَعـيُـنِ الـنَّـاسِ إلاَّ أنَّـهُ حُـلُـمُ !

ولَـو مَـشَـى فِيْهِمُ حَـيًّـا لَـحَـطَّـمَـهُ ... قَوْمٌ ، وقالُوا بِخبثٍ : «إنَّهُ صَنَمُ»!

لا يـعـبـدُ الـنَّـاسُ إلاَّ كُـلَّ مُـنْـعَـدِمٍ ... مُـمـنَّـعٍ ، ولِمَنْ حـابـاهُـمُ الـعَـدَمُ !

حَتَّى الـعَـبـاقِـرةُ الأَفـذاذُ ، حُـبُّـهُـمُ ... يلقَى الشَّقاءَ وتَلقَى مجدَها الرِّمَمُ![2]

* * *

النَّاسُ لا يُـنْـصِـفُـونَ الـحَـيَّ بَـيْـنَـهُـمُ ... حَتَّى إذا ما تَوارَى عَنْهمُ نَدِمُوا ![3]

الـوَيْـل لـلـنَّـاسِ مِنْ أَهْـوائِـهـمْ أبـداً ... يَمْشِي الزَّمانُ وريحُ الشَّرِّ تَحْتَدِمُ ..[4]

[77]

قال : (الطويل)

أَرَى هَـيْـكـلَ الأيَّام يعلُو ، مُـشَـيَّـداً ... ولا بُدَّ أَنْ يَأْتِي على أُسِّـهِ الـهَـدْمُ[5]

فَـيُـصـبِـحَ ما قَدْ شيَّـد اللّـهُ والوَرَى ... خراباً ، كأنَّ الكُلَّ في أمسِهِ وَهْمُ !

فَقُلْ لِيَ : «ما جَدْوَى الحَياةِ وكربِها، ... وتِلْكَ التي تَذْوِي، وتِلْكَ التي تنمُو؟»[6]

---

(1) الدوح : الشجر العظيم الممتد الفروع ، واحدته دوحة . والنضر : الجميل الحسن الرونق .

(2) الأفذاذ : جمع الفذّ ، وهو المتفرد في مكانته أو كفايته . والرمم : العظام البالية .

(3) أنصف الرجل : عدل . وتوارى : اختفى .

(4) تحتدم : تشتد وتتقد .

(5) الأس : الأساس .

(6) الجدوى : الفائدة . والكرب : الحزن والغمّ الشديد .

«وفَوْجٍ ، تـغـذّيـه الـحَـيـاةُ لِبانَها ، وفوجٍ، يُرَى تَحْتَ التُّرابِ لَهُ رَدْمُ؟»[1]

«وعقلٍ، مِنَ الأَضْواءِ ، في رأسِ نَابِغٍ وعَقْلٍ، مِنَ الظَّلْماءِ، يَحْمِلُهُ فَدْمُ؟»[2]

وأَفئِدَةٍ حَسْرَى ، تَـذُوبُ كَـآبَـةً وأَفئِدَةٍ سَكْرَى ، يرفُّ لَها النَّجْمُ؟[3]

لِتَعْسِ الوَرَى ، شاءَ الإلَهُ وجودَهم فَكانَ لَهُمْ جَهْلٌ، وكَانَ لَهُمْ فَهْمُ!!

[78]

السَّاحرة

قال : (الخفيف)

رَاعـهـا مِـنْـهُ صَـمْـتُـهُ ووجُـومُـه وشَجاها شُحُوبُهُ وسُهُومُهْ[4]

فَـأَمَـرَّتْ كَـفًّـا عـلـى شَـعْـره الـعـا ـرِي بِـرفـقٍ ، كَـأَنَّـهـا سَـتُـنِـيـمُـهْ

وأطلّت بِـوَجْـهِـهـا الباسِمِ الـحُـلْـ ـوِ عـلـى خَـدِّهِ وقَـالَـتْ تَـلُـومُـهْ :

«أيُّـهـا الـطَّـائِـرُ الـكَـئِـيـبُ تَـغَـرّدْ إنّ شَدْوَ الطُّيورِ حلوٌ رَخِـيـمُـهْ»[5]

«وأجْـبِـنِـي ـ فدتْكَ نَفْسِيَ ـ ماذا ؟ أَ مُصابٌ ؟ أمْ ذاكَ أمرٌ ترومُهْ ؟»[6]

«بَل هو الفَنُّ واكْـتِـئـابُـه ، والـفَـنّـ ـان جـمٌّ أَحْـزانُـهُ وهُـمُـومُـهْ»[7]

«أبداً يـحـمـلُ الـوُجُـودَ بِـمـا فِـيْـ ـه كَأَنْ لَـيْـسَ لـلـوُجُـودِ زَعِـيـمُـهْ

«خَلِّ عِبءَ الـحَياةِ عَـنْـكَ ، وهَـيَّـا بِمحيًّا ، كالصُّبحِ ، طَلْقٍ أَدِيْمُهْ»[8]

---

(1) اللبان : الرضاع . يقال : غذته الأم بلبانها .

(2) الفدم : العيّ عن الكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم وفطنة .

(3) أفئدة حسرى : متعبة . ويرف النجم : يبرق ويتلألأ .

(4) راعها : أفزعها. والوجوم : السكوت على غيظ . وشجاها : أحزنها . والشحوب : تغير اللون . والسهوم : تغير اللون من همٍّ أو هزال .

(5) الشدو : الغناء . وغناء رخيم : رقيق شجيٌّ طيب النغمة .

(6) ترومه : تبغيه وتطلبه .

(7) الجمّ : الكثير .

(8) الطلق : المتهلل المستبشر . والأديم : الوجه .

«فَكَثِيرٌ عَلَيْكَ أن تحْملَ الدُّنْـ ـيا وتَمشِي بِوِقْرِها لا تَرِيمُهْ»[1]

«والوُجُودُ العَظيم أُقْعِدَ في المـا ضِي وما أَنْتَ رَبُّهُ فَتُقِيمُهْ»

«وامْشِ في رَوضَةِ الشَّبابِ طَرُوباً فَحَوالَيْكَ وَرْدُهُ وكُرُومُهْ»

«واتْلُ للحُبِّ والحَياةِ أَغانِيـ ـكَ وخَلِّ الشَّقاءَ تدمَى كُلُومُهْ»[2]

«واحْتضنّي ، فإنَّني لَكَ ، حَتَّى يَتَوارَى هَذا الدُّجَى ونُجُومُهْ»

«ودَعِ الحُبَّ يُنشِدُ الشِّعر للَّيْـ ـلِ ، فَكَمْ يُسكِرُ الظَّلامَ رَنِيمُهُ ..»[3]

«واقْطِف الوردَ من خُدودِي وجيدِي ونُهودِي ... وافْعَلْ بِهِ ما تَرُومُهْ»

«إنَّ لِلْبَيتِ لَهْوَهُ النّاعِمَ الحُلْـ ـوَ ولِلْكَونِ حَرْبُهُ وهُمُومُهْ»

«وارْتَشفْ مِنْ فمِي الأَناشِيدَ سَكْرَى، فَالهَوَى ساحِرُ الدّلالِ وَسيمُهْ»[4]

«وانْسَ فِيَّ الحَياةَ ... فالعمرُ قفرٌ مُرْعِبٌ إنْ ذَوَى وجفّ نَعِيمُهْ»

«وارْمِ لِلَّيْلِ ، والضَّبابِ بَعِيداً فَنَّكَ العابِسَ الكَئِيرَ وُجُومُهْ»

«فَالهَوَى والشَّبابُ والمَرحُ المَعْـ ـسُولُ تَشْدُو أَفْنانُهُ ونَسِيمُهْ»[5]

«هيَ فَنُّ الحَياة ، يا شاعِرِي الفَنّا نَ بلْ لُبُّ فنِّها وصَمِيمُهْ»

«تِلْكَ يا فَيلسُوفُ ، فلسفَةُ الكَوْ ن ووَحْيُ الوُجُودِ هَذا قَدِيمُهْ ،

«وَهْيَ إنْجِيلِيَ الجَمِيلُ ، فصدِّقْـ ـه وإلاّ ... فلِلغَرامِ جَحِيمُهْ ..»

فَرَماها بِنَظرَةٍ ، غَشِيَتْها سَكْرَةُ الحُبِّ ، والأَسَى وغُيُومُهْ

وتلاها بِبَسْمَةٍ رَشَفَتْها مِنْهُ سَكْرانَةُ الشَّبابِ ، رؤومُهْ[6]

والْتَقَتْ عِنْدَها الشّفاهُ ، وغَنَّتْ قُبَلٌ ، أجْفَلَتْ لَدَيْها هُمُومُهْ

ما تريدُ الهُمُومُ من عالَمٍ ، ضَا ءَتْ مَسَرَّاتُه ، وغَنَّتْ نُجُومُهْ ؟

* * *

---

(1) الوقر : الحمل الثقيل . ولا تريمه : لا تبرحه وتتركه .

(2) الكلوم : الجروح ، الواحد كلم .

(3) الرنيم : ترجيع الصوت المطرب .

(4) ارتشف : امتصّ . والوسيم : الحسن الوجه .

(5) الأفنان : جمع الفنن ، وهو الغصن .

(6) الرؤوم : الحنون العطوف .

لَـيْـلَـةٌ أسـبـلَ الـغَـرامُ عَـلَـيْـهـا سِـحْرَهُ النّاعِمَ الـطّـريـرَ نَـعِـيـمُـهْ[1]
وتَـغَـنّـى فـي ظِـلّـهـا الـفَـرَحُ الـلاّ هِي فَجَفَّ الأَسَى وخَـرَّ هَـشِـيـمُـهْ
أغْـرَقَ الفَيلسُوفُ فَـلـسـفَـةَ الأَحْـ ـزانِ في بَحْرِها ... فَمَنْ ذا يَلومُهْ

* * *

إنَّ في الـمَـرْأةِ الـجَـمِـيـلَـةِ سِـحْـراً عَبْقَرِيًّا ، يُذكِي الأَسَى ، ويُنِيمُهْ[2]

[79]

الغاب

قال : (الكامل)

بَيتٌ ، بَـنَـتْـهُ لِيَ الـحَياةُ من الشَّذَى والـظِّـلِّ ، والأَضْواءِ ، والأَنْـغـامِ[3]
بَيتٌ ، من السِّحرِ الـجَمِيلِ ، مُشَيَّدٌ لـلـحُـبِّ ، والأَحْـلامِ ، والإلْـهـامِ
في الغابِ سـحـرٌ ، رائِـعٌ مُـتَـجـدِّدٌ بـاقٍ عـلـى الأَيّـامِ والأَعْـوامِ
وشَذًى كَأَجْنِحَةِ الملائِكِ ، غامِضٌ سَـاهٍ يُـرفـرف في سُـكُـونٍ سـامِ[4]
وجَداولٌ ، تَشْدُو بِـمَـعْـسُـولِ الغِنا وتَـسِـيـرُ حَـالِـمَـةً ، بِـغَـيْـرِ نِـظـامِ
ومَـخـارفٌ نَـسَـجَ الزَّمانُ بِساطَها مِـنْ يـابِـسِ الأَوْراقِ والأَكْـمـامِ[5]
وحَـنـا عَلَيْها الـدّوْحُ ، في جَـبـرُوتِـهِ بِـالـظِّـلِّ ، والأَغْصانِ والأَنْـسـامِ[6]
في الغابِ، في تِلْكَ المخارِفِ، والرُّبَى وعلى التِّلاعِ الـخُضْرِ ، والآجامِ[7]

---

(1) أسبل : أرخى . والطرير : ذوالمنظر والهيئة الحسنة والجمال .

(2) يذكي الأسى : يشعله .

(3) الشذا : قوة الرائحة الطيبة .

(4) الساهي : الغافل . والسامي : المرتفع العالي .

(5) المخارف : جمع المخرف ، وهو البستان . وأكمام النخلة : ما غطّى جمارها من السعف والليف والجذع .

(6) الدوح : الشجر العظيم الممتد الفروع ، واحدته دوحة .

(7) المخارف : جمع المخرف ، وهو البستان . والتلاع : جمع تلعة ، وهي ما ارتفع من الأرض وأشرف. والآجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثيف الملتف .

كَمْ من مَشاعِرَ ، حُلوةٍ مَجْهُولَةٍ ... سَكْرَى ، ومِنْ فِكَرٍ ، ومن أوْهامِ
غَنَّتْ كأَسْرابِ الطُّيورِ ، ورَفْرَفَتْ ... حَولِي ، وذابَتْ كالدُّخانِ ، أَمامِي
ولَكَمْ أصَخْتُ إلى أَناشِيدِ الأَسَى ... وتَنَهُّدِ الآلامِ والأَسْقامِ[1]
وإلى الرِّياحِ النَّائِحاتِ كأنَّها ... في الغابِ تَبكِي مَيِّت الأيَّامِ
وإلى الشَّبابِ ، مُغَنِّياً ، مُتَرَنِّما ... حوْلِي بِأَلْحانِ الغَرامِ الظَّامِي
وسَمِعْتُ للطَّيْرِ ، المُغرِّدِ في الفَضا ... والسِّنْدِيانِ ، الشَّامخِ المُتَسامِي
وإلى أَناشِيدِ الرّعاةِ ، مُرفّةً ... في الغابِ ، شَادِيةً كَسِرْبِ يَمامِ[2]
وإلى الصَّدَى، المِمْراحِ، يهتُفُ راقِصاً ... بَيْنَ الفِجاجِ الفَيحِ والآكامِ[3]
حَتَّى غَدا قَلْبِي كَنايٍ مُتْرعٍ ... ثَمِلٍ من الأَلْحانِ والأَنْغامِ[4]
فَشَدَوْتُ باللَّحْنِ الغَرِيب مُجَنَّحاً ... بِكَآبَةِ الأَحْلامِ والآلامِ
في الغابِ ، دُنيا للخَيالِ ، وللرُّؤى ... والشِّعرِ ، والتَّفكِيرِ ، والأَحْلامِ
للَّهِ يَوْمَ مَضَيْتُ أوَّلَ مَرَّةٍ ... للغابِ، أرزحُ تَحْتَ عِبءِ سَقامِي[5]
ودخَلْتُهُ وَحْدِي ، وحوْلِي مَوكِبٌ ... هَزِجٌ ، من الأَحْلامِ والأَوْهامِ[6]
ومَشيتُ تَحْتَ ظِلالِه مُتَهَيِّباً ... كالطِّفلِ، في صَمَتٍ، وفي اسْتسلامِ[7]
أرنُو إلى الأدْواحِ ، في جَبروتِها ... فإخالُها عَمَدَ السَّماءِ ، أَمامِي[8]
قَد مسَّها سِحْرُ الحَياةِ ، فَأوْرَقَتْ ... وتَمايَلَتْ في جَنَّةِ الأَحْلامِ

---

(1) أصخت : أصيغت واستمعت . والتنهد : تنفس الصعداء .

(2) اليمام : الحمام البري ، الواحدة يمامة .

(3) الفجاج : جمع الفج ، وهو الطريق بين جبلين . وفجاج فيح : واسعة . والآكام : جمع أكمة ، وهي الرابية .

(4) المترع : المملوء . والثمل : السكران من الشراب .

(5) أرزح : أضعف وأهزل . والسقام : المرض .

(6) الهزج : المترنم المطرّب في غنائه .

(7) المتهيب : الخائف .

(8) أرنو : أنظر بدوام طرف . والأدواح : جمع الدوحة ، وهو الشجر العظيم الممتد الفروع . والعمد: جمع عمود .

وأُصيخُ للصَّمتِ المفكّر ، هاتِفاً ... في مِسمَعِي بِغَرائِبِ الأَنْغامِ

فإذا أنا في نَشْوَةٍ شِعْرِيَّةٍ ... فَيَّاضَةٍ بِالوَحيِ والإلْهامِ

ومَشاعِرِي في يقظَةٍ مَسْحُورَةٍ ... .[1]

وَسْنَى كَيقظَةِ آدَمٍ لَمَّا سَرَى ... في جسمه رُوحُ الحَياة النَّامِي[2]

وَشَجتْه موسيقَى الوجُودِ ، وعانقتْ ... أَحْلامَه ، في رِقَّةٍ وسَلامِ[3]

ورأى الفَرادِيسَ الأَنِيقَةَ ، تَنْثَنِي ... في مُتْرَفِ الأَزْهارِ والأَكْمامِ[4]

ورأى الملائِكَ ، كالأشِعَّةِ في الفَضا ... تَنْسابُ سابِحَةً ، بِغَيْرِ نِظامِ

وأحسّ رُوحَ الكَونِ تَخفقُ حولَه ... في الظِّلِّ ، والأَضْواءِ ، والأَنْسامِ

والكَائِناتِ ، تحُوطُهُ بِحَنانِها ... وبِحُبِّها، الرَّحْبِ، العَمِيقِ، الطَّامِي[5]

حَتَّى تملأَّ بِالحَياةِ كِيانُهُ ... وسَعَى وَراءَ مَواكِبِ الأَيَّامِ

ولَرُبَّ صُبْحٍ غائِمٍ ، مُتَحجِّبٍ ... في كِلَّةٍ من زَعْزَعٍ وغَمامِ[6]

تَتَنَفَّسُ الدُّنيا ضَباباً ، هائِماً ... مُتَدفِّعاً في أُفْقِهِ المُتَرامِي

والرِّيحُ تخفقُ في الفَضاءِ ، وفي الثَّرَى ... وعلى الجِبالِ الشُّمِّ والآكامِ[7]

بَاكَرْتُ فِيْهِ الغابَ موهُونَ القُوَى ... مُتَخاذِلَ الخُطُواتِ والأقْدامِ[8]

وجلستُ تَحْتَ السِّندِيانَةِ ، واجماً ... أرنُو إلى الأُفُقِ الكَئِيبِ ، أَمامِي[9]

فَأرَى المبانِيَ في الضَّبابِ ، كَأنَّها ... فِكَرٌ ، بِأَرضِ الشَّكِ والإبْهامِ

أو عالَمٌ ، ما زال يولَدُ في فَضا ... ءِ الكَونِ ، بَيْنَ غياهبٍ وسِدامِ[10]

---

(1) العجز ساقط في جميع الأصول والطبعات .

(2) وسنى : يغالبها النعاس .

(3) شجته : أحزنته .

(4) تنثني : تتمايل . والأكمام : جمع كمّ ، وكم كل نَوْر : وعاؤه .

(5) الطامي : المرتفع الذي يغمر كل شيء .

(6) الكلة : الستر الرقيق . والزعزع : الريح الشديدة . والغمام : السحاب .

(7) الثرى : الأرض . والجبال الشم : العالية المرتفعة .

(8) الموهون : الضعيف في بدنه . ومتخاذل الخطوات : ضعيفها .

(9) الواجم : الساكت من غيظ . وأرنو : أديم النظر .

(10) الغياهب : جمع الغيهب ، وهو الظلمة الشديدة . والسدام : الضباب الرقيق .

وأرَى الفِجاجَ الدَّامِساتِ ، خلالَهُ ومَشاهِدَ الوديانِ والآجامِ[1]
فَكَأنَّها شُعَبُ الجَحِيمِ ، رَهِيبَةً مَلفُوفَةً في غُبْشَةٍ وظَلامِ[2]
صُوَرٌ من الفَنِّ المُرَوِّع ، أعجزتْ وَحْيَ القريض وريشَةَ الرَّسَّامِ[3]
ولَكَمْ مَساءٍ حَالِمٍ مُتَوشِّحٍ بالظِّلِّ ، والضَّوءِ الحَزِينِ الدَّامِي
قَدْ سِرْتُ في غابي ، كَفِكرٍ ، هائِمٍ في نَشْوَةِ الأَحْلامِ والإلْهامِ
شِعري ، وأَفْكاري ، وكُلُّ مَشاعِرِي مَنْشُورَةٌ للنُّور والأنْسامِ
والأفْقُ يزخَرُ بالأَشِعَّةِ والشَّذَى والأَرْضُ بالأَعْشابِ والأَكْمامِ[4]
والغابُ ساجٍ ، والحَياةُ مُصِيخَةٌ والأفْقُ، والشَّفَقُ الجَمِيلُ ، أمامِي[5]
وعرُوسُ أَحْلامِي تُداعِبُ عُودَها فيرنّ قَلْبِي بالصَّدَى وعِظامِي
روحٌ أنا ، مَسْحُورَةٌ ، في عالَمٍ فَوْقَ الزَّمانِ الزَّاخِرِ الدَّوّامِ

* * *

في الغابِ ، في الغابِ الحَبيبِ ، وإنَّه حَرَمُ الطَّبِيعَةِ والجمالِ السَّامِي
طهَّرْتُ في نارِ الجَمالِ مَشاعِرِي ولَقيتُ في دُنيا الخَيالِ سَلامِي
ونَسِيتُ دُنيا النَّاسِ ، فَهْيَ سَخافَةٌ سَكْرَى من الأَوْهامِ والآثامِ
وقَبسْتُ من عَطْفِ الوُجُودِ وحُبِّه وجَمالِهِ قَبساً ، أَضاءَ ظَلامِي[6]
فَرَأَيْتُ أَلْوانَ الحَياةِ نَضِيرَةً كَنَضارَةِ الزّهَرِ الجَمِيلِ النَّامِي[7]
ووجدتُ سحْرَ الكَون أَسْمَى عُنصراً وأجلَّ من حُزْنِي ومِن آلامِي
فَأهَبْتُ ـ مَسحُورَ المَشاعِرِ ، حالِماً نشوانَ ـ بِالقَلْبِ الكَئِيبِ الدَّامِي :

---

(1) الفجاج : جمع الفج ، وهو الطريق بين جبلين . والدامسات : المظلمات . والآجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثيف الملتف .

(2) الغبشة : ظلمة آخر الليل .

(3) وحي القريض : إلهام الشعر .

(4) يزخر : يفيض . والشذا : قوة الرائحة الطيبة .

(5) الساجي : الساكن . ومصيخة : منصتة .

(6) قبست : أخذت . والقبس : شعلة النار .

(7) نضارة الزهر : بهجته ورونقه .

«المعبدُ الحَيُّ المُقدّسُ ها هُنا يا كَاهِنَ الأَحْزانِ والآلامِ»
«فَاخْلعْ مُسُوحَ الحزنِ تَحْتَ ظِلالِهِ والْبَسْ رِداءَ الشِّعرِ والأَحْلامِ»[1]
«وارْفعْ صَلاتَكَ للجَمالِ ، عَمِيقَةً مَشْبُوبَةً بِحَرارَةِ الإلْهامِ»[2]
«واصْدَحْ بِألْحانِ الحَياةِ ، جَمِيلَةً كَجَمالِ هَذا العالَمِ البَسَّامِ»[3]
«واخْفقْ مَعَ العِطْرِ المُرفْرِفِ في الفَضا وارْقُصْ مَعَ الأَضْواءِ والأَنْسامِ»
ومَعَ اليَنابِيعِ الطَّلِيقَةِ ، والصَّدَى، .....[4]
وذَرَوْتُ أفْكارِي الحَزِينَةَ للدّجَى ونَثَرْتُها لِعَواصِفِ الأَيَّامِ[5]
ومَضَيْتُ أشدُو للأشعَّةِ ساحِراً من صوتِ أَحْزانِي، وبَطش سِقامِي[6]
وهتفتُ : «يا رُوحَ الجمالِ تَدَفَّقِي كالنَّهرِ في فِكْرِي ، وفي أَحْلامِي»
«وتغلغلِي كالنُّورِ ، في رُوحِي التي ذَبُلَتْ مِنَ الأَحْزانِ والآلامِ»
«أنْتِ الشُّعورُ الحَيُّ يَزْخَرُ دافِقاً كالنَّارِ ، في رُوحِ الوُجُودِ النَّامِي»
«ويَصُوغُ أَحْلامَ الطَّبِيعَةِ ، فَاجْعلِي عُمُرِي نَشِيداً ، ساحِرَ الأَنْغامِ»
«وشَذًى يَضُوعُ مَعَ الأشعَّةِ والرُّؤى في معبَدِ الحَقِّ الجَلِيلِ السَّامِي»[7]

[80]

يا رفيقي

قال : (الخفيف)

يا رَفِيقِي ! وأَيْنَ أَنْتَ ؟ فَقَدْ أَعْمَتْ جفُونِي عَواصِفُ الأيَّامِ

---

(1) المسوح : جمع المِسح ، وهو ثوب الراهب .

(2) مشبوبة : مشتعلة وممزوجة .

(3) اصدح : ارفع الصوت بالغناء والطرب . وعالم بسّام : ضاحك .

(4) العجز ساقط في جميع الأصول والطبعات .

(5) ذروت أفكاري : فرقتها وأطرتها .

(6) أشدو : أغني . وبطش : سطوة وعنف . والسقام : المرض .

(7) الشذا : قوة الرائحة الطيبة . ويضوع : يفوح وينتشر .

ورَمَتْنِي بِمَهْمَهٍ ، قَاتِمٍ ، قَفْرٍ ، تُغَشِّيهِ داجِياتُ الغَمامِ ...[1]
خُذْ بِكَفِّي ، وغَنِّنِي ، يا رَفِيقِي ، فَسَبِيلُ الحَياةِ وَعْرٌ أَمامِي[2]
كُلَّما سِرْتُ زلَّ بِي فِيْهِ مَهْوَى ، تَتَضاغَى بِه وُحُوشُ الحِمامِ[3]
شَعَّبَتْهُ الدُّهُورُ ، وانْطَمسَ النُّورُ ، وقَامَتْ بِه بَناتُ الظَّلامِ
راقِصاتٍ ، يَخْلُبْنَ فِي حلَكِ اللَّيلِ ، ويَلعبْنَ بِالقُلُوبِ الدَّوامِي[4]
غَنِّنِي ، فَالغِناءُ يَدْرَأُ عَنَّا السَّاحِرِ الجِنَّ ...، ساكِنَ الآجامِ[5]
قَدْ تَفَكَّرْتُ فِي الوُجُودِ ، فَأعيانِي ، وأدبرتُ آيساً لِظَلامِي[6]
أَنْشُدُ الرَّاحَةَ البَعِيدَةَ ، لَكِنْ خابَ ظَنِّي وأَخْطَأَتْ أَحْلامِي[7]
فَمَعِي فِي جَوانِحِي أبدَ الدَّهرِ فُؤادٌ إلى الحَقِيقَةِ ظَامِي[8]
ما تراخَى الزَّمانُ إلاَّ وألْقى فِي طَواياهُ قَبْضَةً مِنْ ضِرامِ[9]
تَتَلَظَّى ، يَدُ الحَياةِ ، وزادَتْ مُعْضِلاتُ الدُّهُورِ والأَعْوامِ[10]
أظمأَتْ مُهْجَتِي الحَياةُ فَهَلْ يَوْماً تُبلُّ الحَياةُ بَعضَ أوامِي ؟[11]
يا رَفِيقِي ! ما أحسبُ المَنْبعَ المَنْشُودَ إلاَّ وَراءَ لَيْلِ الرِّجامِ[12]

---

(1) المهمه : الفلاة لا ماء بها ولا أنيس . والقاتم : الأغبر الضارب للسواد . والقفر : المقفر . وتغشيه: تغطيه . وداجيات الغمام : السحب السود .

(2) سبيل وعر : طريق صعب المسلك .

(3) زلّ بي : زلق . والمهوى : الموضع بين جبلين . وتتضاغى : تتصايح من الألم . والحمام : الموت .

(4) قلوب دوامٍ : أدماها العشق والسهد .

(5) يدرأ : يدفع . والآجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثيف الملتف .

(6) أعياني : أتعبني . وأدبرت : ولّيت . وآيساً : يائساً .

(7) أنشد الراحة : أطلبها .

(8) الفؤاد الظامي : المتعطش للحقيقة .

(9) الضرام : النار .

(10) تتلظى : تحترق وتلتهب . والمعضلات : جمع المعضلة .

(11) الأوام : حرارة العطش وشدته .

(12) الرجام : جمع الرجمة ، وهي الحجارة تنصب على القبر .

غَنِّنِي ، يا أُخَيَّ ، فَالكَوْنُ تَيْهاءُ ، بِها قَد تَمزّقتْ أَقْدامِي[1]
غَنِّنِي ، عَلِّنِي أُنِيمُ هُمُومِي ، إنَّنِي قَدْ مَلَلْتُ مِنْ تَهْيامِي[2]

* * *

يا رَفِيقِي ! أما تَفَكَّرْتَ في النَّاسِ ، وما يحملونَ مِنْ آلامِ ؟
فَلَقَدْ حَزَّ في فُؤادِيَ ما يَلْقَوْنَ من صَوْلَةِ الأَسَى الظَّلاَّمِ[3]
فَإذا سَرَّنِي من الفَجرِ نُورٌ سَاءنِي ما يُسِرُّ قَلبُ الظَّلامِ
كَمْ بِقَلبِ الظَّلامِ مِنْ أَنَّةٍ تَهْفُو بِغُصَّاتِ صِبْيَةٍ أَيْتامِ[4]
ونَشِيجٍ مُضرَّمٍ من فَتاةٍ ، أَبْهَظَتْها قَوارعُ الأيَّامِ[5]
ونُواحٍ يَفِيضُ من قَلْبِ أُمٍّ فُجِعَتْ في وَحِيدها البَسَّامِ ،[6]
فَطَمَ المَوْتُ طِفْلَها ، وَهْوَ نورٌ في دجاها ، مِنْ قَبْلِ عَهْدِ الفِطامِ
وأَنِينٍ مِنْ مُعْدِمٍ ، ذِي سَقامٍ ، عَضَّهُ الدَّهْرُ بِالخُطُوبِ الجِسامِ[7]
ما إخالُ النُّجُومَ إلاَّ دُمُوعاً ، ذَرَفَتْها مَحاجِرُ الأَعْوامِ[8]
فَلَقَدْ ضَرَّمَ الشُّجُونَ بنوها ، فَإذا بالشُّجُونِ سَيْلٌ طَامِ[9]
وإذا بِالحَياةِ في مَلْعَبِ الدَّهْرِ تَدُوس الرُّؤُوسَ بِالأَقْدامِ
وإذا الكَون فِلْذَةٌ مِنْ جَحِيمٍ ، تَتَغَذَّى بِكُلِّ قَلْبٍ دامِ[10]

---

(1) التيهاء : الأرض الواسعة لا علامة فيها يهتدى بها .
(2) التهيام : الجنون من العشق .
(3) الصولة : القهر والسطوة .
(4) الأنة : تأوه الضعيف . وتهفو : تخفق . والغصات : جمع غصة .
(5) النشيج : الصوت المتردد في الصدر . وأبهظتها : غلبتها . والقوارع : جمع القارعة ، وهي المصيبة الشديدة .
(6) فجعت : أصيبت بفاجعة بموت ابنها . والبسام : المشرق الوجه .
(7) الأنين : تأوّه الضعيف . والمعدم : الفقير . والخطوب : المصائب ، الواحد خطب . والجسام : العظام . وقوله : عضه الدهر ، أي : أنزل به المصائب .
(8) ذرفتها : سكبتها . والمحاجر : العيون .
(9) الشجون : جمع الشجن ، وهو الهمّ والحزن . وسيل طام : يغمر كل شيء أمامه .
(10) الفلذة : القطعة من الكبد أو اللحم ... وقلب دامٍ : أدماه الحزن والألم .

وهُـمُ فـي جَحِيمِهِمْ يَتَناغَوْنَ بِما فـي الوُجُودِ مِنْ أَنْغامِ ![1]
عَجَباً لِلنُّفُوسِ ، وَهْيَ بَواكٍ ، عَجَباً لِلقُلُوبِ ، وَهْيَ دَوامِ
كَيفَ تَشدُو وفي مَحاجِرِها الدَّمْعُ ، وتَلهُو ما بَيْنَ سُودِ المَوامِي ؟![2]

* * *

يا رَفِيقِي ! لَقَدْ ضَلَلْتُ طَرِيقِي ، وتَخَطَّتْ مَحَجَّتِي أَقْدامِي[3]
خُذْ بِكَفِّي ، فَإِنَّنِي تائِهٌ ، أَعْمَى ، كَثِيرُ الضَّلالِ والأَوْهامِ
وانْفُخِ النَّايَ ، فَالحَياةُ ظَلامٌ ، ما لِمُرْتادِهِ من الهَوْلِ حامِ
مِلءُ آفاقِهِ فَحِيحُ الأَفاعِي ، وعَجِيجُ الآثامِ والآلامِ[4]
فَانْفُخِ النَّايَ ، إِنَّهُ هِبَةُ الأَمْلاك لِلمُسْتَعِيذِ بِالإِلْهامِ[5]
واغذُذِ السَّيْرَ ، فَالنَّهارُ بَعِيدٌ ، وسَبِيلُ الحَياةِ جَمُّ الظَّلامِ ...[6]

[81]

قيود الأحلام

قال : (الكامل)

وأَوَدُّ أَنْ أَحْيا بِفِكْرَةِ شاعِرٍ ... فَأَرَى الوُجُودَ يَضِيق عَنْ أَحْلامِي
إلاَّ إذا قَطَّعتُ أَسْبابِي مَعَ الدُّ ... نيا وعِشْتُ لِوَحْدَتِي وظَلامِي[7]
في الغابِ، في الجَبلِ البَعِيدِ عن الوَرَى ... حَيثُ الطَّبِيعَةُ ، والجَمالُ السَّامِي

---

(1) يتناغون : يتحادثون .

(2) تشدو : تغني . ومحاجرها : عيونها . والموامي : جمع موماة ، وهي الفلاة لا ماء بها ولا أنيس .

(3) المحجة : الطريق المستقيم .

(4) الآفاق : جمع الأفق . وفحيح الأفاعي : صوتها . والعجيج : الصياح والجلبة .

(5) المستعيذ : المعتصم الذي يلجأ .

(6) أغذ السير : أسرع فيه . والجمّ : الكثير .

(7) الأسباب : جمع السبب ، وهو الحبل ، أو الطريق .

وأَعِيشُ عِيشَةَ زاهِدٍ مُتَنَسِّكٍ ... ما إنْ تُدَنِّسُه الحَياةُ بِذامِ[1]

هَجَرَ الجَماعَةَ للجِبالِ ، تَوَرُّعاً ... عَنْها وعن بَطْشِ الحَياةِ الدَّامِي[2]

تَمْشِي حواليه الحَياةُ كَأنَّها ... الحلمُ الجَمِيلُ ، خَفِيفَةَ الأقْدامِ

وتَخِرُّ أَمْواجُ الزَّمانِ بِهَيْبَةٍ ... قُدْسِيَّةٍ في يَمِّها المُتَرامِي[3]

فَأَعِيشُ في غابي حَياةً ، كُلُّها ... لِلفَنِّ لِلأَحْلامِ لِلإلْهامِ

لَكِنَّنِي لا أَسْتَطِيعُ ، فَإنَّ لِي ... أُمًّا ، يَصُدُّ حَنانُها أَوْهامِي

وصِغارَ إخْوانٍ ، يَرَوْنَ سَلامَهُمْ ... في الكَائِناتِ مُعَلَّقاً بِسَلامِي

فقَدُوا الأبَ الحانِي ، فَكُنتُ لِضُعْفِهِمْ ... كَهْفاً يَصُدُّ غَوائِلَ الأيَّامِ[4]

ويَقِيهِمُ وَهَجَ الحَياة ، ولَفْحَها ... ويَذودُ عَنْهُمْ شِرَّةَ الآلامِ[5]

فَأنا المُكَبَّلُ في سَلاسِلَ حَيَّةٍ ، ... ضَحَّيْتُ مِنْ رَأْفِي بِها أَحْلامِي

وأنا الذي سَكَنَ المَدِينَةَ ، مُكْرهاً ... ومَشَى إلى الآتِي بِقَلْبٍ دامِ

يُصْغِي إلى الدُّنيا السَّخِيفَةِ راغِماً ... ويَعِيشُ مِثْلَ النَّاسِ بِالأَوْهامِ

وأنا الذي يَحْيا بِأَرْضٍ ، قَفْرَةٍ ... مَدْحُوَّةٍ لِلشَّكِّ والآلامِ ...[6]

هَجَمَتْ بِيَ الدُّنيا على أَهْوالِها ... وخِضمِّها الرَّحْبِ، العَمِيقِ الطَّامِي[7]

من غَيْرِ إنْذارٍ فَأَحْمِلَ عُدَّتِي ... وأُخوضَهُ كالسَّابِحِ العَوَّامِ

فَتحطَّمتْ نَفْسِي على شُطْآنِهِ ... وتَأَجَّجَتْ في جَوِّهِ آلامِي[8]

* * *

---

(1) المتنسك : المتعبد الزاهد . والذام : العيب .

(2) الورع : اجتناب المعاصي والشبهات .

(3) اليم : البحر الواسع . والمترامي : المتباعد الأطراف .

(4) يصد : يدفع . والغوائل : الدواهي والمصائب ، الواحدة غائلة .

(5) وهج الحياة : لفحها وحرّها . والشرة : الحدة والقسوة .

(6) أرض قفرة : مقفرة خالية . والمدحوة : المبسوطة والممهدة .

(7) الأهوال : جمع الهول ، وهو الفزع . والخضم : البحر . والرحب : الواسع . والطامي : الغامر يغمر ما فيه.

(8) تأججت : هاجت واشتعلت .

الـوَيْـلُ في الدُّنيا الـتـي في شَـرْعِـهـا فَأسُ الـطَّـغـام كَـرِيـشَـةِ الـرَّسَّـامِ[1]

[82]

متاعب العظمة

قال : (الطويل)

إذا صَغُرَتْ نفسُ الفَتَى كَانَ شوقُهُ صَغِيراً ، فَلَمْ يتعبْ ، ولَمْ يَتجَشَّمِ[2]

ومَنْ كَانَ جَبَّـارَ الـمَطامِعِ لَمْ يَـزلْ يُلاقِي من الدُّنيا ضَـراوَةَ قَـشْـعَـمِ[3]

* * *

(1) الطغام : أراذل الناس وأوغادهم .

(2) تجشم الأمر : تكلفه على مشقة وفعله على كره .

(3) قشعم : من أسماء الأسد . وضراوة قشعم : عادة أكل اللحم عند الأسد .

قافية النّون

[83]

المساء الحزين

قال : (المتقارب)

أَظَلَّ الوُجُودَ المَساءُ الحَزِينُ ، وفِي كَفِّهِ مِعْزَفٌ لا يُبِينْ[1]

وفي ثَغرِهِ بَسَماتُ الشُّجُونِ ، وفي طَرْفِهِ حَسراتُ السِّنِينْ[2]

وفي صَدْرِهِ لَوْعَةٌ لا تَقِرُّ ، وفي قَلْبِهِ صَعَقاتُ المَنُونْ[3]

وقَبَّلَهُ قُبَلاً صامِتاتٍ ، كَما يَلْثُمُ المَوْتُ وَرْدَ الغُصُونْ[4]

وأفْضَى إلَيْهِ بِوَحْيِ النُّجُومِ ، وسِرِّ الظَّلامِ ، ولَحْنِ السُّكُونْ[5]

وأوْحَى إلَيْهِ مَزامِيرَهُ ، فَغَنَّتْ بِها في الظَّلامِ ، الحُزُونْ[6]

وعَلَّمَهُ كَيفَ تَأْسَى النُّفُوسُ ، ويَقْضِي يَؤُوساً لَدَيْها الحَنِينْ

وأَسْمَعَهُ صَرَخاتِ القُلُوبِ ، وأَنْهَلَهُ مِنْ سُلافِ الشُّؤُونْ[7]

فَأغْفَى على صَدْرِهِ المُطْمَئِنِّ ، وفي رُوحِهِ حُلُمٌ مُسْتَكِينْ

قَوِيٌّ ، غَلُوبٌ ، كَسِحْرِ الجُفُونِ ، شَجِيٌّ ، لَعُوبٌ ، كَزَهرٍ حَزِينْ

ضَحُوكٌ ، وقَدْ بَلَّلته الدُّمُوعُ ، طَرُوبٌ ، وقَدْ ظَلَّلَتْهُ الشُّجُونْ[8]

تعانِقُه سَكَراتُ الهَوَى ، وتحضُنُهُ شَهَقاتُ الأَنِينْ

---

(1) المعزف : آلة الموسيقا التي يُضرب بها كالعود والقيثارة ..

(2) الثغر : الفم . والشجون : جمع الشجن ، وهو الغمّ والحزن . وطرفه : نظره .

(3) اللوعة : الحرقة في القلب . والمنون : الموت .

(4) يلثم : يقبل .

(5) أفضى إليه الأمر : أعلمه به .

(6) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض وخشن .

(7) أنهله : سقاه نهلاً . والسلاف : الخمرة . وشؤون العين : مجاريها الدمعيّة .

(8) ظللته الشجون : ألقت عليه ظلّها . والشجون : جمع الشجن ، وهو الغمّ والحزن .

يُشابهُ رُوحَ الشَّبابِ الجَمِيلِ ... إذا ما تَألَّقَ بَيْنَ الجفُونْ[1]

أَعادَ لِنَفْسِي خَيالاً جَمِيلاً ... لَقَد حَجَبَتْهُ صُرُوفُ السِّنِينْ[2]

فَطَافَتْ بِها هَجَساتُ الأَسَى ، ... وعادَتْ لَها خُطُواتُ الجُنُونْ[3]

* * *

أَظَلَّ الفَضاءَ جَناحُ الغُرُوبِ ، ... فَأَلْقَى عَلَيْهِ جَمالاً كَئِيبْ

وأَلْبَسَهُ حُلَّةً من جَلالٍ ، ... شَجِيٍّ ، قَوِيٍّ ، جَمِيلٍ ، غَلُوبْ

فَنامَتْ على العُشْبِ تِلْكَ الزُّهورُ ... لِمَرْأَى المَساءِ الحَزِينِ الرَّهِيبْ

وآبَتْ طُيورُ الفَضاءِ الجَمِيلِ ... لأَوْكارِها ، فَرِحاتِ القُلُوبْ[4]

وقَدْ أَضْمَرَتْ بِأَغارِيدِها ... خَيالَ السَّماءِ الفَسِيحَ الرَّحِيبْ

ووَلَّى رُعاةُ السَّوامِ إلى الحَيْ ... يِ يُزْجُونها في صُماتِ الغُرُوبْ[5]

فَتَثْغُو ، حَنِيناً لِحِمْلانِها ، ... وتَقْطفُ زهْرَ المُرُوجِ الخَصِيبْ[6]

وهُمْ يُنْشِدُونَ أَهازِيْجَهُمْ ... بِصَوتٍ ، بَهِيجٍ ، فَرُوحٍ ، طَرُوبْ

ويَسْتَمْنِحُونَ مَزامِيرهم ، ... فَتَمنحُهُمْ كُلَّ لَحْنٍ عَجِيبْ

تَطِيرُ بِهِ نَظَراتُ الصَّبايا ... أَناشِيدَ عَهْدِ الشَّبابِ الرَّطِيبْ

وأَقْبَلَ كُلٌّ إلى أَهْلِهِ ، ... سِوَى أَمَلِي المُسْتَطارِ ، الغَرِيبْ

فَقَدْ تاه في مَعْسَباتِ الحَياةِ ، ... وسُدَّتْ عَلَيْهِ مَناحِي الدُّرُوبْ[7]

وظَلَّ شَرِيداً ، وَحِيداً ، بَعِيداً ، ... يُغالِبُ عُنْفَ الحَياةِ العَصِيبْ

وقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ ذا غِبطَةٍ ، ... يُرَفرفُ حَوْلَ فُؤادِي الخَصِيبْ[8]

---

(1) تألّق : لمع وأضاء .

(2) صروف السنين : أحداثها ومصائبها .

(3) الهجسات : ما يخطر بالبال أو بالقلب .

(4) آبت : عادت ورجعت .

(5) السوام : الإبل الراعية . ويزجونها : يسوقونها ويدفعونها . والصمات : الصمت .

(6) ثغت الماشية : صوّتت .

(7) معسبات الحياة : لعلها مشاكل الحياة ومصائبها . والمناحي : جمع المنحاة ، وهو الطريق الملتوي .

(8) الغبطة : حسن الحال والمسرة .

ولَـمَّـا أَظَـلَّ الـمَـسـاءُ الـسَّـمـاءَ ، وأَسْـكَـرَ بِـالـحُـزْنِ روحَ الـوُجُـودْ

وقفتُ ، وسَـاءَلـتُـهُ : «هَـلْ يَؤُوبُ لِقَلْبِي رَبيعُ الـحَـيـاةِ الـشَّـرُودْ»؟[1]

«فَـتَـخْـفُـقُ فِـيْـهِ أَغـانِـي الـوُرُودِ ويخضرُّ فِرْدَوسُ نَفْسِي الحَصِيدْ»؟[2]

«وتـخـتـالُ فِـيْـهِ عَـرُوسُ الصَّباحِ ، وتَـمْـرَحُ نَشْـوَى بِذاكَ النَّشِيدْ»؟[3]

«ويَرجعُ لِي مِنْ عِراصِ الـجَـحِـيـمِ سَلامُ الفُؤادِ ، الـجَمِيلُ العَهِيدْ»؟[4]

«فَـقَـدْ كَـبَّـلَـتْـهُ بَـنـات الـظَّـلامِ ، وأَلْـقَـيْـنَـهُ فِي ظَـلامِ الـلُّـحُـودْ»؟[5]

فَـأَصْـغَـى إلى لَـهَـفِي الـمُـسْـتَـمـرِّ ، وخَـاطَـبَـنِـي مِـنْ مَـكـانٍ بَـعِـيـدْ :

«تَـعُـودُ ادِّكـاراتُ ذاك الـهَـوَى ، ولَـكِـنّ سِـحْـرَ الـهَـوَى لا يَعودْ»[6]

فَجاشَتْ بِنَفْسِي مَآسِي الـحَـيـاةِ ، وسخطُ الـقُـنُـوطِ القَوِيُّ الـمُرِيدْ[7]

ولَـمَّـا طَـغَـتْ عَـصَـفـاتُ الـقُـنُـوط فَمادَتْ بِكُـلِّ مَـكِـيـنٍ ، عَـتِـيـدْ[8]

أَهَبْتُ بِقَلْبِي ، الـهلوعِ ، الجزوعِ ، وكانَ مِنْ قَـبْـلُ جَلْداً ، شَدِيدْ :[9]

«تَـجـلَّـدْ ، ولا تَـسْـتَـكِـنْ لِلَّيالِي ، فَما فازَ إلاَّ الصَّبُورُ ، الـجَلِيـدْ»[10]

«ولا تَـأْسَ مِنْ حادثاتِ الـدُّهُـورِ ، فَـخَـلْـفَ الدَّياجيرِ فَـجْـرٌ جَدِيدْ»[11]

---

(1) يؤوب : يرجع ويعود .

(2) الفردوس : الوادي الخصيب . والحصيد : المحصود .

(3) نشوى : سكرى .

(4) العراص : جمع العرصة ، وهي الساحة الواقعة بين الدور ليس فيها بناء .

(5) كبَّلته : قيّدته ، والحديث عن السلام . واللحود : القبور ، الواحد لحد .

(6) الادّكار : الاذّكار والتذكر .

(7) جاشت : غلت واضطربت . والسخط : الغضب . والقنوط : اليأس .

(8) طغت عصفات القنوط : جاوزت الحدّ والمقدار . ومادت : تحركت واهتزت . والمكين : الثابت القوي .

(9) أهبت بقلبي : دعوته . والهلوع : الضجور الذي لا يصبر على المصائب . والجلد : الصابر .

(10) تجلّد : تصبّر . واستكان لليالي : خضع وذلّ .

(11) لا تأس : لا تحزن . وحادثات الدهور : مصائبها وحوادثها . والدياجير : جمع الديجور ، وهو الظلام .

«ولَولا غُيُومُ الشِّتاءِ الغِضابُ لَما نضَّدَ الرّوضُ تِلْكَ الوُرُودْ»[1]

«ولَولا ظَلامُ الحَياةِ العَبُوسُ لَما نَسَجَ الصُّبْحُ تِلْكَ البُرُودْ»[2]

[84]

الذّكرى

قال : (مجزوء الكامل)

كُنّا كَزَوْجَيْ طَائِرٍ ، في دوْحَةِ الحُبِّ الأَمِينْ[3]

نَتْلُو أَناشِيدَ المُنَى بَيْنَ الخَمائِلِ والغُصُونْ[4]

مُتَغَرِّدَيْن مَعَ البَلا بِلِ في السُّهُول وفي الحزونْ[5]

مَلأ الهَوَى كَأْسَ الحَيا ةِ لَنا ، وشَعْشَعَها الفُتُونْ[6]

حَتَّى إذا كِدْنا نُرَشْـ ـشِفُ خَمْرَها ، غَضِبَ المَنُونْ[7]

فَتَخَطَّفَ الكَأْسَ الخَلُوْ بَ ، وحَطَّمَ الجامَ الثَّمِينْ[8]

وأراقَ خَمْرَ الحُبِّ في وادِي الكَآبَةِ والأَنِينْ[9]

وأَهابَ بالحُبِّ الوَدِيْـ ـعِ ، فَوَدَّعَ العُشَّ الأَمِينْ

وشَدا بِلَحْنِ المَوْتِ في الأُفُقِ الحَزِينِ المُسْتَكِينْ

ثُمَّ اخْتَفَى خَلْفَ الغُيُو مِ ، كَأَنَّهُ الطَّيفُ الحَزِينْ ...

* * *

---

(1) نضد الورد : ضم بعضه إلى بعضٍ متسقاً .

(2) البرود : جمع البرد ، وهو الثوب المخطط . وأراد أشعة الفجر التي تنسجها على الحقول .

(3) الدوحة : الشجرة العظيمة الممتدة الفروع .

(4) الخمائل : جمع الخميلة ، وهي الشجر الكثيف الملتف .

(5) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض وخشن وارتفع .

(6) شعشع الشراب : مزجه بالماء . والفتون : الجمال .

(7) نرشف الخمرة : نشربها . والمنون : الموت .

(8) كأس خلوب : ساحر . والجام : إناء الشراب .

(9) أراق سكب وأسال .

يـا أيُّـهـا الـقَـلْـبُ الـشَّـجِـيُّ ! إلامَ تُـخْـرِسُـكَ الـشُّـجُـونْ
رُحْـمـاكَ قَـدْ عَـذَّبْـتَـنِـي بِـالـصَّـمْـتِ والـدَّمْـعِ الـهَـتُـونْ[1]
مَـاتَ الـحَـبِـيـبُ ، وكُـلُّ مـا قَـدْ كُـنْـتَ تَـرجُـو أنْ يَـكُـونْ
فَـاصْـبِـرْ عـلى سُـخْـطِ الـزَّمـا نِ ، ومـا تُـصَـرِّفُـهُ الـشُّـؤونْ[2]
فَـلَـسَـوْفَ يُـنْـقِـذُكَ الـمَـنُـو نُ ، ويَفْرحُ الرّوحُ السَّجِينْ ...

* * *

وَرْدُ الـحَـيـاةِ مُـرَنَّـقٌ ، والـمَـوْتُ مَـوْرِدُهُ مَـعِـيـنْ[3]
ولَـرُبَّـمـا شَـاقَ الـرَّدَى الـ ـدَّاجِـي ، وأَعْـمـاقُ الـمَـنُـونْ[4]
قَـلْـبـاً ، تُـرَوِّعُـهُ الـحَـيـا ةُ ، ولا تُـهـادِنُـهُ الـسُّـنُـونْ[5]
ومَـشـاعِـراً حَـسْـرَى ، يَـسِـيـ ـرُ بِـهـا الـقُـنُـوطُ إلى الـجُـنُـونْ[6]

[85]

الصَّباح الجديد

قال : (مجزوء الخفيف)

أُسْـكُـنِـي يـا جـراحْ واسْـكُـتِـي يـا شُـجُـونْ
مَـاتَ عَـهْـدُ الـنُّـواحْ وزَمـانُ الـجُـنُـونْ[7]
وأَطَـلَّ الـصَّـبـاحْ مِـنْ وَراءِ الـقُـرُونْ

* * *

(1) دمع هتون : غزير ، كثير .
(2) سخط الزمان : غضبه . والشؤون : جمع شأن ، وهو الحال والأمر .
(3) مرنّق : مكدّرٌ . والمعين : الماء الجاري .
(4) شاق الردى نفساً : جعلها تنزع إليه وتتعلق به . والمنون : حوادث الدهر وأوجاعه .
(5) تهادنه : تصالحه .
(6) الحسرى : المتعبة . والقنوط : اليأس .
(7) النواح : البكاء مع صوت .

فـــي فِـــجـــاجِ الـــرَّدَى قَـــدْ دفـــنـــتُ الألَـــمْ[1]
ونـــثـــرتُ الـــدُّمُـــوعْ لِـــرِيـــاحِ الـــعَـــدَمْ
واتَّـــخـــذتُ الـــحَـــيـــاةْ مِـــعـــزفـــاً لـــلـــنَّـــغَـــمْ[2]
أتَـــغَـــنَّـــى عَـــلَـــيْـــهْ فـــي رِحـــابِ الـــزَّمـــانْ

* * *

وأذبـــــتُ الأَسَـــــى فـــي جـــمـــالِ الـــوُجُـــودْ
ودَحَـــــوْتُ الـــفُـــؤادْ واحَـــةً لـــلـــنَّـــشِـــيـــدْ[3]
والـــضِّـــيـــا والـــظِّـــلالْ والـــشَّـــذَى والـــوُرُودْ[4]
والـــهَـــوَى والـــشَّـــبـــابْ والـــمُـــنَـــى والـــحَـــنـــانْ

* * *

اسْـــكُـــنِـــي يـــا جِـــراحْ واسْـــكُـــتِـــي يـــا شُـــجُـــونْ
مَـــاتَ عَـــهْـــدُ الـــنُّـــواحْ وزَمـــانُ الـــجُـــنُـــونْ
وأَطَـــلَّ الـــصَّـــبـــاحْ مِـــنْ وَراءِ الـــقُـــرُونْ

* * *

فـــي فُـــؤادِي الـــرَّحِـــيـــبْ مَـــعْـــبَـــدٌ لـــلـــجَـــمـــالْ
شَـــيَّـــدتْـــه الـــحَـــيـــاةْ بِـــالـــرُّؤَى ، والـــخَـــيـــالْ
فَـــتَـــلَـــوْتُ الـــصَّـــلاة فـــي خُـــشُـــوعِ الـــظِّـــلالْ
وحَـــرَقْـــتُ الـــبَـــخُـــورْ وأَضَـــأْتُ الـــشُّـــمُـــوعْ

* * *

إنَّ سِـــحْـــرَ الـــحَـــيـــاةْ خـــالِـــدٌ لا يَـــزُولْ
فَـــعَـــلامَ الـــشَّـــكَـــاةْ مِـــنْ ظَـــلامٍ يَـــحُـــولْ[5]

---

(1) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق . والردى : الموت .

(2) المعزف : آلة الموسيقا التي يضرب بها كالعود .

(3) دحوت : بسطت .

(4) الشذا : قوة الرائحة الطيبة .

(5) الشكاة : الشكوى . ويحول : يتحوّل ويزول .

ثُـــمَّ يَـــأْتِـــي الـصَّـبـاحْ وتَـــمُـــرُّ الـفُـصُـولْ ؟
سَـــوْفَ يَـــأْتِـــي رَبِـيـعْ إنْ تَـقَـضَّـى رَبِـيـعْ[1]

* * *

أُسْـكُـنِـي يـا جِـراحْ واسْـكُـتِـي يـا شُـجُـونْ
مَـاتَ عَـهْـدُ الـنُّـواحْ وزَمَـانُ الـجُـنُـونْ
وأَطَـلَّ الـصَّـبـاحْ مِـن وَراءِ الـقُـرُونْ

* * *

مِـن وَراءِ الـظَّـلامْ وهَـدِيـرِ الـمِـيـاهْ
قَـدْ دَعـانِـي الـصَّـبـاحْ ورَبِـيـعُ الـحَـيـاهْ
يـا لَـهُ مِـنْ دُعـاءْ هَـزَّ قَـلْـبِـي صَـداهْ
لَـمْ يَـعُـدْ لِـي بَـقـاءْ فَـوْقَ هَـذِي الـبِـقـاعْ

* * *

الـوَداعَ ! الـوَداعْ يـا جِـبـالَ الـهُـمُـومْ
يـا ضَـبـابَ الأَسَـى ! يـا فِـجـاجَ الـجَـحِـيـمْ[2]
قَـدْ جَـرَى زَوْرَقِـي فـي الـخِـضَـمِّ الـعَـظِـيـمْ ...[3]
ونَـشَـرتُ الـقِـلاعْ .... فَـالـوَداعَ ! الـوَداعْ[4]

[86]

أبناء الشَّيطان

قال : (الخفيف)

أيُّ نـاسٍ هَـذا الـوَرَى ؟ مـا أرَى إلاَّ بَـرايـا ، شَـقِـيَّـةً ، مَـجـنُـونَـهْ[5]

---

(1) تقضى : انقضى .

(2) الفجاج : جمع الفج ، وهو الطريق .

(3) الخضم العظيم : البحر الواسع .

(4) القلاع : شراع السفينة .

(5) الورى : الخلق . والبرايا : جمع البرية ، وهي الخلق .

جَبَّلتْها الحَياةُ في ثَوْرَةِ اليَأْ ... سِ مِن الشَّرِّ ، كَيْ تُجِنَّ جُنُونَهْ
فَأَقامَتْ لَهُ المَعابِدَ ، في الكَوْ ... نِ ، وصَلَّتْ لَهُ وشادَتْ حُصُونَهْ[1]

* * *

كَمْ فَتاةٍ ، جَمِيلَةٍ ، مَدَحُوها ... وتَغَنَّوْا بِها لِكَيْ يُسْقِطُوها
فَإذا صَانَتِ الفَضِيلَةَ عابُو ... ها ، وإن باعَتِ الخَنا عبدُوها[2]
أَصْبَحَ الحسنُ لَعنَةً ، تَهبطُ الأَرْ ... ضَ ، لِيَغْوَى أَبْناؤُها وذووها[3]
وشَقِيٌّ ، طَافَ المَدِينَةَ ، يَسْتَجْـ ... ـدِي لَيَحْيا ، فَخَيَّبُوه احْتِقارا
أيقظُوا فِيْهِ نَزْعَةَ الشَّرِّ ، فانْقَضَّ ... على النَّاسِ فَاتِكاً جَبَّارا
يبذُرَ الرُّعبَ في القُلُوبِ ، ويُذكِي ... ـ حَيْثُما حَلَّ ـ في الجَوانِحِ نارا

* * *

ونَبِيٌّ قَدْ جاءَ لِلنَّاسِ بِالحَقِّ ، ... فَكالُوا لَهُ الشَّتائِمَ كَيْلا
وتَنادَوْا بِهِ : «إلى النَّارِ ! فالنَّا ... رُ بِرُوحِ الخَبِيثِ أَحْرَى وأَوْلَى»
ثُمَّ أَلْقَوْه في اللَّهِيبِ ، وظَلُّوا ... يَمْلأُونَ الوُجُودَ رُعْباً وهَوْلا[4]

* * *

وشُعُوبٍ ضَعِيفَةٍ ، تَتَلَظَّى ... في جَحِيمِ الآلامِ عاماً فَعاما[5]
والقَوِيُّ الظَّلُومُ يَعْصِرُ مِنْ ... آلامِها السُّودِ لَذَّةً ومُداما[6]
يَتَحَسَّاه ضَاحِكاً لا يَراها ... خُلِقَتْ في الوُجُودِ إلاَّ طَعاما ![7]

* * *

---

(1) شادت : بنت .
(2) صانت : حفظت . والخنا : الفحش .
(3) غوي الرجل : ضلّ وانقاد للهوى .
(4) الهول : الفزع .
(5) تتلظى : تحترق .
(6) المدام : الخمرة .
(7) تحسّى الخمرة : احتساها وشربها .

وفَتاةٍ حَسِبْتُها مَعْبَدَ الحُبِّ ، فَألْفَيتَ قَلْبَها ماخُورا ![1]
ونَبيلٍ وجدتَهُ في ضِياءِ الفَجْـ ـرِ قَلْباً مُدَبَّساً شِرِّيرا ![2]
وزَعِيمٍ أجلّه النّاسُ حَتّى ظَنَّ في نَفْسِهِ إلَهاً صَغِيرا ![3]

* * *

وخَبِيثٍ ، يَعِيشُ كالفأسِ ، هدّا ماً ، لِيُعْلِي بَيْنَ الخَرابِ بِناءَهْ
وقَمِيءٍ ، يُطاوِلُ الجَبلَ العا لِي ، فَلِلّه ما أشدَّ غَباءَهْ ![4]
ودَنِيءٍ ، تَارِيخُهُ في سِجِلِّ الشَّرِّ : إفكٌ ، وَقِحَّةٌ ، ودَناءَهْ[5]

* * *

كَانَ ظَنّي أنَّ النُّفُوسَ كِبارٌ فَوَجدْتُ النُّفُوسَ شَيْئاً حَقِيرا
لَوَّثَتْهُ الحَياةُ ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ تَبْذُرُ العالَمَ العَرِيضَ شُرُورا
فَاحْصُدوا الشَّوْكَ .. يا بَنِيها وضِجُّوا وامْلأوا الأرْضَ والسَّماءَ حُبُورا[6]

[87]

تحت الغصون

قال : (الخفيف)

هَهُنا في خَمائِلِ الغابِ ، تَحْتَ الزَّا نِ والسَّنديانِ ، والزَّيتُونِ[7]
أَنْتِ أَشْهَى من الحَياةِ وأبْهَى من جَمالِ الطَّبِيعَةِ المَيمُونِ[8]

---

(1) الماخور : بيت الريبة والخمر ومجمع أهل الفساد .
(2) المدبس : الأسود .
(3) أجلّه الناس : عظموه ورفعوه .
(4) القميء : الحقير الذليل .
(5) الإفك : الكذب . والقحة : الوقاحة وقلّة الحياء . والدناءة : النقيصة .
(6) الحبور : السرور .
(7) الزان : ضرب من الشجر .
(8) الميمون : المبارك .

ما أرَقّ الشَّبابَ ، في جِسْمِكِ الغضِّ ... وفي جيدكِ البَديعِ ، الثَّمِينِ ![1]

وأدقّ الجَمالَ في طَرفِكِ السَّا ... هِي، وفي ثغرِكِ الجَميلِ، الحَزِينِ ![2]

وألذَّ الحَياةَ حِيْنَ تُغَنِّيـ ... ـن فَأُصْغِي لِصوتِكِ المَحزُونِ

وأرَى رُوحَكِ الجَمِيلَةَ عِطراً ... ضايعاً في حَلاوَةِ التَّلحِينِ ![3]

قَدْ تَغَنَّيْتِ مُنذُ حِينٍ بِصَوتٍ ... نَاعِمٍ ، حَالِمٍ ، شَجِيٍّ حَنُونِ

نَغَماً كالحَياةِ عَذباً عَمِيقاً ... في حَنانٍ ، ورِقَّةٍ ، وحَنِينِ[4]

فإذا الكَونُ قِطْعَةٌ مِنْ نَشِيدٍ ... عُلْوِيٍّ ، مُنَغَّمٍ ، مَوْزُونِ

فَلِمَنْ كُنتِ تُنْشِدِين ؟ فقالَتْ : ... «للضِّياءِ البَنَفسجِيِّ الحَزِينِ»

«للضَّبابِ المورّدِ ، المُتَلاشِي ... كَخَيالاتِ حالِمٍ ، مَفْتُونِ»

«للمَساءِ المُطِلِّ للشَّفَقِ السَّا ... جِي لِسِحْرِ الأسَى، وسِحْرِ السُّكونِ»[5]

«للعَبيرِ الذي يُرَفْرِفُ في الأُفْـ ... ـقِ ويَفْنَى، مثلَ المُنَى، في سُكُونِ»[6]

«للأَغانِي التي يُرَدِّدُها الرَّا ... عِي بِمِزْمارِهِ الصَّغِيرِ ، الأَمِينِ»

«للرَّبيعِ الذي يُؤَجِّجُ في الدُّ ... نْيا حَياةَ الهَوَى ، ورُوحَ الحَنِينِ»[7]

«ويوشِّي الوجُودَ بالسِّحْرِ ، والأَحْـ ... ـلامِ والزَّهْرِ، والشَّذَى، واللُّحونِ»[8]

«للحَياةِ التي تُغَنِّي حوالَيَّ ! ... على السَّهْلِ ، والرُّبَى والحُزُونِ»[9]

«للينابِيعِ ، للعَصافِيرِ ، للظِّلِّ ... لِهَذا الثَّرَى ، لِتِلْكَ الغُصُونِ»

---

(1) الغضّ : الطري النضر . والجيد : العنق .

(2) الساهي : الفاتر الغافل . والثغر : الفمّ .

(3) الضايع : المنتشر الرائحة .

(4) الحنان : الرحمة . والحنين : الشوق وتوقان النفس .

(5) الساجي : الساكن .

(6) العبير : أخلاط من الطيب .

(7) يؤجج : يلهب ويشعل .

(8) يوشي : يزين . والشذا : قوة الرائحة الطيبة . واللحون : الألحان .

(9) الربى : التلال . والحزون : جمع الحزن ، وهو ما غلظ وارتفع من الأرض .

«لِلنَّسِيمِ الذي يُضَمِّخُ أَحْلا ... مِي بِعِطْرِ الأَقاحِ واللَّيمُونِ»[1]

«للجَمالِ الذي يفيضُ على الدُّنْـ ... ـيا لأَشْواقِ قَلْبِيَ المَشْجُونِ»

«لِلزَّمانِ الذي يوضّح أَيَّا ... مِي بِضَوءِ المُنَى وظِلِّ الشُّجُونِ»

«للشَّبابِ السَّكْرانِ ، للأَمَلِ المَعْـ ... ـبُودِ ، لليَأسِ ، للأسَى ، للمَنُونِ»

* * *

فَتَنهَّدْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : وقَلْبِي ... مَنْ يغنِّيهِ ؟ مَنْ يُبيدُ شُجُونِي ؟»[2]

قالَتِ : «الحُبُّ» ثُمَّ غَنَّتْ لِقَلْبِي ... قُبَلاً عَبقَرِيَّةَ التَّلْحِينِ[3]

قُبَلاً ، علّمتْ فُؤادِي الأَغانِي ، ... وأَنارَتْ لَهُ ظَلامَ السِّنِينِ

قُبَلاً ، تَرقُصُ السَّعادَةُ والحُبُّ ... على لَحْنِها العَمِيقِ الرَّصِينِ[4]

* * *

... وأَفَقْنا ، فَقلتُ كالحالِمِ المَسْـ ... ـحُورِ : قُولِي ، تَكَلَّمِي ، خَبِّرِينِي

«أيُّ دُنْيا مَسْحُورَةٍ ، أيُّ رُؤيا ... طالَعَتْنِي في ضَوءِ هَذِي العُيونِ ؟»

«زُمَرٌ مِنْ مَلائِكِ المَلأ الأَعْـ ... ـلَى «يُغَنُّونَ في حُنُوٍّ حَنُونِ»[5]

«وصَبايا رَواقِصٌ ، يَتَراشَقْـ ... ـنَ بزهرِ التُّفَّاحِ والياسَمِينِ»

«في فَضاءٍ ، مُوَرَّدٍ حالِمٍ سا ... ـهٍ أَطافَتْ بِهِ عَذارَى الفُنونِ»[6]

«وجَحِيمٍ تَؤُجُّ تَحْتَ فَرادِيْـ ... ـسَ كَأَحْلامِ شاعِرٍ مَجْنُونِ»[7]

«أيُّ خَمرٍ رشفتُ ، بَلْ أيُّ نارٍ ... في شِفاهٍ ، بَدِيعَةِ التَّكْوِينِ»[8]

«وَرَّدَتْها الحَياةُ في لَهَبِ السِّحْـ ... ـرِ ، ونُور الهَوَى ، وظلِّ الشُّجُونِ»

---

(1) يضمخ أحلامي : يدهنها بالطيب .

(2) يبيد شجوني : يفنيها ويزيلها . وشجوني : أحزاني .

(3) العبقرية : القادرة على الإبداع .

(4) الرصين : الرزين .

(5) الملأ الأعلى : عالم الأرواح المجردة .

(6) أطافت به : حامت حوله .

(7) تؤجّ : تلتهب ويسمع صوتها . والفراديس : جمع الفردوس .

(8) رشفت : شربت .

«أيُّ إثـمٍ مُـقَـدَّسٍ ، قَـدْ لَـبِـسْـنـا ... بُـرْدَهُ في مَـسـائِـنـا الـمَـيـمُـون ؟»[1]

فَـبَـدا طَـيفُ بَـسْـمَـةٍ سـاحِـرٌ ، عَذْ ... بٌ ، على ثَـغـرِهـا ، قَـويُّ الفتُون[2]

وأَجـابَـتْ ـ وكُـلُّـهـا فِـتْـنَـةٌ تُـغْـ ... ـوِي، وتُغْرِي بالحُبِّ، بَلْ بالجُنون ـ:[3]

«أبداً ! أَنْـتَ حَالِمٌ ، فاسْأل الـلَّـيْـ ... ـلَ ، فعندَ الظَّلامِ عِلْمُ اليَقِين ...»

وسَـكَـتْـنـا ، وغَـرَّدَ الـحُـبُّ في الغا ... بِ ، فَأَصْغَى حَتَّى حَفِيفُ الغُصُون

وبَـنَـى الـلَّـيْـلُ والـرَّبـيـعُ حـوالـيـ ... ـنـا من السِّحْرِ والرُّؤى والسُّكُون

مَعْبَداً للجَمالِ ، والـحُـبِّ شِـعـريـ ... ـياً مَشِيداً على فِجاجِ السِّنِين[4]

تَـحْـتَـهُ يـزْخـرُ الـزَّمـانُ ، ويَـجـري ... صَـامِـتـاً ، في مَـسِـيـلِـهِ الـمَـحْـزُون

وتَـمُـرُّ الأَيَّـامُ ، والـحُـزْنُ ، والـمَـوْ ... تُ ، بَـعِـيـداً عن ظـلِّـهِ الـمَـأْمُـون

مَـعْـبَـداً ، ساحِراً ، مـبـاخـرُهُ الـزَّهْـ ... ـرُ، على الصَّخْرِ، والثَّرَى، والغُصُون

كُـلُّ زهـرٍ يَـضُـوعُ مِـنْـهُ أَرِيـجٌ ... من بـخُـورِ الرَّبِيعِ ، جَمُّ الـفُـتُـون[5]

ونُـجـومُ الـسَّـمـاءِ فِـيْـهِ شُـمُـوعٌ ... أَوْقَـدَتْـهـا لـلـحُـبِّ رُوحُ الـقُـرُون

ومَـضَـتْ نَـسْـمَـةٌ تُـوَسْـوِسُ لـلـغـا ... بِ، وتَشْدُو في عُمقِ ذاك السُّكون[6]

وطَغَى الـسِّـحـرُ ، والغَرامُ بِـقَـلْـبِـي ... فَـتَـوسَّـلْـتُ ضَـارِعـاً بِـجـفُـونِـي

طَـهِّـرِي يا شَـقِـيـقَـةَ الرُّوحِ ثَـغْـرِي ... بِـلَـهِـيْـبِ الـحَـيـاةِ ، بَلْ قَـبِّـلِـيـنِـي

إنَّ نـارَ الـحَـيـاةِ والـكَـوْثـرَ الـمَـنْـ ... ـشُودَ، في ثَغرِكِ الشَّهِيِّ، الحَزِين»[7]

فَهو كَأْسٌ سِـحْـرِيَّـةٌ ، لِـرَحِـيـقِ الـ ... ـخُـلْـدِ قَد صاغَها إلَهُ الـفُـنُـون»[8]

---

(1) الإثم : الذنب . والبرد : جمع البردة ، وهي الثوب المخطط . والميمون : ذو اليمن والبركة .

(2) ثغرها : فمها . وثغر فتون : شديد الجمال والسحر يفتن .

(3) تغوي : تضلّ وتغري .

(4) فجاج السنين : طرقها ، جمع فج .

(5) يضوع : ينتشر ويفوح . والأريج : الرائحة الطيبة .

(6) توسوس : تتحدث بكلام خفيّ . وتشدو : تغني .

(7) الكوثر : الخير العظيم .

(8) الرحيق : الخمر . وصاغها : صنعها وكوّنها .

قَبِّلِيني ، وأَسْكِري ثَغريَ الصَّا دِي وقَلْبِي ، وفِتنَتِي ، وجُنُوني»[1]

عَلِّنِي أَسْتَطِيعُ أنْ أَتَغَنَّى لِجَمالِ الدُّجَى بِوَحْيِ العُيُون»

آهِ ما أَجْمَلَ الظَّلامَ ! وأَقْوَى وَحْيَهُ في فُؤادِيَ المَفْتُون !»

انْظُرِي اللَّيْلَ فَهْوَ حُلَّة الأَحْـ ـلامِ يَمْشِي على الذُّرَى والحُزُون»[2]

واسْمَعِي الغابَ ، فهو قِيثارَةُ الكَوْ نِ تُغَنِّي لِحُبِّنا المَيْمُون»[3]

إنَّ سِحْرَ الضَّبابِ ، واللَّيْلِ ، والغا بِ بَعِيدُ المَدَى ، قَوِيُّ الفُتُون

وجَمالَ الظَّلامِ يَعْبَقُ بِالأَحْـ ـلامِ والحُبِّ .. فَابْسِمِي، والْثِمِيني[4]

....

آهِ ! ما أعْذَبَ الغَرامَ ! وأَحْلَى رَنَّةَ اللَّثْمِ في خُشُوعِ السُّكُون !

.. وسَكِرْنا هُناك .. في عالَمِ الأَحْـ ـلامِ تَحْتَ السَّماءِ، تَحْتَ الغُصُون ..

وتَوارَى الوُجُودُ عَنَّا بِما فِيْـ ـهِ ، وغِبْنا في عَالَمٍ مَفْتُون[5]

ونَسِينا الحَياةَ ، والمَوْتَ ، والكَوْ نَ وما فِيْهِ من مُنًى ومَنُون[6]

[88]

أغنية الشَّاعر

قال : (البسيط)

يا رَبَّة الشِّعرِ والأَحْلامِ ، غَنِّيني فَقَدْ سَئِمتُ وجُومَ الكَونِ، مِنْ حِيْنِ[7]

إنَّ اللَّيالِي اللَّواتِي ضَمَّخَتْ كَبِدِي بِالسِّحْرِ أضْحَتْ مَعَ الأَيَّامِ تَرْمِينِي[8]

---

(1) الصادي : الشديد العطش .

(2) الذرى : جمع ذروة ، وهي القمة . والحزون : جمع الحزن ، وهو ما غلظ وارتفع من الأرض .

(3) القيثارة : من آلات الموسيقى . والميمون : ذو اليمن والبركة .

(4) يعبق : ينتشر . والثميني : قبليني .

(5) توارى : استتر واختفى . وعالم مفتون : شديد الفتنة .

(6) المنى : الأماني . والمنون : الموت .

(7) وجوم الكون : سكوته .

(8) ضمخت بالسحر : دهنته بالطيب . وترميني ، أي : ترميني بسهامها .

نَاخَتْ بنفسِي مَآسِيها، وما وَجَدَتْ ... قَلْباً عَطُوفاً يُسَلِّيها ، فَعَزِّينِي[1]

وهَدّ مِنْ خَلَدِي نَوْحٌ ، تُرَجِّعُه ... بَلْوَى الحَياةِ ، وأَحْزانُ المَساكِينِ[2]

على الحَياةِ أنا أَبْكِي لِشِقْوَتِها ... فَمَنْ إذا مُتُّ يَبْكِيها ويَبْكِينِي ؟[3]

يا رَبَّةَ الشِّعرِ ، غَنِّينِي، فَقَد ضَجِرَتْ ... نَفْسِي مِنَ النَّاسِ أَبْناءِ الشَّياطِينِ

تَبَرَّمَتْ بَيْنِيَ الدُّنيا ، وأَعْوزَها ... في مِعزفِ الدَّهرِ غَرِّيدُ الأَرانِينِ[4]

وراحَةُ اللَّيْلِ مَلأى مِنْ مَدامِعِهِ ... وغادَةُ الحُبِّ ثَكْلَى ، لا تغنِّينِي[5]

فَهَلْ إذا لُذْتُ بالظَّلْماءِ ، مُنْتَحِباً ... أسلُو ؟ وما نَفْعُ مَحْزُونٍ لَمحزُونِ؟[6]

يا رَبَّةَ الشِّعْرِ إنّي بائِسٌ ، تَعِسٌ ... عَدِمْتُ ما أرتجِي في العالَمِ الدُّونِ[7]

وفي يَدَيْكِ مَزامِيرٌ يُخالِجُها ... وَحْيُ السَّماءِ ، فَهاتيها ، وغَنِّينِي

ورَتِّلِي حَولَ بَيْتِ الحُزْنِ أُغْنِيَةً ... تَحلُو عن النَّفسِ أَحوانَ الأَحايِينِ[8]

فإنَّ قَلْبِيَ قَبرٌ ، مُظْلِمٌ ، قُبِرتْ ... فِيْهِ الأَمانِي ، فَما عادَتْ تُناغِيْنِي

لَولاكِ في هَذِهِ الدُّنيا لَما لَمَسَتْ ... أَوْتارَ رُوحِيَ أَصْواتُ الأَفانِينِ[9]

ولا تَغَنَّيْتُ مَأْخُوذاً ... ولا عذُبَتْ ... لِيَ الحَياةُ لَدَى غَضِّ الرَّياحِينِ

ولا ازْدَهَى النَّفْسَ في أَشْجانها شَفَقٌ ... يُلوِّنُ الغَيْمَ لَهواً أيَّ تَلوِينِ[10]

ولا اسْتَخَفَّ حَياتِي ، وَهْيَ هائِمَةٌ ... فَجرُ الهَوَى في جُفُونِ الخُرَّدِ العِينِ[11]

---

(1) ناخت المآسي بنفسي : أبركتها وأقعدتها . والمآسي : الفواجع ، الواحدة مأساة .

(2) هدّ : أوهن . والنوح : البكاء . وخلدي : بالي .

(3) شقوة الحياة : شقاؤها .

(4) برم بالدنيا : سئمها وضجر منها . والإرنان : الصيحة الشديدة والصوت الحزين .

(5) الغادة : الفتاة الناعمة اللينة . والثكلى : التي فقدت ولدها .

(6) لاذ بالمكان : لجأ إليه واعتصم به . والمنتحب : الباكي . وأسلو : أنسى .

(7) الدون : الخسيس الحقير .

(8) الأحايين : جمع الحين ، وهو الموت . وأراد أوقات الموت .

(9) الأفانين : جمع أفنون ، وهو الغصن الملتف .

(10) ازدهى : أخذته خفّة من الزهو .

(11) الخريدة من النساء : المرأة الحيية الخفرة . والعين : جمع عيناء ، وهي الشديدة بياض الحدقة والشديد سوادها .

[89]

الاعتراف

قال : (البسيط)

ما كُنتُ أَحْسَبُ بعدَ مَوتِكَ يا أبي ـ ومَشاعِري عَمياءُ بالأَحْزانِ ـ
أنّي سَأظمَأُ للحَياةِ ، وأَحْتَسِي مِنْ نَهْرِها المُتَوهِّجِ النّشْوانِ[1]
وأعودُ للدُّنيا بِقَلْبٍ خافِقٍ للحُبِّ ، والأَفْراحِ ، والأَلْحانِ
ولِكُلِّ ما في الكَونِ مِنْ صُوَرِ المُنَى وغَرائِبِ الأَهْواءِ والأَشْجانِ
حَتّى تَحَرَّكَتِ السُّنُونَ ، وأقبلَتْ فِتَنُ الحَياةِ بِسِحْرِها الفَتّانِ
فإذا أنا ما زِلْتُ طِفلاً ، مُولَعاً بِتَعَقُّبِ الأَضْواءِ والأَلْوانِ[2]
وإذا التَّشاؤُمُ بالحَياةِ ورفضُها ضَرْبٌ من البُهْتانِ والهَذَيانِ[3]
إنَّ ابنَ آدمَ في قَرارَةِ نَفْسِهِ عبدُ الحَياةِ الصَّادِقُ الإيْمانِ

[90]

الحياة

قال : (الخفيف)

إنَّ هَذِي الحَياةَ قِيثارَةُ اللّهِ ، وأَهْلُ الحَياةِ مِثْلُ اللُّحُونِ[4]
نَغَمٌ يَسْتَبِي المَشاعِرَ كالسِّحْـ ـرِ ، وصَوْتٌ يُخِلُّ بالتَّلْحِينِ[5]
واللَّيالِي مَغاوِرٌ ، تُلْحِدُ اللَّحْـ ـنَ وتَقْضِي على الصَّدَى المِسْكِينِ[6]

---

(1) أحتسي : أشرب . ونهرها المتوهج : المتقد المليء بالمصائب والأحزان .
(2) تعقّب : تتبع .
(3) البهتان : الكذب والافتراء . والهذيان : الكلام غير المعقول
(4) القيثارة : آلة للطرب . واللحون : الألحان .
(5) يستبي : يأسر ويفتن . ويخل : يقصر .
(6) تلحد اللحن : تقبره . والصدى : رجع الصوت وارتداده .

قافية الهاء

[91]

أنا أبكيك للحبّ

قال : (مجزوء الرمل)

لَسْتُ يا أَمْسِيَ أَبْكِيكَ لِمَجْدٍ أو لِجاهْ[1]
سَلَبَتْهُ مِنِّيَ الدُّنيا ، وبزَّتْنِي رداهْ[2]
فَأنا أَحْتَقِرُ المَجْدَ وأَوْهامَ الحَياهْ

* * *

أو لِعُمْرٍ ، بَلَغَتْ مِنْهُ اللَّيالِي مُنْتَهاهْ
وتَلاشَتْ في خِضَمِّ الزَّمَنِ الطَّاغِي قُواهْ[3]
فَأنا ما زِلتُ في فَجْرِ شَبابِي أو ضُحاهْ

* * *

لا ، ولا أَبْكِيكَ يا أَمْسِي ، إذا ما قُلتُ : «آهْ»
لِنَعِيْمٍ ، لَم يَنَلْ قَلْبِيَ مِنْهُ مُشْتَهاهْ
فَبَنُو الأَيَّامِ في الدُّنيا كَما شَاءَ الإلَهْ

* * *

إنَّما أَبْكِيكَ لِلحُبِّ ، الذي كَانَ بَهاهْ
يَمْلأُ الدُّنيا فَأنَّى سِرْتُ في الدُّنيا أراهْ
فإذا ما لاحَ فَجْرٌ ، كَانَ في الفَجْرِ سَناهْ[4]

---

(1) المجد : النبل والشرف . والجاه : القدر والمنزلة .

(2) بزتني رداه : سلبتني رداءه .

(3) تلاشت : اضمحلت وفنيت . والخضم : البحر الواسع . والطاغي : الظالم .

(4) سناه : نوره وضوؤه .

وإذا غَـــرَّدَ طَـــيْـــرٌ ، كَـــانَ فـــي الـــشَّـــدْوِ صَـــداهْ[1]
وإذا مـــا ضَـــاعَ عِـــطْـــرٌ ، كَـــانَ فـــي الـــعِـــطْـــرِ شَـــذاهْ[2]
وإذا مـــا رفَّ زهـــرٌ ، كَـــانَ فـــي الـــزَّهْـــرِ صِـــباهْ
فَـــهْـــو فـــي الـــكَـــونِ جَـــمـــالٌ ، يَـــمْـــلأُ الأُفْـــقَ ضِـــيـــاهْ
وتُـــوَشِّـــي هَـــذهِ الأَكْـــوانَ بـــالـــسِّـــحْـــرِ رُؤاهْ[3]
وَهْـــو فـــي قَـــلْـــبِـــي ـ الـــذي عـــانَـــقَـــهُ الـــفَـــجْـــرُ ـ إلَـــهْ !
عَـــبْـــقَـــرِيُّ الـــسِّـــحْـــرِ مِـــمْـــراحٌ وَدِيـــعٌ فـــي سَـــمـــاهْ[4]
يَـــنْـــسِـــجُ الأَحْـــلامَ فـــي قَـــلْـــبِـــي بِـــأَضْـــواءِ الـــحَـــيـــاهْ
ويُـــغَـــنِّـــيـــنِـــي ، فَـــأَنْـــسَـــى فـــي مَـــسَـــرَّاتِ غِـــنـــاهْ
كُـــلَّ مـــا فـــي الـــكَـــونِ مِـــنْ حُـــزنٍ وأَفْـــراحٍ ، عَـــداهْ

[92]

يا ابن أُمِّي

قال : (المتقارب)

خُلقتَ طَلِيقاً كَطَيفِ النَّسِيمِ ، وحُرًّا كَنُورِ الضُّحَى في سَماهْ
تُغَرِّدُ كالطَّيرِ أَيْنَ انْدَفَعتَ ، وتَشْدُو بِما شاءَ وَحْيُ الإلَهْ
وتَمْرَحُ بَيْنَ وُرُودِ الصَّباحِ ، وتَنْعمُ بِالنُّورِ ، أنَّى تَراهْ[5]
وتَمْشِي ـ كَما شِئْتَ ـ بَيْنَ المُروجِ ، وتَقْطُفُ وَرْدَ الرُّبَى في رُباهْ[6]
كَذا صَاغَكَ اللَّهُ ، يا ابنَ الوُجُودِ ، وألْقَتْكَ في الكَونِ هَذِي الحَياهْ

---

(1) غرّد:غنّى . والشدو : الغناء والطرب . والصدى : رجع الصوت وارتداده .

(2) ضاع العطر : انتشرت رائحته . والشذا : قوة الرائحة الطيبة .

(3) توشي : تزين وتنقش .

(4) الممراح : النشيط الفرح .

(5) تمرح : تتبختر وتختال . وأنّى : أين .

(6) الربى : التلال ، الواحدة ربوة .

فَما لَكَ تَرضَى بِذلِّ القُيودِ ، وتَحْنِي لِمَنْ كَبَّلُوكَ الجباهْ ؟[1]
وتُسْكِتُ في النَّفْسِ صَوتَ الحَياةِ الـ ـقَوِيَّ إذا ما تَغَنَّى صَداهْ ؟
وتُطْبِقُ أَجْفانَكَ النَّيراتِ عَنِ الفَجْرِ، والفَجْرُ عَذْبٌ ضِياهْ ؟[2]
وتَقْنَعُ بِالعَيشِ بَيْنَ الكُهوفِ ، فَأَيْنَ النَّشِيدُ ؟ وأَيْنَ الإياهْ ؟[3]
أَتَخْشَى نَشِيدَ السَّماءِ الجَمِيلَ ؟ أَتَرْهَبُ نورَ الفَضا في ضُحاهْ ؟
ألا انْهَضْ وسِرْ في سَبِيلِ الحَياةِ ، فَمَنْ نامَ لَمْ تَنتَظِرْهُ الحَياهْ ؟
ولا تَخْشَ مِمَّا وَراءَ التِّلاعِ فَما ثَمَّ إلا الضُّحَى في صِباهْ ...[4]
وإلاَّ رَبِيعُ الوُجُودِ الغَرِيرُ ، يُطَرِّزُ بِالوردِ ضافِي رِداهْ[5]
وإلاَّ أَرِيجُ الزُّهُورِ الصِّباحِ ، ورقصُ الأشِعَّةِ بَيْنَ المِياهْ[6]
وإلاَّ حَمامُ المَرُوجِ الأَنِيقُ ، يُغَرِّدُ مُنْطَلِقاً في غِناهْ
إلى النُّورِ ! فالنُّورُ عَذْبٌ جَمِيلٌ ، إلى النُّورِ فالنُّورُ ظِلُّ الإلَهْ

[93]

إلى طغاة العالم

قال : (المتقارب)

ألا أيُّها الظَّالِمُ المُسْتَبِدُّ حَبِيبُ الظَّلامِ ، عَدُوُّ الحَياهْ
سَخِرْتَ بِأَنَّاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وكَفُّكَ مَخْضُوبَةٌ من دِماهْ[7]
وسِرْتَ تُشَوِّهُ سِحْرَ الوُجُودِ وتَبْذُرُ شَوكَ الأَسَى في رُباهْ

---

(1) القيود : الأغلال . وكبّلوك : قيّدوك .

(2) الضياء : الضوء .

(3) الكهوف : جمع كهف . والإياه : شعاع الشمس وضوؤها .

(4) التلاع : جمع التلعة ، وهي ما ارتفع من الأرض وأشرف .

(5) عيش غرير : هادئ ناعم . ورداء ضافٍ : طويلٌ .

(6) أريج الزهور : انتشار ريح الطيب .

(7) أنّات : صرخات وتوجعات . ومخضوبة : مخضّبة بدمه .

رُوَيْدَكَ ! لا يَخْدَعَنْكَ الرَّبيعُ وصحْوُ الفَضاءِ ، وضَوءُ الصَّباحْ
فَفي الأُفُقِ الرَّحْبِ هَولُ الظَّلامِ وقَصفُ الرُّعُودِ ، وعَصْفُ الرِّياحْ[1]
حَذارِ ! فَتَحْتَ الرَّمادِ اللَّهيبُ ومَنْ يَبْذُرِ الشَّوْكَ يَجْنِ الجِراحْ
تَأمَّلْ ! هُنالِكَ ... أنّى حَصَدْتَ رُؤوسَ الوَرَى ، وزُهُورَ الأمَلْ[2]
ورَوَّيتَ بِالدَّمِ قَلْبَ التُّرابِ وأَشْرَبتَه الدَّمعَ ، حَتّى ثَمِلْ[3]
سَيجرُفُكَ السَّيْلُ ، سَيْلُ الدِّماءِ ويَأكُلُكَ العاصِفُ المُشْتَعِلْ[4]

[94]

إلى اللّه

تَعْرضُ لقلبِ الإنسان الذي لا تنتهي أطواره أزمات نفسية ثائرة ، يَعصفُ فيها الألمُ والقنوطُ بكُلِّ حقائقِ الحياةِ ، وتتزعزعُ معها كلّ قواعد الإيمان والحقّ والجمال، فيشعر المرء كأنّما انبتَّ ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرَّحم والقربى، فأصبح غريباً في هاته الدُّنيا الغريبة في نفسه ، وكأنّما الحياة فن من العبثِ المرعبِ الممل الذي لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء .

ولكن من رحمة الأقدار أنها حالٌ عارضة لا تدوم إلاّ كما تدوم عاصفة البحر ، تكدر صفاءه ، وتحيل جماله إلى شناعة ، وأنغامه إلى عويل ، وانسجامه إلى فوضى ، ثم تقرّ العاصفة وتسكن ، ويرجع البحر إلى زرقته الصافية ، وألحانه المتّزنة ، وجماله السّاحر الأبدي .

وتحتَ تأثيرِ هذه الحالةِ النفسيةِ الجامحة نظمتُ القصيدَ التالي ، ونفسي سكرى بأحزانها الدّامية وآلامها المتشحة باللّهيب : (الخفيف)

يا إلَهُ الوُجُودِ ! هَذِي جِراحٌ في فُؤادِي، تَشْكُو إلَيْكَ الدَّواهِي[5]

---

(1) الرحب : الواسع . وهول الظلام : فزعه . وعصف الرياح : شدّتها .
(2) الورى : الخلق .
(3) ثمل : سكر .
(4) يوم عاصف : تعصف فيه الرياح .
(5) الدواهي : المصائب ، الواحدة داهية . وأراد نزول الدواهي به .

هَـذِهِ زفـرَةٌ يُـصَـعِّـدهـا الـهَـمُّ ... إلى مَسْمَعِ الفَضاءِ السَّاهِي[1]

هَـذِهِ مُـهْـجَـةُ الشَّـقـاءِ تُـنـاجِـيـكَ ... فَـهَـلْ أَنْـتَ سـامِـعٌ يـا إلَـهِـي ؟

أَنْتَ أَنـزلْـتَـنِـي إلى ظُـلْـمَـةِ الأرْضِ ... وقَـدْ كُـنـتُ فـي صَبـاحٍ زاهِ[2]

كالشُّعاعِ الجَمِيلِ ، أسْبَحُ في الأُفْقِ ... وأُصْـغِـي إلـى خَـرِيـرِ الـمِـيـاهِ

وأُغَـنِّـي بَـيْـنَ الـيَـنـابِـيـعِ لـلـفَـجْـرِ ... وأَشْـدُو كـالـبُـلـبُـلِ الـتَّـيَّـاهِ

أَنْتَ أَوْصَـلْـتَـنِـي إلى سُـبُـلِ الـدُّنـيـا ... وهَـذِي كَـثِـيـرَةُ الاشْـتِـبـاهِ

ثُـمَّ خَـلَّـفْـتَـنِـي وَحِـيـداً ، فَـرِيـداً ... بَـيْـنَ داعٍ مـن الـرِّيـاحِ ونَـاهِ

أَنْـتَ أَوْقَـفْـتَـنِـي على لُـجَّةِ الـحُـزْ ... ـنِ وجَـرَّعْـتَـنِـي مَـرارَةَ «آهِ!»[3]

أَنْتَ أنْـشَـأْتَـنِـي غَـرِيـبـاً بِـنَـفْـسِـي ... بَيْنَ قَومِي ، في نَشْوَتِي وانْتِباهِي

أَنْـتَ كَـرَّهْـتَـنِـي الـحَـيـاةَ وما فِـيْـ ... ـها وحَـبَّـبْـتَـنِـي جُـمودَ الـسَّـاهِـي

أَنْـتَ جَـبَّـلْـتَ بَـيْـنَ جَـنْـبَـيَّ قَـلْـبـاً ... سَـرْمَـدِيّ الـشُّـعُـورِ والانْـتِـبـاهِ

أَنْـتَ عـذَبـتَـنِـي بِـدِقَّـةِ حِـسِّـي ... وتـعـقَّـبْـتَـنِـي بِـكُـلِّ الـدَّواهِـي[4]

بِـالأسَـى بِالسَّقامِ ، بِالـهَـمِّ ، بِالوحْـ ... ـشَـةِ ، بِاليَأسِ ، بِالشَّقا الـمُـتَناهِي

بِـالـمَـنـايـا تَـغْـتـالُ أَشْـهَـى أمـانِـيَّ ... وتُـذوِي مَحاجِرِي ، وشِـفـاهِـي[5]

فـإذا مَـنْ أُحِـبُّ حَـفْـنَـةُ تُـرْبٍ ... تَـافِـهٍ ، مِـنْ تَـرائِـبٍ وجِـبـاهِ[6]

وإذا فِـتـنَـةُ الـحَـيـاةِ وسِـحْـرُ الـ ... ـكَونِ ضَرْبٌ من الغَمامِ الزَّاهِي[7]

يَتَلاشَى فَوقَ الـخِـضَـمِّ : ويَبْقَى الـ ... ـيـمُّ كالعَهدِ مُـزْبِـدَ الأَمْـواهِ ...[8]

---

(1) الزفرة : التنفس مع مدّ النفس . ويصعدها : يزيد في حدّتها . والساهي : الغافل .

(2) الزاهي : الجميل المشرق .

(3) لجة الحزن : جانبه ، على التشبيه بلجة الوادي . وجرعتني : سقيتني .

(4) تعقبتني : تتبعتني . والدواهي : المصائب .

(5) المنايا : جمع المنية ، وهي الموت . وتغتال : تهلك . وتذوي : تذبل وتشيخ . والمحاجر : جمع المحجر ، وهو ما أحاط بالعين .

(6) حفنة الترب : ملء الكف أو الكفين منه . والترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين .

(7) الغمام : السحاب . والزاهي : المشرق الجميل .

(8) يتلاشى : يضمحل . والخضم : البحر الواسع . واليمّ : البحر . والأمواه : المياه .

يـا إلَـه الـوُجُـود ! مـا لَـكَ لا تَـرْ ... ثِـي لِـحُـزْنِ الـمُـعَـذَّبِ الأوَّاهِ ؟[1]
قَد تَـأوَّهـتُ فِي سُـكـونِ الـلَّـيـالِـي ... ثُـمَّ أطـبـقـتُ فِي الصَّبـاحِ شِـفـاهِـي
وتَـغـزَّلْـتُ بـالـحَـيـاةِ وبـالـحُـبْـ ... ـبِ وغَـنَّـيْـتُ كـالـسَّـعِـيـدِ الـلاَّهِـي
وزَرَعْـتُ الأَحْـلامَ فـي قَـلْـبِـيَ الـدَّا ... مِي ، حَـوَّطْـتُـهـا بِـكُـلِّ انْـتِـبـاهِـي
ثُـمَّ لَـمَّا حَـصَـدْتُ لَمْ أجنِ إلا الـشْـ ... ـشَـوكَ ، ما تُـرَى فعلتُ ؟ إلَهِي !

* * *

يا رِياحَ الوُجُود ! سِيري بِعُنفٍ ... وتَـغـنَّـيْ بِـصَـوْتِـكِ الأوَّاهِ
وانْفحيني مِنْ رُوحِكِ الفَخْم ما يُبْـ ... ـلِغُ صَـوْتِـي آذانَ هَـذا الإلَـهِ[2]
فَهْو يُصْغِي إلى الـقَـوِيِّ ، ولا يُصـ ... ـغِي لِصَوتٍ بَيْنَ العَواصِفِ واهِ[3]
وانْـثُـرِي الـوَرْدَ لـلـثُّـلـوجِ بـداداً ... واصْـعـقِـي كُـلّ بُـلـبـلٍ تَـيَّـاهِ[4]
فـالـوُجُـودُ الـشَّـقِـيُّ غَـيـرُ جَـدِيـرٍ ... بِالأَغانِي ، وبِـالـجَـمـالِ الـزَّاهِـي[5]
واسْـحَـقِـي الكائِناتِ كـوْنـاً بِـكَـوْنٍ ... قَـبـلَ أن تَـنـتَـهِـي أذلَّ تَـنـاهِ
فَـالإلَـهُ الـعَـظِـيـمُ لَمْ يَـخـلُـقِ الـدُّنْـ ... ـيـا سِوَى لِلفَناءِ تَحْتَ الدَّواهِي[6]

* * *

يا ضَـمِـيـرَ الـوُجُـود ! يا عالـمَ الأَرْ ... واحِ ! يا أيُّها الفَضاءُ الـسَّـاهِـي !
يا خـضَـمَّ الـحَـيـاةِ ، يَـزْخَـرُ فِي الآ ... فاقِ فِي الـتُّـرْبِ ، فِي قرارِ المِياهِ ![7]
خَـبِّـرونِـي ، هَل لـلـورَى من إلَـهٍ ، ... راحِـمٍ - مِـثْـلُ زَعْـمِـهِـمْ - أوَّاهِ[8]
يَـخْـلُـقُ الـنَّـاسَ باسِماً ، ويُـواسِـيْـ ... ـهِـم ، ويـرنُـو لَهُم بِـعـطـفٍ إلَهِي

---

(1) الأواه : الكثير التأوه .

(2) انفحيني : أعطيني .

(3) الصوت الواهي : الضعيف .

(4) بداداً : فرقاً . واصعقي : اهلكي . والبلبل : نوع من الطيور المغردة . والتيّاه : المتكبر .

(5) الجمال الزاهي : الجميل المشرق .

(6) الفناء : الموت . والدواهي : المصائب العظيمة .

(7) القرار : المكان المنخفض يجتمع فيه الماء .

(8) الورى : الخلق .

ويـرَى في وجُـودِهِـمْ رُوحَـهُ السَّـ ـامِـي ، وآيـاتِ فَـنِّـهِ المُـتَـنـاهِـي
إنَّنِـي لَـمْ أجـدْهُ فـي هـاتِـهِ الـدُّنْـ ـيـا ، فَهَلْ خَلْفَ أُفْقِها من إلَهِ ؟ !
ما الذي قَـدْ أتيـتَ يا قَـلْـبيَ البـا كِي ؟ ! وماذا قَد قُـلْـتِـهِ يا شِفاهِي
يا إلَهِي ! قَد أَنْـطَـقَ الـهَـمُّ قَـلْـبِـي بالذي كَانَ ، فَـاغْـتَـفِـرْ يا إلَـهِـي !
قَـدَمُ اليَـأسِ والـكَـآبَـةِ داسَـتْ قَلْبِيَ المُتْعَبَ ، الغَرِيبَ ، الواهِي[1]
فَـتَـشَـظَّـى ، وتِلْكَ بعضُ شَـظـايـا هُ ... ، فَسامِحْ قُنُوطَه المُـتَـنـاهِـي[2]
فَهْوَ يا ربِّ مَـعْـبَـدُ الـحَـقِّ ، والإيْـ ـمـانِ والـنُّـورِ والـنَّـقـاءِ الإلَـهِـي
وَهْوَ نايُ الجَمالِ، والحُبِّ، والأَحْـ ـلامِ ، لَكِنْ قَد حَـطَّـمَـتْـهُ الدَّواهِي

[95]

قالت الأيَّام

قال : (السريع)

يـا أَيُّـهـا الـسَّـادِرُ فـي غَـيِّـهِ ! يا واقِـفـاً فَـوْقَ حُطامِ الـجِـبـاهْ ![3]
مَـهـلاً ! فَـفِـي أَنَّـاتِ مَن دُسْـتَـهُـمْ صَوتٌ رَهِيبٌ سوف يَدْوِي صَداهْ .. [4]

* * *

لا تَـأمَـنَـنَّ الـدَّهْـرَ ، إمَّـا غَـفـا فِي كهفِهِ الدَّاجِي ، وطَالَتْ رُؤاه[5]
فَـإنْ قَـضَـى اليَـومُ ومـا قَـبْـلَـهُ فَفِي الـغـدِ الـحَـيِّ صَبَاحُ الـحَـيـاهْ

* * *

يـا أيُّـهـا الـجَـبَّـارُ ! لا تـزدَرِي فَـالـحَـقُّ جَـبَّـارٌ ، طَـوِيـلُ الأنـاهْ[6]
يُـغْـفِـي ، وفـي أَجْـفـانِـهِ يَـقْـظَـةٌ تَـرْنُـو إلى الـفَـجْـرِ الذي لا تَراهْ ..

---

(1) الواهي : الضعيف .

(2) تشظّى : تفرق . والشظايا : جمع شظية ، وهي الفلقة من القلب . وقنوطه : يأسه .

(3) السادر : المتحير اللاهي . والغي : الضلال . والحطام : ما تكسر من الشيء اليابس .

(4) الأنات : جمع الأنة ، وهي التأوه من الألم . والصدى : ارتداد الصوت .

(5) الداجي : المظلم . والرؤى : الأحلام .

(6) تزدري : تحتقر . والأناة : الصبر .

قافية الياء

[96]

في ظلّ وادي الموت

قال : (الخفيف)

نَحْنُ نَمْشِي ، وحولَنا هاته الأَكْـ ... ـوانُ تَمشِي ..، لَكِنْ لأيَّةِ غايَهْ ؟

نَحْنُ نَشدُو مَعَ العَصافِيرِ لِلشَّمْـ ... ـسِ ، وهَذا الرَّبِيعُ ينفُخُ نايَهْ

نَحْنُ نَتْلُو روايَةَ الكَونِ لِلمَوْ ... تِ ولَكِنْ ماذا خِتامُ الرِّوايَهْ

هَكَذا قُلتُ لِلرِّياحِ فَقالَتْ : ... «سَلْ ضَمِيرَ الوجُودِ ، كَيفَ البِدايَهْ؟»

وتَغَشَّى الضَّبابُ نَفسِي ، فَصاحَتْ ... في مَلالٍ مُرٍّ : «إلى أَيْنَ أَمْشِي؟»

قُلتُ : «سِيرِي مع الحَياةِ ..» فَقالَتْ: ... «ما جَنينا، تُرَى، من السَّيْرِ أمْسِ؟»

فَتَهافَتُّ كالهَشِيمِ على الأَرْ ... ضِ ونادَيتُ : «أَيْنَ يا قَلْبُ رفْشِي؟»[1]

«هاتِهِ ، عَلِّنِي أَخُطُّ ضَرِيْحِي ... في سُكونِ الدُّجَى وأدفُنُ نَفسِي»[2]

هاتِهِ فَالظَّلامُ حَولِي كَثِيفٌ ... وضبابُ الأَسَى مُنِيخٌ عَلَيَّا[3]

وكؤوسُ الغَرامِ أَتْرَعَها الفَجْـ ... ـرُ ، ولَكِنْ تَحطَّمَتْ في يَدَيَّا ..[4]

والشَّبابُ الغَرِيرُ وَلَّى إلى الما ... ضِي وخَلَّى النَّحِيبَ في شَفَتَيَّا ،[5]

هاتِهِ ، يا فُؤادُ إنَّا غَرِيبا ... نِ ، نَصُوغُ الحَياةَ فَنًّا شَجِيَّا

قَد رَقَصْنا مَعَ الحَياةِ طَوِيلاً ... وشَدَوْنا مَعَ الشَّبابِ سِنِيْنا

وعَدَوْنا مَعَ اللَّيالِي حُفاةً ... في شِعابِ الحَياةِ حَتَّى دَمِيْنا

وأَكَلْنا التُّرابَ حَتَّى مَلِلْنا ... وشَرِبْنا الدُّمُوعَ ، حَتَّى رَوِيْنا

---

(1) الهشيم : المتكسر من كل شيء .

(2) الضريح : القبر . والدجى : الظلام .

(3) المنيخ : النازل البارك .

(4) أترعها : ملأها .

(5) الغرير : الشاب الذي لا تجربة له . والنحيب : البكاء .

ونَـشَـرْنـا الأَحْـلامَ والـحُـبَّ والآ ... لامَ واليَأسَ، والأَسَى، حَيثُ شِينا[1]

ثُمَّ ماذا ؟ هَذا أنا : صِرتُ في الدُّنْـ ... ـيا بَعِيداً عن لَهوِها وغِناها

في ظلامِ الفَناءِ ، أدفُنُ أَيَّا ... مِي ، ولا أَسْتَطيعُ حَتَّى بُكاها ؟

وزهُورُ الحَياةِ تَهْوِي ، بِصَمْتٍ ... «مُحْزِنٍ ، مُضْجِرٍ ، على قَدمَيَّا ،»

جَفَّ سِحْرُ الحَياةِ ، يا قَلْبِيَ البا ... كِي ، فَهيَّا ، نُجَرِّبُ المَوْتَ ..، هَيَّا ..!

[97]

الزَّنبقة الذَّاوية

قال : (المتقارب)

أزَنْبَقَةَ السَّفْحِ ؟ ما لِي أَراكِ ... تُعانِقُكِ اللَّوْعَةُ القاسِيَهْ ؟

أفِي قَلْبِكِ الغَضِّ صَوتُ اللَّهِيبِ ، ... يُرتِّل أُنْشُودَةَ الهاوِيَهْ ؟

أَأَسْمَعَكِ اللَّيْلُ نَدْبَ القُلُوبِ ... أَأَرْشَفَكِ الفَجْرُ كَأْسَ الأسَى ؟[2]

أصَبَّ عَلَيْكِ شُعاعُ الغُروبِ ... نَجِيعَ الحَياةِ ، ودَمْعَ المَسا[3]

أَأَوقَفَكِ الدَّهْرُ حَيْثُ يُفجِّـ ... ـرُ نَوْحُ الحَياةِ صُدُوعَ الصُّدُورْ ؟

ويَنْبَثِقُ اللَّيْلُ طَيْفاً ، كَئِيباً ... رَهِيباً ، ويخفِقُ حُزْنُ الدّهُورْ ؟

إذا أَضْجَرَتْكِ أَغانِي الظَّلامِ ... فَقَدْ عَذَّبَتْنِي أَغانِي الوُجُومْ

وإنْ هَجَرَتْكِ بَناتُ الغُيُومِ ... فَقَدْ عانَقَتْنِي بَناتُ الجَحِيمْ[4]

وإنْ سَكَبَ الدَّهْرُ في مِسْمَعَيْكِ ... نَحِيْبَ الدُّجَى ، وأَنِينَ الأَمَلْ

فَقَدْ أجَّجَ الدَّهْرُ في مُهْجَتِي ... شُواظاً مِنَ الحزَنِ المُشْتَعِلْ[5]

---

(1) شينا ، أي : شئنا .

(2) أرشفك : سقاك . والأسى : الحزن .

(3) النجيع : الدم .

(4) قوله : بنات الغيوم : أراد الأمطار .

(5) الشواظ : اللهب لا دخان فيه . والرحيق : الخمرة .

وإنْ أرشَفَتْكِ شِفاهُ الحَياةِ ... رُضابَ الأَسَى ، ورَحِيقَ الأَلَمْ[1]

فَإنِّي تَجرَّعْتُ من كَفِّها ... كُؤوساً ، مُؤجَّجَةً ، تَضْطَرِمْ

أَصِيخِي ! فَما بَيْنَ أَعْشارِ قَلْبِي ... يَرِفُّ صَدَى نَوْحِكِ الخافِتِ[2]

مُعِيداً على مُهْجَتِي بِحَفِيفِ ... جَناحَيْهِ صَوْتَ الأَسَى المائِتِ[3]

وقَدْ أترعَ اللَّيْلُ بالحُبِّ كَأْسِي ... وشَعْشَعَها بِلَهِيبِ الحَياةْ[4]

وجَرَّعَنِي مِنْ ثُمالاتِه ... مَرارَةَ حُزْنٍ ، تُذِيبُ الصَّفاةْ[5]

إلَيَّ ! فَقَدْ وَحَّدَتْ بَيْنَنا ... قَساوَةُ هَذا الزَّمانِ الظَّلُومْ

فَقَد فَجَّرتْ فِيَّ هَذِي الكُلومُ ... كَما فجَّرتْ فِيْكِ تِلْكَ الكُلومْ[6]

وإنْ جَرَفَتْنِي أكُفُّ المَنُونِ ... إلى اللَّحْدِ ، سَحَقَتْكِ الخطُوبْ[7]

فَحُزْنِي وحُزْنُكِ لا يَبْرَحانِ ... أَلِيفَيْنِ رَغْمَ الزَّمانِ العَصِيبْ[8]

وتَحْتَ رُواقِ الظَّلامِ الكَئِيبِ ... إذا شَمَلَ الكَونَ روحُ السَّحَرْ[9]

سَيُسْمَعُ صوتٌ ، كَلَحْنٍ شَجِيٍّ ... تَطايَرَ مِنْ خَفَقاتِ الوَتَرْ[10]

يُرَدِّدُهُ حُزْنُنا في سُكُونٍ ... على قَبْرِنا ، الصَّامِتِ المُطْمَئِنْ

فَنَرقُد تَحْتَ التُّرابِ الأَصَمِّ ... جَمِيعاً على نَغَماتِ الحَزَنْ

* * *

---

(1) الرضاب : الريق .

(2) أصيخي : استمعي . وأعشار القلب : أجزاؤه . والنوح : البكاء .

(3) المهجة : الروح . والحفيف : صوت جناحي الطائر .

(4) أترع الكأس : ملأها . وشعشعها : مزجها .

(5) الثمالة : البقية من الماء . والصفاة : الحجر الصلد .

(6) الكلوم : الجروح .

(7) المنون : الموت . وسحقتك : حطمتك . والخطوب : المصائب .

(8) الأليف : الصاحب . وزمان عصيب : شديد الهول .

(9) رواق الليل : ظلمته .

(10) لحن شجيٌّ : حزين .

[98]

سِرّ النُّهوض

قال : (البسيط)

لا يَنْهَضُ الشَّعبُ إلاَّ حِيْنَ يَدْفَعُهُ ... عَزْمُ الحَياةِ ، إذا ما اسْتَيقَظَتْ فِيْهِ

والحَبُّ يخترِقُ الغَبْراءَ ، مُنْدَفِعاً ... إلى السَّماءِ ، إذا هَبَّتْ تُنادِيهِ[1]

والقَيدُ يَألَفُهُ الأَمْواتُ ، ما لَبِثُوا ... أمَّا الحَياة فَيُبْليها وتُبْلِيهِ[2]

* * *

(1) الغبراء : الأرض المغبرة .

(2) تبليه : تفنيه .

رسائل
أبي القاسم الشابي[1]

(1) أخذنا هذه الرسائل عن كتاب محمد الحليوي : رسائل الشابي ، وهي تقتصر على الرسائل التي أرسلها الشابي إلى الحليوي .

الرسالة الأولى

في 29 محرم الحرام سنة 1348[1]

أخي الفاضل وصديقي الحميم سيدي محمد الحليوي :

تحيَّة صديق ومودَّة أخ وبعد :

فقد عزم الأخ سعيد أبو بكر على أن يتولَّى إدارة وتحرير مجلة « الصادرات والواردات » لكي ينقذها من إدارتها العاجزة الأولى ، ولذلك فقد أخذ يأخذ من أصدقائه طرائفهم الأدبية ، إذ إنَّه يريد أن يجعل مشربها أدبيًّا محضاً ، ولذا فإنّي أزفّ[2] إليك هاته البشارة لكي توجه لي بأسرع ما في جهدك قصيداً جميلاً أو كتابة شيِّقة مِمَّا عودنا قلمك الجميل .

أمّا لو سألتني رأيي فإنّي أودّ لو نفّذت ما كنت عزمت عليه من جعل عنوان أكبر خاصّ بك تنشر تحته آثارك الأدبية والفلسفية .

وقد كنت أودّ لو حضر مسامرتي الأستاذ إسكندر شلفون حتى تسمع اللهجة الخطابية الرائعة والروح التمثيلية الرائقة والذوق السَّاحر والفن الصحيح .

لقد وددت ذلك وانتظرت ولكن أبى اللَّه إلاَّ أن لا يكون ذلك ، وليس لي بعد ما ذكر ما أذكره لك وأنا عجول ، إلاَّ أن مقالك الذي أدرجته بالنهضة تحت عنوان « فكرة تختمر » قد نشرت أكثره مجلة الرَّابطة الشرقيَّة ، وهذا ما يحدوني[3] إلى أن أستحثك لشحذ عزمك على نشر موحياتك ، وأن تعطي لنفسك ما لها من حرية فكرية وحظ فنّي في هذا الوجود .

أما الشيخ ... فقد أحدثت تلك الرسالة القيروانية في نفسه من الرجّة أعنف مِما أحدثت بنوادي القيروان ومجتمعاتها ، وما زالت تأخذه الراجفة تتبعها الرادفة حتَّى نشرت النهضة مقاله الأخير فكانت خير ما نفَّس على نفسه الحرجة وقلبه المغموم وإن كنت قد عنفته كثيراً على كتابة مقاله بمثل ذلك الإفحاش السافل واللهجة

---

(1) 7 تموز 1929 .

(2) أزفّ : أنقل .

(3) يحدوني : يدفعني .

الحانقة ، فما زاد إلاّ عُتوًّا وإصراراً .

ولَمَّا تلوت عليه كلمتك التي طلبت منّي إبلاغها إليه أجاب بأن مقالة النهضة ستقر ذلك الزلزال وتأخذ مكانتها من النفوس .

وليس بمستطاعي أن أفيك حقّ الشكر لِما قمت وتقوم به من الأعمال نحوي وإنّما حسبي أن أقول : حيا اللّه فيك تلك الأريحية[1] العالية وتلك الأخوة الصادقة والولاء الجميل ودمت للأدب السامي روحه الفياضة العاملة وقلبه النابض الخفاق ولأخيكم المخلص .

بلقاسم الشابي

حاشية :

أرجو العفو إن لَم أتبسّط معكم في الحديث ، و لم أطارحكم خواطر الأدب فإنّ لي الآن من الأعمال المتوفّرة والمشاغل المتراكمة ما لا أستطيع معه كتابة الكلمات .

ولا أزيدكم حثًّا لتلبية ذلك الطلب الذي أسلفته وعسى أن لا تكون عقباه كعقبى ذلك الكتاب الذي وعدت بتوجيهه إليّ لَمَّا كنا ببني خلاد ثم أخلفت أو نسيت ؟ لست أدري .

الرسالة الثانية

في صفر الخير سنة 1348[2]

حضرة الأديب المجدّد الأخ الفاضل الشيخ سيدي محمد الحليوي :

تحية عاطرة وسلاماً جميلاً وبعد :

فقد وددت لو كاتبتك بما أريد ، ولكن هو القدر يأبى إلاّ أن ينفذ أحكامه ، فقد شاء أن لا أكاتبك إلاّ لِماماً رغم لهفي إلى مراسلتك والاستمتاع بما يمليه قلبك وعقلك ، ويخطّه يراعك الحرّ .

وشاء أن لا أراسلك إلاّ بما لا تطمئنّ إليه نفسي من الأبحاث الأدبية التي هي خير ما تمليه علينا الحياة .

---

(1) الأريحية : الخفة والهشّة إلى المعروف .

(2) 30 تموز 1929 .

لقد ذهبت منذ أيّام بناء على رغبتكم إلى مكتبة الأمين ، وسألته عن كتاب «ساعات بين الكتب » للأستاذ الجليل العقاد ، فنبّأني أنّه لم يتّصل به لحدّ الآن ، ولكنّه سيأتي عَمَّا قريب ، ثم ذهبت أول أمس «التاريخ» إلى مكتبة الثميني ، وسألته عن الكتاب ، فألفيته عنده ، وعلى ذلك رغبت إليه أن يوجّه إليكم نسخة يستخلص ثمنها عند الوصول ، فلبّى الطلب وأخبرني أنّه سيوجّهها إليكم أمس «التاريخ» .

وقد اطّلعت على الكتاب قبل أن تكاتبوني في شأنه . أطلعني عليه الأخ الأديب الفاضل محمود خروف ، فاستعرته منه ، وتملّيت بما فيه من صور الفنّ ومثل الحياة ما لا ينتج إلا عن ذهن جبّار ولود ، وعبقرية نادرة خارقة . أمَّا لغة الكتاب وأسلوبه فهو الأسلوب القيم الجميل الذي لم يكتب العقاد فيما سلف خيراً منه ، على رأيي طبعاً .

وقد كتب العقاد فيما كتب عن « شكسبير » كتابة لو علم شكسبير أنّها ستكتب عنه لجّد نفسه ألف مرة ، كتب عنه كتابة لا أحسب أنّها كتبت عن بشريّ من قبل، فقد صور العقاد فيها شكسبير بصورة إلَهية عليها جلال الألوهيَّة في جدّها ولعبها ، في حزنها وفرحها ، في بؤسها وسعادتها .

وماذا يمكنني أن أقول ؟ إنّ العقاد لم يجعل من شكسبير إلاّ إلَهاً صغيراً بشريًّا يخلق في دنياه الصغيرة صوراً حيَّة كاملة من صور الإنسانية المتباينة[1] ، صوراً ملأى بمعاني الحياة اللاعبة العابثة ، والجادّة العابسة ، والشاعرة المفكرة ، والمجنونة التائهة .

وإلى هنا أقف القلم لأنّ المجال حرج والزمان قصير . فأنا الآن على قدم السفر إذ إنّني سأغادر الحاضرة إلى بلد زغوان بعد الزوال ، ولديّ من مشاغل العمل ومتاعب السفر ما ينوء به الجليد العتيد .

لقد أحببت أن أكتب لك كما أشاء فأرسل النفس على سجيّتها ، والقلم على طبعه ولكنّ مشيئة الدَّهر فوق ذلك ؛ فأنا وحقّك أختلس الوقت اختلاساً لأحرّر لك هذه الكلمات ، ولعلّي أجد بعد الآن سعة من الوقت ومنتدحاً مِمَّا أنا فيه فأحدّثك بما أودّ وكما أودّ .

---

(1) المتباينة : المختلفة .

أمّا الآن فاعذر أخاك ، فإنّني واللّهِ لفي شغل ما لي طاقة بمثله ، ولا لي جلد على ما هو دونه فكيف به في هذا اليوم ؟ !

يجب عَلَيّ الذهاب إلى « حفار الرسوم » لآخذ منه حفرية الكتاب ، وأن أذهب إلى السّيد زين العابدين السنوسي لأصحّح الكرّاس الأخير من الكتاب تصحيحاً أوّليًّا ، ثم لأضع جدول الخطأ والصواب للكتاب كلّه ! ... الآن ! نعم الآن ثم لأسمع المقدمة التي لا أدري هل أتمّها أم لا ، ثمّ لأصاحب الأخ الشاعر الرقيق مصطفى خريف إلى زين العابدين ، وبعض أصحاب المكاتب لأعلمهم أنّه هو الذي يجب أن يتسلّموا منه النسخ التي لم نعيّن مقدارها لحدّ الآن ، ولكنّنا سنعينه بعد أن سمحت هاته المنطقة الضيقة من الزمن التي لا زالت تتقلّص وتنكمش حتى أكاد أختنق من ضيقها وحرجها إلى غير ذلك من الأعمال الضرورية التي لا غنية للمسافر عنها . كل ذلك - إن لم أنس أشياء أخرى - يجب عَلَيّ القيام بها وحدي في هاته الساعات القليلة الباقية !

ماذا يمكنني أن أزيدك ؟ ليس لي إلاّ أن أقول : اسال لأخيك العون فيما يحمل من أعباء تنوء بحملها الجبال .

بلّغ تحياتي إلى كلّ أديب مخلص لقلبه وأدبه ومقدّر لما يجب على الأديب نحو أبناء العالم ، ولكم تحيّات قلب ملؤه الودّ الأبدي والإخاء الخالد .

أخوكم بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

ملحوظة :

سيحضر الكتاب بعد أربعة أيّام على الأقلّ ، وبعد أسبوع على الأكثر ، وقد كنت عزمت على أن أبقى بالحاضرة إلى أن أتمّه ، ولكن حدث ما لَم يكن في الحسبان فقد جاءني إلى الحاضرة أول أمس «التاريخ» من أعلمني بأنّ الوالد مصاب بمرض ألزمه الفراش ، وأنّه غاضب عَلَيَّ لأنّني أتممت أعمال الامتحان ولَم أزره وهو في مرضه ، ولهذا فإنّي تركت الكتاب وعزمت على أن أغادر الحاضرة ، وأترك الكتاب لطباعه لولا أن تكفّل الأخ مصطفى خريف بأن يقوم عليه في بقية الأعمال، وهي لا تتجاوز مراقبة تسفير الكتاب ، وحمله بعد إتمامه إلى محلّه يعلمني بذلك ليوجّه النسخ إلى توزر إذ إنني سأكون بعد أسبوع أو أكثر بقليل بتوزر مع

الأهل إن شاء اللّـه .

عفواً فليس لديّ مُتسع لأكاتبك أكثر مِمّا كتبت .

الرسالة الثالثة

في 25 صفر سنة 1348[1]

أخي الفاضل :

تحيَّة وشكراً وبعد :

فإنّني أودّ أن أحادثك وأناجيك وأصبو لأن أرافقـك وأماشـيك في تلـك السـبل التي جال فيها يراعك[2] ولكن بماذا ؟ أبهذا القلب الذي كسرته صخور الحيـاة ؟ أم بهذه النفس التي مزّقتها أعاصير الوجـود ؟ أم بهـذا الفكـر الواهـن[3] المخبـول ؟ أم بهذا الوجدان التائه في شعاب الغد الغامض المريب .

آه ! أيُّها الأخ ، إنَّ الحياة لأهول من أن تتحمّـل علـى مثـل هـذه الحـال السَّـيئة الأليمة ، وإن خضمّ الزمان لأرهب من أن يتقحمه المرء ، وهـو كمـا أراه جبـار في تمرّده قويّ في جبروته وطغيانه .

ها هي الأقدارُ العتيَّةُ تعبـث بنـا نحـن البشـر الضعـاف ، وترمينـا بمـا لا نسـتطيع احتماله ، ولا نملك اعتزاله ، وأنّى لنا ذلك ، ونحن أهداف اللجج الثائرة وأعشـاب السيول الهادرة .

لقد ضقت ذرعاً بالحياة يا صاحبي ولا أخالني ، إن ظلت الحياة على ما هي عليه اليوم إلاّ ذاهباً إلى القبور أو في سبيل الجنون ، إنني أحاول أن أخطّ إليـك مـا تحسّـه نفسي من مرارة الأوجاع وهموم الزمن الجائر ، فلا أستطيع إلاّ مثل هذه الكلمـات المتقطّعة التي لا تكاد تبيّن عمّا أكابد من غصـص العيـش وبأسـائه ، ولا تعـبر عمّـا يساورني من الأفكار المدلهمّة كقطع اللّيل المظلم ، لا أذكر أن قد مرّت عَلَـيّ فيمـا سلف من عمري أيّام أنكد من هذه الأيام أو أشدّ .

---

(1) آب 1929 .

(2) اليراع : القلم .

(3) الواهن : الضعيف .

في الصباح أجلس إلى أبي الذي أنهكه المرض وأضناه وأرمضه[1] الألم وأذواه ، وطرفي إلى وجهه الشاحب العليل ، وإلى جفنه الذاهل الذي أذبله الألم وأذوته الحمّى ، وإلى جسمه المتهدّم الواهن ، وسمعي إلى نفسه المتقطّع وتأوهاته المتتابعة .

وعهدي به ذلك الرجل الجليد فما أراه كذلك إلاّ وتملأ صدري الزفرات ، وتملأ عيني العبرات ، وتنطلق من قلبي المثلوم ، وصدري المكلوم أنات القهر ودعوات الرجاء إلى إله الحياة والموت ، وباسط النور والظلمات أن يشفي هذا الأب الواهي[2] الطريح ، وأن يشفق على صبيته الصغار الذين ما زالوا واقفين بباب الحياة.

وأظلّ كذلك بين لبّ شارد ، وعقل ذاهب ، ونفس شقيَّة معذّبة ، وقلب مقسّم بين هموم الحياة وأحزانها إلى أن يأتي أخ لي صغير أو أُخَيَّة لَم تفقه بعد لغة الوجوه .

فما تزال تقلّب طرفها الحائر المتسائل بين وجهي الشاحب الكئيب ووجه والدي المتعوب ، ثم تذهب من حيث جاءت وفي قلبها الصغير خواطرُ وهواجسُ وآلامُ وأحلامُ ، اللّه أعلم بمعناها الغامِض وبأثرها البعيد .

ومن حين لآخر يرفعُ والدي بصرَه إليَّ فلا يسترجعه إلاَّ مترعاً[3] بالدَّمع أو مخضلاً بالعبرات ... تلك صورة مقتضبة من حياتي البائسة الدامية أرسمها إليك بقلم لا أكاد أجيد مسكه .

آه ! ربِّ ! أشقيتني وما أشقيت أحداً من عبيدك !

ربِّ ! عذبتني وأنا عبدك الذي لَم يجدّف[4] باسمك ولا كفر بنعماك !

ربِّ ! رحماك فإنّ عبء القدر عَلَيَّ شديد .

تلك كلمات كثيراً ما ردّدها لساني في ظلام اللّيل ، وقلبي في ضوء النهار كلّما خلوت إلى نفسي ، وانفردت بأحزاني المخضّبة بدماء القلوب .

---

(1) أرمضه : أوجعه .

(2) الواهي : الضعيف .

(3) مترعاً : مليئاً .

(4) لم يجدف : لم يكفر .

إني لأسألك يا صديقي أن تضرع معي إلى بارئ الحياة أن لا يفجعنا في هذا الوالد الكريم الذي لا أستطيع أن أصوّر لك عطفه على أبنائه وعطفه على أبناء البشر .

ردّد معي يا صديقي دعواتٍ إلى اللّه وصلّ بقلبك الطّاهر مع هذا القلب الكسير إلى ذلك الذي يسمع خفقاتِ الأرواحِ ووجيب[1] السرائر لعلّه يلبّي دعواتِنا التي نرفعها إليه .

لو رأيت يا أخي منظر إخواني الصغار حينما يلتئمون حلقة واحدة ويهتفون بصوت واحد وبقلوب مخلصة : ربَّنا اشفِ أبانا لعلمت كيف تجيش النّفس وتطغى العواطف وتسيل الدُّموع ، ولأدركت أن الإنسانيَّة البريئة الطاهرة إنّما هي في أطفال البشر .

ماذا تريد أن أحدثك يا أخي بعد هذه الآلام اللافحة التي يتوهّج من خلالها جحيم البشر ؟ أتريد أن أحدثك بأسرار نفسي الكبيرة الملهمة ـ كما شئت أن تقول ـ ؟ إنَّ هذه النفس يا صاحبي لأهون واللّه من ذرّة رمل في أكفّ الرِّياح .

وإنَّ هذه النفس لأحقر من تلك البعوضة المغتبطة بطنينها بين المزابل ، وإنّ هذه النفس لأشقى بما وضع الله فيها من شعور من كلّ أبناء الحياة ! إن الذر من الرمل لتعبث بها ما شاءت الرياح ، ثمّ تقرّ العاصفة ، وتسكن فإذا بها ذرّة هادئة ساكنة بين ذرّات الرمال تحلم أحلامها الأبديّة الخرساء ، وترقد بعيداً عن ضجيج الدّهور وضوضائها وأنّاتِ الحياة وأرزائها .

أما هذه النفس فإنها طائرٌ معذّبٌ مطعون يسكُبُ دماءه فوق الصخورِ القاسيةِ ، وبين أشواكِ السبيل دون أن يظفرَ بعشِّه الذي عبثت به العاصفةُ ، ولا بسربه الذي شرّدته النسورُ . وإنّ البعوضة الحقيرة الضائعة لأسعدُ في طنينها بين المزابل من هذه النفس التي ما تزال تبحث عن معين الحياة ، وكلما تقدّمت خطوةً في سبيلها الرائعِ المخوف لفَحتْها الهواجرُ وتلمّعت أمامَها سيوف القدرِ ...

ها أنا مدلجٌ في سبيل الحياةِ الأقتمِ[2] ، وها هي الأشباحُ الرهيبةُ تتعقّبني وتسمعني

---

(1) الوجيب : الخفقان والاضطراب .

(2) السبيل : الطريق . والأقتم : الأسود . والمدلج : السائر ليلاً .

أناشيد السخرية والازدراء ، ولكنّي سأظلّ سائراً منتظراً صباحَ الحياةِ . وسأظلّ مردّداً على هاته الغاباتِ والكهوفِ ! أغنية الحيرة والحنين إلى أن يبدو الصبح أو يسكتني صراخ القبور :

يا بَنِي أُمِّي ! تُرَى أيْنَ الصّباحْ ؟ قد تَوَلَّى العمرُ والفجرُ بعيدْ
أيْنَ نايي ؟ هَل ترامَتْه الرِّياحْ أيْنَ غابي ؟ أيْن مِحرابُ السجُودْ ؟
يا بناتِ اللَّيلِ قد غاضَ الصّداحْ منذ طاشَتْ نشوةُ العَيشِ الحَمِيدْ
يا بَنِي أُمِّي ! تُرَى أيْنَ الصَّباحْ ؟ أوراءَ البحرِ ؟ أم خلفَ الوجودْ ؟

يا بني أُمِّي ! تُرَى أيْنَ الصَّباحْ ؟

سأظل سائراً في سبيلي ، وأظلّ ناثراً في هاته الحقول الجرداء العارية بذورَ الأسى، إلى أن يبدوَ القمرُ الجميلُ ، فتتفتّح الأكمام عن ورود جميلة ضاحكة ... ويتغرّد البلبل من وراء الزهور ... سأظلّ سائراً في سبيلي مُتغنّياً بهاته الأوجاع والدّموعِ وإن كنت أعلم :

أنَّ الدُّهورَ البَواكِي غَنِيَّةٌ عن دُمُوعِي

وأنَّ قلب الحياة ثخينٌ بالجراحِ ، وأنَّ راحةَ اللّيل ملأى بالدّموعِ الدامية .

عفواً يا صديقي ، فقد آلمتك وعصرت نفسك عصراً .

فقد كان بودّي أن أسرّك وأن أُسْمِعك أغاني المسرّة بدل ألحان الألم . ولكن ماذا أصنع ؟ والمريض لا ينطق بغير الأنين ، والجرح لا يرشح بغير الدِّماء . إنَّ الظُّلمَ لا تلدُ الضّياء ، وإنَّ المحزون لا يتكلّم بغير أحزانه .

أنت صديقي وليس لي أن أعدّك صديقي حقّاً إلاّ إذا قاسمتني كؤوس العلقم وعصير الحنظل كما سقيتني رحيق المسرّة وسلسبيل الفردوس .

رغبت يا صديقي أن أتلوَ تحياتك وصلوات قلبك على أصداء الجبل وأسرار الغاب ، وإلى كلّ شحرور يتغنّى ، وكل بائس ينتحب ، وذلك عهدي في تحيات الشعراء يا صاحبي فإنّها لتكون عذبة جميلة كأرواحهم الملهمة النبيلة ، ولكنّني يا صديقي لَم أبلّغ تحيّاتك إلاّ إلى نفسي القريحة الباكية لأنّها هي البائس الذي ينتحب في سكون الليل كلّما خلا إلى نفسه وتفكر في الحياة .

أمّا الغاب وأسراره والجبل وأصداؤه والشحرور وألحانه العذبة الحبيبة ، فإنّ عهدي بها بعيد ، وإنّ تلك السعادة الإلهية الطّاهرة وتلك المباهج والمناظر والأغاني لا تنعم بها إلاّ الأبصار الطافحة بالأشعة المكحولة بالبسمات .

أمّا الأجفان التي قرّحها[1] الدّمع وأذواها الألَم فإنّها قصيّة[2] عن تلك المناظر منفية في سجون الحياة .

حسبي الآن يا أخي فقد أنهكني التعب وأعياني ، ولو ظللت أخطّ إليك لظلّت الذّكرى تتبعها الذّكَرُ ، والعبرة تتبعها العِبَر ، ولظلّت نفسي كما عهدتها أوّلَ مرّةٍ: تلك النّفسُ المترعةُ بالدّموعِ التائهة في فلوات الزمان المترامية .

إنّني أشكرك يا صديقي على ما تبذل من جهد في تشريك معارفك في كتابي الحقير ، وأعترف أنّني لا أستطيع أن أفيكَ حقك من الشكر والمنّة ، وعندما يتمّ الكتاب ، وذلك قريب ، فإنّني أوجّه لك النسخ المطلوبة ؛ أما المقتطع والمال فدعهما معك إذ ليس في استطاعتي الآن ـ وأنا البائس القريح ، أن أشتغل بالماديات وما لفّ لفّها . فلتترك المقتطع معك ولتشرك من تشرك في القيروان أو سوسة ، ولنا بعد هاته الأيام في ذلك حديث .

ولكنّني أرجو إن ذهبت إلى سوسة أن تذهب إلى صاحب المكتبة العمومية هناك وتعلمه بكتابي ، وتسأله هل يودّ أن يشتريَ منه بعض نسخ ، ولعلّي أوجّه لك نسخ الكتاب قبل سفرك إلى سوسة لتريَه الكتاب ، وتسمع لِما يقول ، سأذهب وجملة الأهل إلى توزر يوم الإثنين إن شاء اللّه ، وسأوجّه إليك الكتاب من توزر فيما أظن .

بلّغ سلامي إلى كلٍّ من تراه أهلاً لذلك من كلِّ مَنْ كان له قلبٌ كقلبك ، ورُوحٌ كروحك وعاطفةٌ كعاطفتك النّبيلةِ السّاميةِ .

ولا تنسَ يا أخي أن تدعوَ معي بشفاء والدي لعلّ اللّه أن يلبّيَ الدّعاءَ والسّلام من أخيكم المخلص .

أبي القاسم الشابي

---

(1) قرّحها : جرّحها .

(2) قصية : بعيدة .

حاشية :

إنَّ نفسيَ الجَيَّاشة الناقمة لَم تترك لي فرصة أتلفّت فيها لِما عداها حتّى لقد نسيت أموراً كثيرة كان من واجبي أن أحدّثك عنها ، ولعلّك من هنا تفهم أنّ الأنانية والأثرة عنصر أولى من عناصر النفس ، وإلاّ فما الذي دَعاني لأن أنسى كلّ شيء في نفسي لَمّا طفحت بها أحزانها .

وصلت إليَّ رسالتك صبيحة اليوم وأنا جالسٌ إلى والدي على النحو الذي وصفت لك طرفاً منه ، فكانت لنفسي خيرَ مفرج ورفيق ، لأنَّ نفسي قد سئمت الكتب والأسفار ، وملّت كلّ ما يعدّه النّاس لتفريج الهموم . فلله تلك الرسالة الممتعة القيمة كم خفّفت عنّي من أعباء ، وأعانتني على موقفي العصيب .

قرأت الرسالة فوجدتك تتبرّم بمجالس القيروان ، فقلت لنفسي : ماذا يقول ويكتب لو شهد مجتمعات زغوان هاته المجالس التي لا تعرف إلا غائة القول وبذاءة الحديثِ ، ورأيتك تسائل اللّه عن علّة خلقك وتستفسره عن أي شيء خلقت له في هذا الوجود ؟ فقلت هنيئاً لك نفساً ، وهنيئاً لك حياتك ، فقد مرّ بي ذلك الطور الذي أنت تقطع أشواطه : طور السآمة المتضجّرة والملل المتسائل عن علّة هذا الوجود .

وكنت أتبرّم به كما تتبرّم ، وأتألّم منه كما تتألم ، ولكنّني أدركت الآن أنّ ذلك الطور إنما هو يقظة النّفس ، وتنبّه المشاعر عندما تهيب بها بواعث الحياة ، ويا ليت لي ساعة من مثل ساعاتك التي أنت بها برم ملول ! فأشكر الدَّهر على نعمائه فقد أصبحت أرزح بأعباء الحياة كما يرزح الجمل بأثقاله غير شاعر إلاّ بأنّني مثقل الكاهل ثقلاً لا رحمة فيه ولا جمال ، وغير آمل إلاّ أن يرفعَ اللّه عن كاهلي هذا الثقل الذي تنوء به قواي فأتنفّس ملء رئتي من هذا النّسيم .

سألتني عن مجلة سعيد أبي بكر ، وهل أنّ الدّاعي إليها مادّي أم فنّي ، وأنا لا أدري على التحقيق كيف أجيبك وبماذا أجيب إذ كلّ مبلغ العلم عندي هو أنّه تولّى إدارتها الفنيَّة أعني إدارة التحرير وأنّه تسلّم منّي قطعة من الشعر المنثور عنوانها : الشاعر ، تحت عنوان أكبر أودّ أن أكتب تحته مواضيع مختلفة إن ساعد الدَّهر وأشفق اللّه ، وهذا العنوان هو : صفحات من كتاب الوجود ..... واعلمْ

أنّني رأيته يصحّح ما طبع من المجلة ومن بين ذلك قطعتي .

أمّا أنّ الغرض فنّي أم مادّي فاللّه أدرَى به ، ولكن الذي أنبئك به بعد ذلك فهو أنّ السَّيد الهادي العبيدي الذي كثيراً ما كتبَ في جريدة «الصواب» قد أرادَ أن ينشئ نشرةً جامعةً ، ولكنّ نزعتَها الغالبة أدبيَّة ، وقد أخذ يعدّ لَها عدّتها الفنيَّة، فأخذ مني قصيداً عنوانه : « أغاني التائه » ، وأخذ من كثير من الأصدقاء كتابات ومقالات كثيرة وبعض قصائد .

ومِمَّا سينشر بها قطع من الأدب الغربي تكفّل بترجمتها أديب شابّ تونسي لا أعرفه ، وقد عقد اتفاقاً مع السَّيد زين العابدين السنوسي على أنّه يشرع في طبعها بمجرّد إنهائه طبع « الخيال الشعري » هذا من الوجهة الفنيَّة .

أمّا من الوجهة الماديَّة فقد تكفّل بها شاب تونسي كثيراً ما حرّر في الجرائد الإفرنسية وبالأخصّ جريدة اللواء التونسي «الليتندار» نسيت اسمه الآن ولئن حرمت مجلّة الصادرات والواردات من آثارك الفنيَّة فإنّني أودّ أن لا تحرم هاته النشرة التي إخال أنّها ستكون قيمة من آثارك .

أرجو أن توجّه لي بكتابة أو قصيد وأظنّها تصلني إلى بلد الجريد لأوجّهها إلى هذا الصديق ، ولك الشكر والسَّلام ، أخوكم المخلص .

أبو القاسم الشابي

الرسالة الرابعة

تونس في ربيع الأول سنة 1348[1]

أخي الأعزّ :

تحيَّات قلب ملؤه الإخلاص والودّ وعواطف صديق تعرف مقدار ولائه وتقدر ودّه حقّ قدره وبعد :

فمنذ أن كاتبتك بتلك الرسالة الوهى التي حاولتُ أن أصفَ لك فيها لوناً من ألوان حياتي التي أحياها في محيط تموجُ به الأحزانُ وتزخرُ ، لم أتصل بكلمة منكم حتّى اليوم رغم تشوّقي إلى كلماتك وتحناني إلى نغماتك .

---

(1) آب 1929 .

لا أريد اليوم أن أُثقلَ كاهلَك بأوجاعٍ أنهكت قواي ، وضعضعت كياني الطليح[1]، وإنّما حسبي أن أقولَ إنَّ الوالـد لَـم يـزل طريـحَ الفـراشِ ، وأنَّ الطبيـب الاستعماري بتوزر يزوره يوميًّا . نسأل اللّـه أن يعجّل بشفائه .

لقد أعلمني الأخ مصطفى خريف أنَّ الكتابَ قد أُنجزت أعمالُـه ، وأنَّـه قـدّمَ نسختين إلى المحافظة لتأذَنَ له في ترويجه ، ولكنَّها ما زالت تسوّفه[2] ، وتضـرب له الوعود الكاذبة إثر الوعود . ولا أدري ما الذي تعني بذلك وأنَّ غـداً لنـاظره قريب .

ثم وجّه لي الأخ زين العابدين السنوسي نسخة من الكتاب إشعاراً بإنهائه ، وقد أعلمني الأخ مصطفى خريف بأنّه بذل كلّ الجهد هو والأخ زين العابدين في اقتنـاء الورق اللمّاع حتّى يطبع عليه رسمي ، ولكـن أبى القـدر ذلـك ، فـإنّهم بعـد كـلّ مجهود لَم يمكنهم أن يطبعوا على ذلك إلاّ ثلاثمائـة صـورة ، وأمّـا البقيّـة مـن نسـخ الكتاب فقد اضطرّوا إلى طبعها على الورق الذي طبع منه الكتاب والأمر للّـه مـن قبلُ ومن بعدُ .

بما أنّي بعيد بتوزر فإنّني سأكلّفُ مصطفى خريف بـأنّ يوجّـه إليكـم بمجـرّد مـا يتسلّم الإذن من المحافظة بذلك 28 نسخة من كتاب « الخيال الشعري عند العرب» نسخة هدية إليكم ، هدية ودّ وإخاء وصداقة والبقية 15 نسخة للذين أشـركتموهم وأنتم ببني خلاد على مقتضى الجذر الذي سلّمتموه إلي والـ 12 الباقية للسادة الذيـن أعلمتني في كتابكم الكريم بأنّهم اشتركوا في الكتاب بالقيروان .

وفي الختام تقبّلْ تحياتِ المخلص ، أخيك على الدوام .

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

حاشية :

بما أن النّسخ سيتولّى توجيهها إليكـم الأخ مصطفـى خريـف فسـتصلكم سبعٌ وعشرون نسخة من طرفه ، وأمّا نسخة الهدية فسأوجّهها إليكـم مـن تـوزر إذ مـن الواجب أن أكتبَ كلمة الإهداء بيميني .

---

(1) الطليح : المهزول والمجهود .

(2) تسوّفه : تماطله .

الرسالة الخامسة

زغوان في ربيع الثاني سنة 1348[1]

أخي الماجد النبيل :

ألف تحيَّة وشكران وبعد :

فماذا أكتب إليك ؟ وأنا في ساحة تعصف بها الهموم وتنعقد من فوقها الأحزان، وتخرّ عليها أمواج الدموع إن استمعت إلى نفسي لَم أُلفِ إلاّ الأسى يبكي أو اصخت إلى قلبي لَم أسمع إلاّ النحيب ، أو قلبت طرفي فيما حولي لَم أبصر إلاّ ظلمات تتدجَّى من فوقها ظلمات .

إنَّ المصاب قويّ جسيم ، وإنَّ قلبيَ الرازح بهمومِ البشر لأضعفُ من أن يضطلع بكلّ ما في هذه الدُّنيا من مصائب . أين صبرك يا ربّ ؟ فقد ضاق عليَّ الوجود وأين سلواك فقد مزَّقتْ صدريَ الزفرات . عفواً يا صاحبي ، فإنّني لا أستطيع أن أكتب إليك أكثر ممّا كتبت .

ودم لأخيك المحزون

بلقاسم بن المنعم المرحوم محمد بن بلقاسم الشابي

الرسالة السادسة

تونس في 13 رجب سنة 1348[2]

أخي الفاضل :

قد انتظرتُ كتابك المطول ولكن عبثاً كانت تمضي الساعات ثم الأيَّام ، ثم الأسابيع ، وأخشى أن تلحقَ بها الشهورُ .

وبعد : فماذا أخبرُك به من أنباء العاصمة ؟ إنّي ليستخفّني الفرحُ حين أعلمك أن العنايةَ السماوية قد جادتْ علينا بمجلّة أدبيَّة ستصرف همّها إلى الأدب وإلى

---

(1) أيلول 1929 .

(2) 15 كانون الأول 1929 .

القيام بواجبه في هاته الديار ، وإنّي أعلم أنّك ستقول : كلاّ ، بل هـذا وهـمٌ بـاطلٌ وسرابٌ كذوبٌ ، فكثيراً ما سمعنـا مثـلَ هاتـه الأنبـاءِ الجميلـةِ المسـتحبّة فاسـتخفّتنا ولكن ما لعبت بألبابنا خيالاتُها حتى تكشّفت عن سـراب ، فـإذا الكـلّ بـاطلٌ ... وإذا الكلّ قبضة من ضباب ...

أعلمْ أنّك ستقول هذا وأكثر منه ، ولكن ليطمئـنّ بـالُك ولتعتقـد أنّ هـذا الأملَ المنشودَ قد أصبح حقيقة ماثلة ما بين عشيَّة وضحاها ، فقد أحـرز الأخ زين العابدين على تلك المنية التي طالما صبا إليهـا ، وهـي إصـدار مجلـة أدبيـة علمية .

أجل أحرز على مجلة اختار لها اسم «العالـم» وقد أخذ في طبع هاته المجلـة وفي إعداد العدّة الأدبيّة إليها حتى تكـون جـاهزة كاملـة آخـر هـذا الشـهر الإفرنجـي وحتى تحيي النّاس في رأس هاته السنة وقد أخذ منّي قطعة شـعرية لنشـرها ضمـن مجلّته .

ولا تظنّن أنّ تلك أباطيل ، فإنّ كثيراً من المقالاتِ الأدبيّةِ قد قدّمـت للطبـع بمحضـر منّـي ، بـل إنّ بعضهـا قـد كنـت حـاضراً لتصحيـح مسـوّدته المطبعيـة «بروفة» .

ولذا فالرجاء أيُّهـا الأخ أن تبعـث إليَّ في أقـربِ وقـتٍ ممكـنٍ بنفثـةٍ مـن نفثـات يراعِك ، أو بحثٍ من أبحاثك القيّمةِ الممتعةِ حتى يمكـنَ نشـرُها في العـدد الأول مـن أعداد المجلّةِ ، لأنّني لا يروق لي أن يؤخرَ مقالك شهراً آخر لأنّ المجلّة شهريَّةَ في هذا الأوان على الأقلّ .

لا أزيدك تأكيداً في المبادرة بتوجيه بعض أبحاثك الأدبيّة إليّ على جناح العجل ، فإنّني ليلذّ لي أن تطلعَ الأمّـة التونسـية علـى ثمـرات أبنائهـا الشـبان المخلصـين ويلـذّ بالأخصّ أن يكون العدد الأول حافلاً جمّ الخصوبة والإنتاج حتـى يكـون شـجاً في حناجر أحلاس الجمود وطعنة في أكبادهم ، وغلة لا ينطفئ لها لهب في عباد المـوت وأمساخ القديم . وفي الختام تقبل تحية أخيك المخلص .

أبو القاسم الشابي

إنّني أنتظر فأسرع بالجواب !

رسائل الحليوي

بني خلاد في 21 فيفري 1930[1]

أخي وصديقي العزيز :

يصلك طيّ هذا نبذة مِمّا كتبته عن تولستوي وقد دفعني للكتابة عنه ما رأيت من تنديد صاحب الكلمة المنشورة في المجلّة تحت عنوان « تونس وتولستوي » بتقاعسنا وعدم اهتمامنا برجال الفكر العالميين .

وإنّي لأستحي أن أكون سبباً في تجشيمك[2] متاعب لأجلي ، فإن كان في إرسال ما أكتب لك تكليف لك وشاغل يشغلك عن أعمالك فسأعدل عنه ، وإن كان الأمر خلاف ذلك فإنّي أكون مسروراً جدّ السرور ، متشرّفاً كلّ الشّرف أن تكون صلتي مع المجلّة بواسطتك وأكون مرتاح البال من هاته الناحية .

طالعت مرات ما كتبت عن الشعر فكان عندي أحسن ما في المجلّة ، ولا شك أنّك ستتولّى زعامة التجديد الأدبيّ في تونس ، ونكون نحن تحت لوائك . وإنّي لأستحدثك على الكتابة في ذلك المعنى ولواحقه تحت عنوان خاص . وكم أودّ أنا أيضاً أن أكتب تحت عنوان خاص كما كنّا تحدّثنا عن ذلك في العام .

سلامي إلى كل الرفاق وإلى أخيك الصغير وعليك السّلام والتحيات من أخيك المخلص على الدوام .

الرسالة السابعة

تونس في شوال سنة 1348[3]

أخي الفاضل :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فإنّني أهنّيك بعيد الفطر المبارك ، وأسأل اللّه لك أن يسبغَ عليك مسرّاتهِ ، ويفضي

---

(1) 21 شباط 1930 م .

(2) تجشيمك : تكلّفك المشقة .

(3) آذار 1930 .

عليك بركاته ، ويريك من نعمه ألواناً ، وأن يرزقكَ عمراً سعيداً خصيباً منتجاً ، ينتعشُ به الأدب في هذا البلد القاحل الممحلِ الجديبِ ، ويهبّ هبته التي تزعزع الجذوع النخرة ، وتقتلع الصخور الجاثمة في وضح الطَّريق .

سألتني أيُّها الأخُ هل في توجيه رسائلك الممتعة الراقية إلى «العالم» بواسطتي تعبٌ يلحقني أو وصبٌ[1] ينجر إليَّ ؟ وماذا عساي أن أجيبك إن كان تساؤلك حقًّا ؟ بل ماذا عساي أن أقول إن كنتَ جادًّا في استفسارك ؟ يعلمُ اللّه يا صديقي أن لا حرجَ عليَّ في ذلك ولا نصب ، وإنّ ما ظننت أنّه يكلّفني نصباً إنّما هو مبعث مسرّةٍ لنفسي ، وإيقاظٌ لعواطفي التي أركدتها عقول النّاس الخامدة ، وكلماتهم الباردة التي لا تنبّه فكرة ولا تحرّك وجداناً .

ألا يسرّني يا صديقي أن أكونَ أنا أول من يطلع على ما تخطّه يمناك وتقطر بسحره يراعتك الحية اليقظى ؟

ولا أنسى أن أطلب عفوك ، فإنّني ما تأخرت عن مراسلتك لحدّ الآن ، إلاّ لأنّني ـ علم اللّه ـ في شغل شاغل ، وعمل متواصل ، ونصب كامل لا راحة فيه ولا روح ، وإنّما هو كرة أثر أخرى ، ومجهود وراء مجهود ، ونفس صاعد كأنّما يصعد في السَّماء ، وملل أليم سميك الحجب ليس له ما يهلهل حواشيه ، أو يلقي على ظلمته قبساً من نور أو شعلة وميض .

لقد أعجبتُ وأعجبَ النّاسخ برسالتك الأولى في «العالم» إذ إنّها أحاطت بما عرضت له إحاطة لَم نعثر على مثلها فيما رأيت ، ولا عثر النّاس .

وليس لي من نقد عليها إلاّ أنّك وعدت بمتابعة النقد ، ثم كففتَ وعسى أن يكون ذلك غمامةً عارضةً لا تلبث أن تنقشع ، ولا إخالك إلاّ لا زلت جاهلاً نفسي يا صديقي ، ولولا ذلك لَما اعتذرت لي تلك الأعذار عن انتقادك كأنّك به إنّما تقدم على عمل منكر .

لا أظنّ الصداقة تقف إلى هذا الحدّ في التعرّض لحركات العقول ، لأنَّ الصداقة إنّما هي ضربٌ من حرية الروح ، ويقظة الفكر ، وانتباه العواطف ، فإن كانت تشلّ من حركة العقل ، وتصفد من أعضاد القرائح والعقول فلا كانت هذه

---

(1) الوصب : التعب .

الصداقة ، ولا كان قلب يحبوها[1] شيئاً من حنوه وحنانه ، لتنقدني يا صاحبي ما دمت ترى الحقّ في جانبك ، ولانتقدك ما دمت أعتقد أنّني أتكلّم بوحي الحقيقة المقدّس دون أن يكون في ذلك ما يمسّ عاطفة أو يجرح ودًّا ، أو يؤذي وجداناً .

ذلك مذهبي أصارحك به يا صديقي وبودّي أن تعلمه حقّ العلم ، وتدريه حقّ الدراية فإنّك إن علمته علمت ناحية من نفسي كانت لديك مجهولة ، وأنا أودّ أن أكون لمن أودّه وأصافيه واضح الجوانب لا تغشيه سحبٌ ، ولا تحجبه ظلمات ....

أمّا رسالتك الثانية فليس لديّ متّسعٌ من الوقت لأجيبك عنها ، وحسبي أن أقولَ لك : إنّها ستبرز في هذا العدد من « العالم الأدبي » فقد أصبح هكذا اسم المجلة، وأن أعلمك أنّني بها جدّ معجب فللّه هي !

تقبّل التحية من أخيك على الدوام

أبي القاسم الشابي

الرسالة الثامنة

تونس في 20 شوال ومارس سنة 1930/1348[2]

الأديب الكبير أخي الفاضل الأستاذ محمد الحليوي :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فإنّني في شوق إلى أخبارك وأحاديثك ونفثات قلمك وآيات بيانك . فقد وعدت أنّك ستقدم الحاضرة ثم تصرّم الأسبوع تلو الأسبوع والشهر إثر الشهر ، ولَم تأتِ ولا جاءنا من ناحيتك نبأ ، وقد وعدت أنّك ستكتب وتكتب ... عن كتابي وعن تولستوي ، وعن أدب الفرنجة وأنّك ستترجم قطعاً فلسفية وآيات شعرية ... وغيرها ولكنّك لَم تنفّذ من كلّ وعودك شيئاً .

ما هذا أيُّها الصديق ؟ إن تونس لفي حاجة إلى أبنائها الذين تتدفّق في دمائهم عزمات الفتوة ونخوة الشباب ونشوة الأحلام ... إنّ تونس لفي حاجة إلى أن تتقدّم

---

(1) يحبوها : يمنحها .

(2) 21 آذار 1930 م .

بخطوات ثابتة إلى سبل النور والزهور ... إنَّ تونس لفي حاجة إلى أن ترفعَ رأسها عالياً حتَّى تشاهد أنوارَ السَّماءِ وشموسه ، وحتى تقبّل شفتيها أضواء النجوم ... ولئن كانت تونس فقيرة إلى هذا الضرب من أبنائها ، هذا الضرب الذي يحنّ إلى أن يعيش عيشة كلّها حقّ ولذّة وجمال ، وكلّها إحساس وشعور وعواطف .

أقول إن كانت تونس فقيرة إلى مثل هذا النوع من أبنائها ليجب على هذا النفر القليل منهم أن يبذلوا كلّ ما في جهدهم من عزم وقوّة وحمية وشباب ، حتى يستطيعوا أن يكونوا نشئاً حيًّا مخلصاً شاعراً بواجبه لأمته وللحياة وللوجود بأسرهِ ، وأن يخلقوا في الواقع ذلك الوسط الحي الجميل الذي نتصوّره في أحلامنا ، ثم نلتفت حوالينا فلا نلمح له أثراً .

وإذن فلتكتبْ ولتعملْ ولتطردْ عنك خواطر الراحة والسكون ، فإنَّ شعبك في حاجة إليك ، وليس لك شيء من العذر في أن تسكن ، ولا تعمل فإنَّني لأجدر منك بالعذر ، وأنا بين دروس قانونية متوافرة تكدّ الذهن ، وتقتل الوجدان ، ومطالعات في القانون أكثر تغثية للنفس وإركاداً للعاطفة وإخماداً للتفكير من أي شيء في هذه الدُّنيا ...

إنَّني أنتظر رسالتك الأدبية والودّية بفارغ صبر ، فإنَّها هي التي تزيل عنّي بعض هاته الوحشة التي أجدها في كتب القانون ، وبعض هذا التجهّم والعبوس اللذين ألفيهما في مطالعته .

كنت حدّثتك أنّ مقالك سيدرج في هذا العدد من « العالم الأدبي » وذلك ما نبّأني به الأخ زين العابدين أول الأمر ، ولكن ضاق نطاق العدد عنه وسينشر في العدد المقبل آخر هذا الشهر ، واليومَ أرانيه الأخ زين العابدين مطبوعاً ولكن هذا لا يدعوك إلى أن تؤجّل الكتابة إلى الشهر المقبل ، فإنَّ هذا هو الذي لا أرضاه .

ماذا أحدّثك عن العالم أولاً ، والعالم الأدبي ثانياً ، لقد أحدثت من الرّجة في الخارج ما أحدثت ، وغيّرت نظرة الشرقيين إلى تونس تغييراً ما كانوا يتوقّعونه ، وأصبحوا ينظرون إليها نظرة لَم تكن من قبل .

لقد كتبتْ عنها كثير من الجرائد والمجلاّت الشرقيَّة ، ولا يسعني أن أستوعب لك حديثها كلّها ، ولكنّني أقول لك أنَّ «المقتطف» قد قالت ما مضمونه إنَّ من

العار علينا أن تكونَ في تونس مثل هاته النهضة وهذا الشباب وهاته الحركة الفكريّة، ثم لا نعلم بها ولا نتحدّث عنها ، فإنّنا ما كنّا نحسب في تونس مثل هاته اليقظة الفكرية التي رأيناها في العالم التونسي والذي أرانا أنَّ الشعب التونسي شعب يحسّ بالحياة حقًّا .

أرأيت أيُّها الصديق كيف كانوا يتصوّرون تونس قبل الآن ؟ لا أخالهم كانوا يحسبونها إلاّ كالسودانِ وأعماق أفريقيا الجنوبية .

وكتب شاب سوري إلى الأخ زين العابدين كتاباً قيِّماً مستفيضاً يستوعبُ ثلاث صفحاتٍ من الحجم الكبير يعجب «بالعالم» التونسي وبمحرّريه وبالأخصّ «الأستاذ الحليوي » الذي استوعب مذاهب الأدب الفرنسي بطريقة لَم يسبق إليها، و « الأستاذ الشابي » الذي أبان عن فكرة قيّمة دقيقة في فهم الشعر والنّظر إليه ـ كما يقول الكاتب ـ .

ومصطفى أفندي خريف الذي شابه كثيراً بشعره البائس الحزين شاعر الأسى وأمير البؤساء الأستاذ أنور العطار شاعر دمشق وقصيدة السيد كرباكة التي تناول فيها غضبة شاعر العراق الرصافي ، وقد أمضى هذا الكاتب رسالته بـ « فتى العرب» وهو اسم طالَما رأيته في بعض الصحافة الشرقية .

كما جاء إلى الأخ زين العابدين أيضاً كتاب آخر من مصر يعجب بهاته النهضة الفكرية في تونس ويبتهج بها ويتمنّى لها قوّة وشباباً .

وحتّى رجعيّو مصر ، فقد بلغهم نَبأها وتخوَّفوه ، فقد بعث الشَّيخ الخضر حسين التونسي إلى الأخ زين العابدين يعجب بمشروعه وعمله ، ولكنّه يتراءى بين سطور الشّكر أنّه يوجس خيفة[1] ، فقد قال له فيما قال : لقد خرجت المجلة بخطة جديدة ما كنّا ننتظرها من تونس فقد عرفنا تونس ، بلداً هادئاً أميناً مسالِماً بعيداً عن كل الحركات الثورية والخطط الطافرة ... إلخ .

وبعد فإنّي أُحيّيك الآن وإلى اللقاء .....

أخوك المخلص

أبو القاسم الشابي

---

(1) أوجس خيفة : أصابه الخوف .

الرسالة التاسعة

تونس في 15 جوان 1930[1]

أخي الفاضل الأعز :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فإنّي سأبدأ بنقدك قبل أن أبدأ بتهنئتك ، ولتعذرني على ذلك فإنَّ للمودّة سورة وثورة قد يحركها أخفّ البواعث .

أنت تعلم أنّني أكّدت عليك العهود على أن نلتقي قبل سفرك ووثقت وأكّدت. وتعهدت بذلك وافترقنا عليه ولكنّك أخلفت وعدك ونقضت عهدك وما كنت أظنّك مخلافاً ، ولا أعهد فيك هاته الخلّة .

ستقول ، إنَّ لك أعذاراً ومنادح ، ولكنّني لا أريد أن أسمع هاته المعاذير ، ولا أن أقيم لها وزناً . وحسبي أنّك أخلفت والسلام ، وحسبك هذا من لوم الصديق .

وقد علمت عشية أمس أنّك كنت من الفائزين في امتحانك ، فاغتبطت وإن كنت تنبّأت بذلك من قبل ، لا لأنّك صديق يسرّني إدخال السّرور على قلبه فقط ولكن لأنّ تلك الشهادة مرحلة أولى من مراحل حياتك الأدبية المنتجة .

فهي ستدعوك إلى أن تدأب على دراسة اللغة الفرنسية واستخراج كنوزها ، ونشر آياتها الرائعة بين أبناء شعبك الضائعين ، وهي ستكون دافعاً يدفعك إلى الاستزادة من مناهل الفن السامي الذي تطمح إليه نفسك المنتجة ، ومعيناً على تكوين ثقافتك كما تبتغي أن تكون .

فاهنأ يا صديقي بهاته الشهادة وإن كانت دون مداركك ومواهبك وأضيق من أن تسع نفسك الكبيرة .

اليوم صباحاً جاءني الأخ زين العابدين السنوسي وناولني مجلّة « العالم الأدبي » التي خرجت أمس ، فإذا بها قد انتقلت لطور آخر في جمال المظهر وحلاوة الشّكل وأنّني لأتعشم لها مستقبلاً زاهراً لخير هاته البلاد المسكينة .

وقد سألني عن عنوانك ليكاتبك إليه ، ويطارحك شكره وإعجابه بقوّة نفسك

---

(1) 15 أيار 1930 م .

ورزانة تفكيرك وعمق بحثك وتحليلك .

والسلام عليكم من أخيك المشتاق إليك المعجب بك .

أبي القاسم الشابي

الرسالة العاشرة

تونس في جمادي الأولى سنة 1349[1]

أخي الفاضل وصديقي الأعز :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد اشتدّ الضعف على قلبي في هاته المدة الأخيرة بما أوجب معه الطبيب على حرماني من كلّ الأعمال الفكريَّة لا فرق بين مطالعة أو تحضير أو كتابة ، وقد لبثت على ذلك نحو أربعة عشر يوماً كاملة ، وذلك ما حدا بي إلى أن لا أكاتبك كل هاته المدة .

أمّا الآن وقد أوجب الطبيب عَلَيَّ السَفر ، وقد أزمعته[2] غداً : الخميس ، فإنّني أراني مضطراً إلى مكاتبتك رغم كل شيء .

لا تألم يا صديقي لأخيك فإنَّ قلبي هو منبع آلامي في هذا العالم . ومن يدري ؟ لعله سيكون منبعاً لمثل هاته الآلام في عالم آخر ... إنَّ قلبي يا صديقي هو مصدر آلام هاته النَّفس التائهة المعذّبة وهذا الجسد المعنّى المنهوك .

وما دمت أحمل بين جنبي مثل هذا القلب الكسير ، وما دامت هاته الحياة تهدّ منه ولا ترحم ، فإنّني أشقى أبنائها . هاته حقيقة قد أيقنت من صحتها وآمنت بها يا صديقي فلا تحاول أن تصدّني عنها .

والآن دعنا من حديث الآلام ، فإنَّ نواميس الوجود فراغ لمثل هاته السخافات.. ماذا أقول لك ؟ ... إنَّ الضجَّة في تونس قائمة حول كتاب صديقنا الطاهر الحداد «امرأتنا في الشريعة والمجتمع » ، ويقال إنَّ النَّظارة تفكّر في القيام عليه وطلب حجزه

---

(1) تشرين الأول 1930 .

(2) أزمعته : عزمت عليه .

كما فعلت مشيخة الأزهر في مصر بطه حسين وكتابه بمعنى أنّه قدّر علينا أن نكون مقلدين لمصر في كلّ شيء هذا ما يشاع ، وإن كنت لا أؤمن بصحّة هاته الإشاعة .

ويوم الجمعة ستقام للصديق مؤلّف الكتاب حفلة تكريمية كبرى بكازينو بليفدير، وستلقى فيها الخطب والقصائد ، وسينشر الحديث عن هاته الحفلة وكلّ ما قيل فيها في عدد ممتاز ، من الصواب لا بدّ أنّه سيبلغ إليك نبأه وقد ابتهجت بهاته الحفلة ، لأنّها تدلّ على أن تكريم التونسي للتونسي قد بدأ قبوله في النفوس ، ولكنّني آسف لأنّني لا أحضر هاته الحفلة ، ولا أقول فيها كلمة بأمر من الطبيب الذي هو ككلمات القدر في نظر النفوس الواهنة المرضوضة .

لا أستطيع أن أزيدك في الحديث وإن كان المجال رحباً ، ونفسي تدعوني لذلك لأنّ هذا أول كتاب كتبته رغم أوامر الطبيب ، وأخشى أن ينجم عن الإطالة ومتابعة هوى النفس ضرر محقّق ، وإنّما الذي أرجوك أن لا تنسى صديقك في منفاه القصي ، فإنّه هناك أحوج النّاس إلى رسائلك التي تجلو عن نفسه ما يعلوها من صدأ الخمول خصوصاً في مثل بلاد الجريد . والسلام عليك .

من المخلص

أبي القاسم الشابي

حاشية :

بلغتني دعوتك إلى المقام جوارك ، وهي سعادة لا أستطيع الآن تحقيقها ، ولعلّي أستطيع ذلك فيما بعد والسلام عليك من أخيك .

أردت أو أوجّه إليك رسمي ، ولكنّني لَم أجد ظرفاً يسعه ، ولذا فإنّني سأتركه لك عند الأخ مصطفى خريف ، وعند قدومك إلى الحاضرة تلفيه عنده والسلام عليك .

الرسالة الحادية عشرة

توزر الجريد في 15 جمادي الثانية سنة 1350[1]

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي محمد الحليوي :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

---

(1) 28 تشرين الأول 1931 .

فقد ضمّني مجلس وحضرة الأخ محمد البشروش منذ أيّام تجاذبنا فيه ذكرك وأدبك ، فقلت له إنّني لئن كاتبت الأخ الحليوي لأكاتبنه بصاعقة ... وكنت جادًّا في حديثي وكان صاحبي يبتسم .

وها قد مرّت أيّام وأيّام ، وتعاقبت بسمات وآلام ، وما زالت ذكرى ذلك المجلس، وذاك الحديث ترفّ في جوانب قلبي بأجنحة من لهيب مورّد كالشفق المخضوب ، ثم ها أنا أكتب إليك فإذا الصاعقة .. ماذا أقول ؟ ... إذا الصاعقةُ صباحٌ صاح تتندى نسائمه وتتهادى غمائمه وليل مقمر يرفرف حواليه السّحر ويغرد « الطائر المستمر » وإذا بي أهتف بك من وراء الأفق كأنّني أناجيك .

اذكرونا مثل ذكرانا لَكُم ربّ ذكرَى قرّبت مَن نزحا

وهكذا تنقلب النقمة رحمة ، وينقلب اللهيب أنامل من سحر كأزهار الرَّبيع .

هذا ما استطعت أن أكتبه إليك الآن . وهذا كل ما أملته عَلَيَّ الصداقة العذبة من أساليب العتب والملام ، أما أنت فلست أدري ماذا أنت فاعل من بعد ؟ هل توقظ قلبك هاته النجوى الضارعة ، وهذا الهتاف الرَّقيق ؟ أم أنّه سيظلّ مخلداً إلى صمته وأحلامه ؟ قل علمه عند ربِّي .

ما لك يا صاحبي قد اعتصمت بالصَّمت في هاته السّنة وانصرفت إلى السكوت فلم نسمع لأدبك صوتاً إلاّ تلك الكلمة التي قلتها على « ذكرى جبران » ؟

هل أنّك هجرت الأدب ، لا قدّر اللّه ؟ أم أنّك تنشئ في صمت وتخلق في سكون ، كما تبدع هاته الطبيعة الصنّاع جمال الزهرة تحت أطباق الثرى ؟

أين يا صاحبي « المرأة في الأدب العربي » و « الشعر في تونس » وغير هذين من تلك الأبحاث القيمة التي وعدتني الكتابة عنها في بعض سمرنا بالحاضرة .

إنّي أنتظر جوابك لتحيي في هاته النّفس الموات معاني الأدب وأصداءه . وسلام عليك من أخيك .

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

حاشية :

كاتبني طويلاً وتحدّث إليَّ كثيراً إنّني أرجوك ، وإن شئت فاتّخذ موضوعاً أدبيًّا

صالِحاً للحوار نتجاذب فيه أطراف الحديث وفنون الجدل حتّى تظل الصداقة حيَّة ويظل غذاؤها روحيًّا جميلاً .

رسائل الحليوي

بني خلاد في 4 نوفمبر 1931

أخي الفاضل :

أتاني كتابك فما ذكّر منّي ناسياً ولا نبّه غافلاً ولا وصل مبتوراً .

إنّ ذكرك يا أخي يصاحبني ويماسيني ، ويباكرني ويغاديني ، وإنَّ صورتك التي فوق مكتبي لتعنّفني كلّ يوم على سكوتي ، وتذكّرني تلك السّاعات السعيدة التي قضيناها معاً حين كان الشمل جميعاً والدار واصلة ، والمودّة متبادلة .

ثم نزحت إلى بلدك الجريد ، وعزّ عليك أن تفارق الحاضرة دون أن تودّعني بكلمة ، وتبعث لي بصورتك . فماذا كان منّي بعد هذا النزوح الذي اضطرّك إلى مغادرة العاصمة ومجالسها والأوساط الأدبية ونشاطها إلى حيث الصحراء وأحلامها والواحات وجمالها ، والقمر المؤتلق في كبد السماء أو المطلّ من خلال عراجين[1] النخيل ؟

اللّهُمّ لا شيء .

ثم بلغني من بعض الأصدقاء أنّك تزوجت ، وكان عَلَيَّ أن أهنّئ وأبارك أو ألومك على إتيان هاته الحماقة ، ولكنّي لَم أفعل شيئاً من ذلك .

ثم جاء العيد فماذا كان منّي في هاته المناسبة التي تؤكد فيها أواصر الصداقة وتمتّن عرى الوداد ، وتتبادل الدعوات والتمنيّات .

اللّهُمّ لا شيء .

أمّا واللّه لو أرسلت صاعقتك على رأسي لكنت بها جديراً ، ولشفيت نفسي المعذبة الشّاعرة بذنوبها نحوك ولكن .... إذا كنت قد أصبت بالخرس والشلل فهل تراني كنت غافلاً عن ذكرك .

لا سكّن اللّه قلباً عنّ ذكركم ... فلم يطر بجناح الشّوق خفّاقا .

---

(1) العراجين : جمع العرجون ، وهو عنقود النخيل .

ذكرك واللّـه عالق بالروح ممتزج مع الدم .

أذكرك حيثما كنت وأينما سرت أذكـرك إذا سئمت نـوادِي الغثاثة

الرسالة الثانية عشرة

توزر الجريد في 4 ذي الحجة سنة 1350[1]

أخي تحيَّة وسلاماً :

وماذا بعد هذا ؟ بعده إنَّني الآن في عزلة محبّبة إلى نفسي في الصحـراء ، أو تحـت ظلال النَّخيل ، وليس معنى هذا أنَّني هجرتُ المدينة ، وفررتُ بنفسـي إلى أحضـان الطبيعة التي أجد فيها من معاني الجمال والعطف والحنان ما لا أجد في قلوب البشر الذين مللتهم ، ومللـت أحلامهـم الصغيرة ، وأحـاديثهم السـخيفة ، وضحكـاتهم التافهة ، وإن كانت مخضوبة بالدموع لا ، فأنت تعلم أنَّني مكبّل بقيود من لحم ودم تجبرني على خوض هاته الحياة البغيضة المستثقلة ، وتحرمني من تلـك اللـذة الوحيـدة التي تحنّ لها أشواقي حنيناً صادقاً في هذا العالم .

وأنا ما زلت بتوزر وما برحت قريتي الصغيرة «الشابية» ، وإنَّما أعني بعزلتي أنَّني أصبحت بعيداً عن النَّاس ابتعاداً . وربّما يمرّ عليّ اليوم والثلاثـة والأربعـة لا أخـالط من هؤلاء النَّاس أحداً ، إلاَّ أهل بيتي في اللَّيل أو في أوقات الطَّعام .

ولَم أطالع أثناء هاته العزلة من الصحف غير ما يرد عَليَّ خاصـة منهـا ، ولذلـك فقد لبثت حيناً لَم أطالع قصيدتك ، بل لَم أسمـع بهـا . وكيـف لي بذلـك والنَّخيـل والصحراء لا يَتحدّثان بأخبار الصحف .

ثم اجتمعت منذ يومين ببعض النَّاس ... ومالي لا أقول المثقفين ، ولكن بما تحتمل هاته البلدة من معاني الثقافة . فحدثني عن القصائد والخطب والأخبار التي تنشـرها النهضة ، وبلهجة معجبة حدّثني عن قصيدة «الحليـوي» وقـال : حقًّـا إنَّهـا لَحُلْـوة كاسمهِ ، وإنِّي لا أزال كلّ مساء حينما أفـرغ مـن مشـاغلي أنفـرد بهـا ورفيـق لي، ونأخذ في تلاوتها بترتيل وإنشاد .

هكذا حدّثني هذا الرجل فابتسمت ، ولـجّ بي الشوق إليها ومن الغد ذهبت إلى

---

(1) 10 نيسان 1932 .

السّوق وبحثت عن ذلك العدد الذي نشرت به ، ومن حسن الحظ أنّني وجدته عند بائع الصحف ، فطالعتها وطالعت معها قصائد أخرى إلاّ قصيدة الأخ خريف ، فإنّي لَم أجدها .

وإنّني أصارحك ، أنّني أعجبت بها ، وألفيتها الوحيدة التي تخفق فيها روح بشرية تلح بها الآمال والذكريات والحسرات روح تحس وتتدبر ولا تنسى ، وهي شاعرة أن تناقش الحساب وتنقد نقداً أليماً .

وقد صادف أنّني التقيت إذ ذاك بالأخ عبد الخالق وقضينا مع بعضنا ساعات جميلة فكان مِمّا قال لي : ما كنت أحسب الأخ الحليوي يجيد الشعر ، ولكن هاته القصيدة كشفت له عن ناحية من نفسه كانت محجبة .

وسألته عنك سألته كثيراً ، فكان مِمّا قاله لي عنك : إنّك ناقم ساخط على «العالم الأدبي » ، وأنا أشاركك أيضاً في السخط عليه . فقلت له : وهذا هذا هو السبب في انقطاعه عن الكتابة ؟ فقال : إنّني أخشى ... فقلت ماذا ؟ قل ... قال : إنّني وجدت في الأخ فتوراً عن الأدب والحديث وأحسست كأنّه عازم على هجرانه .

وأخشى أن يكون حبّ «المادة» قد حلّ من قلب صديقنا محلّ النزعة الأدبية ، فشعرت كأنّما طعنت بسهم من نار ، وقلت : ماذا ؟ أينتحر ؟ لا إنّ هذا لمستحيل، قال وهو يغالب المرارة التي فاض بها قلبه : نعم نعم ، إنّه ينتحر ... قُلْها ولا تخفْ، ولا أزيدك فقد طغت آلامي ، وشعرت باليأس يتمشّى في قلبي ليلتهم ما بقي فيه من زهرات الأمل القليلة .

وقلت : إنّ تونس ملعونة ولن ينهض الأدب الحيّ فيها بعد اليوم ، أكذا قضى القدر العاتب الغشوم أن لا ترفع تونس رأسها يوماً من حضيض الموت ، أَقُدِّرَ لهاته الجيف المنتنة أن تتكلّم وحدها في هذا الفضاء الجميل ، إنّ هذا لا يطاق .

كذلك قلت لنفسي وكذلك قلت لذلك الصديق . ولكن أنت ماذا عساني أقول لك ؟ أناشدك اللّه يا صاحبي أن لا تفعل ، لا تنتحر ، لا تهجر الأدب التونسي المريض الذي يحتاج إلى أذرعة كذراعك تسنده في سبيل الحياة الوعر ...

ولئن فعلت بعد هذا النداء ، بل هاته الضراعة لأبتّنّ حبل الصداقة التي بيننا ،

ولو تمزّق قلبي ، ولا تذكر بعد اليوم أنّ لك صديقاً نفته صروف الحياة إلى حدود الصحراء ، أجل يا صديقي يجب حينئذ أن ندفن تلك الصداقة في قبر عميق ولا نشيّعها حتى بدمعة أو قصيد .

ومالي أكتمك الحقيقة ؟ إنَّ لي معارف كثيرين ولكن خلصائي من بينهم أقل من القليل ولكنني أعطف على هؤلاء الخلصاء ولا أحترم منهم غيرك ، هذه حقيقة يجب أن أقولها ويجب أن تعلمها أنت أيضاً .

أحترمك لأنّني أجد في أدبك روحاً وقوّة لا أجدها عند سواك ، وهاته الروح والقوّة هي التي أعلّق عليها آمالاً ضخاماً .

لا تخجل يا صديقي فإنّني لا أداجي وإنّما أصارحك في موقف حاسم ، في تكوين الأدب التونسي الحيّ الجدير بالخلود ، وفي تحطيم هاته الأصنام الخشبية التي تحتل مكاناً من الأدب ، يجب أن يحتلّه الأحياء الذين يعرفون كيف ينفخون في الشعب روح الحياة ، والذين يعرفون كيف يعلمونه محبَّة الحقّ والقوّة والجمال .

نعم يا صديقي فإنّني لا أعلّق على غيرك مِمَّن أعرفهم من الأدباء ما أعلّقه عليك من إحياء الأدب ورفع اسم تونس ، تونس العزيزة ، عالياً بين أسماء الشعوب .

ولكنّك أنت بهجرانك الأدب أو بانتحارك ـ كما أقول أنا ـ تقوّض كل هاته الآمال وتهدم هذا البناء المشيد ! فانظر أي صنيع تصنع يا صاحبي وانظر أيَّة جريمة أنت تقدم على اجترامها ! ... إنَّ هاته الثورة التي تعصف في جوانب صدري لا تهدأ ضجتها ولا يسكت هديرها ولا يخمد طغيانها العارم المزبد ، وإن المعاني لتزدحم وتتصارع في رأسي بصورة مرعبة .

وإنّني لعاجز عن أن أصور إليك الآن ما يصطفق في قلبي الآن من ثورة وسخط وغضب وحيرة وشك وتساؤل وآلام ، ثورة على القدر وشكّ في المستقبل ، وآلام لحظ تونس المنكوس .

رُبَّما عذرتك على عدم كتابتك في « العالم الأدبي » ولكن كيف تريد منّي عتباك في هجرة الأدب والانقطاع عنه ؟ على أنّني حين أفكّر وأرجع إلى نفسي لا أعذرك حتى في انقطاعك عن « العالم الأدبي » فلتقل ما شئت في خطة الصحيفة وفي صاحبها ، ولتقل ما شئت في مواضيعها الغثّة الباردة المستثقلة المرذولة .

ولكن ألا يحزّ في قلبك وينغّص عليك الحياة أن يقول عنا أبناء العالم : إنَّ هاته الأصوات الميتة والأصداء الخافتة هي كل ما في تونس من صيحات الحياة ؟ أمّا أنا فإنّني حين أفكّر في هذا يسودّ الفضاء المنير أمامي وتتضايق حوالي رقعة هذا الوجود.

لنتحمل يا صديقي كل شيء في سبيل النهوض بتونس وآدابها ما دمنا ، إنَّما نجاهد لإحياء الوطن والرفع من شأنه بين الشعوب ، فإنَّ المجاهد يا صديقي ليفترش القشّ وحتّى المزابل إذا اضطره الدّهر ، والنتيجة يا صديقي تبرّر الواسطة ، كما يقول المثل .

هذا ما أستطيع أن أكتبه إليك الآن ، وإنّني في انتظار كلمتك التي أرجو أن تكون شارة بإقلاعك عمّا عزمت عليه ، وبرجوعك إلى الكتابة في « العالم الأدبي» اقتناعاً بِما ذكرت لك والسَّلام .

صديقك المخلص

أبو القاسم الشابي

ملحوظة :

إنَّ ثورة نفسي هي التي جعلتني أكتب إليك بهاته اللهجة وهذا الأسلوب وإنَّها لبادية حتّى على خطي السَّقيم المرتعش ....

حاشية تافهة :

كنت وجّهت إليك عقيب عيد الفطر صنيديق «دقلة» ولَم تخبرني عنه فلم أدر ماذا صنع اللّه به ؟ وصلك أم لا ؟ .

الرسالة الثالثة عشرة

تونس في محرم الحرام سنة 1351[1]

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي محمد الحليوي :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

---

(1) ماي 1932 .

فإنّني أكتب إليك الآن وأنا على فراش المرض بالمستشفى ، وتحت مراقبة الأطباء وعلاجهم من نحو ستة أيّام ، وقد كان دخولي إلى المستشفى فجائياً وغير متوقّع أصلاً ، لأنّني قدمت إلى الحاضرة يوم الثلاثاء الماضي لقضاء بعض مآرب وحالتي الصحيَّة على غاية ما يرام ، فما قضيت يومين بالحاضرة حتّى اشتدّت عَليَّ العلّة ، وشدّت عَليّ بأنيابها فدخلت المستشفى مكرهاً ، وعلى كل حال فإنَّ حالتي الآن خير من يوم الدخول ، وإنّني أتوقّع قُربَ خروجي منه إن شاء اللّه .

وقد كان الدكتور بروك لَمّا فحصني في الشّتاء أمرني بعدم قضاء المصيف بتوزر، فقرّ قراري على قضائه بنابل بجوار الصديق محمد البشروش ، واتّفقنا على ذلك أو كدنا ، ولكن ذلك لا يتمّ إلاّ بعد العطلة الصيفية التي لَم يلبث عليها بالنسبة للأخ البشروش إلاّ نحو أيام 20 .

وحيث أنّني وشيك الخروج من المستشفى ـ فيما أظنّ ـ فإنّني لا أرغب في قضاء هاته الأيّام العشرين بالحاضرة ولا بتوزر ، لأنَّ كليهما لا يلائمني مناخه الآن .

وبودّي لو أقضي تلك الأيام بجوارك ، ولهذا فالمرغوب من أخوتك أن تبذل جهدك في أن تبحث لي هناك عن منزل أستقرّ فيه هاته المدة القليلة وتعلمني بمقدار الكراء كما تبحث لي هل من الممكن أن أجد عجوزاً يمكنني أن أعتمد عليها في غسل ثيابي وطبخ طعامي الذي أعتقد أنّه سيكون على غاية من البساطة والخفّة والضبط ولا أحسب الطّبيب يرخص لي إلاّ في أكل الخضر واللبن والغلال فحسب .

هذا ما أرجو منك أن تجيبني عنه بسرعة وفي انتظار الرَّدّ تقبّل تحيات أخيك المخلص .

أبي القاسم الشابي

ملحوظة :

كاتبني بسرعة بالعنوان التالي :

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي القاطن بالمدرسة الجاسوسية نهج باش حانبة عدد 7 بتونس .

الرسالة الرابعة عشرة

تونس في صفر 1351[1]

أخي .....

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد أنهيت اليوم علاجي وغداً عشيَّة أقدم نحوك في السَّيارة الكبرى إن شاء اللّه، ولكنّني لا أستطيع لسوء الحظّ أن أمتّع النّفس بلقياك أكثر من يومين أو ثلاثة، وذلك أنّني كنت عازماً كل العزم على قضاء المصيف بكامله ببني خلاد كما اتّفقنا ، ولكن الطبيب أبى ذلك لَمَّا عرضته عليه ، ورغم بياني له أنَّ الجهة صالحة من كلّ الوجوه ، فإنّه أصرّ على رأيه قائلاً : إنَّ الزيتون رغم فوائده ، لا أهمية له بالنسبة إليَّ .

وإنّما المهمّ لي فهو هواء الصنوبر الذي أهواه من كلِّ قلبي ، أو هواء «الكلتوس» وأيضاً فإنّه يؤثر[2] لي الجهة الجبلية على الجهة المنبسطة السهلة ، ولذلك فقد قرّ قراري على « عين دراهم » لتوفّر شرطيّ الطبيب فيها وقد اكتريت[3] فيها محلاً بثمن رُبَّما كان باهظاً .

وإن أسفي يا أخي لعظيم جدًّا واللّه لحرماني من متعة حديثك وأدبك ، وهي متعة أعذب إليَّ من جمال الطّبيعة وألحان الوجود الشجية ، ولكن ماذا تراني أصنع؟ ليس لي إلاّ أن أزورك هاته الزورة القصيرة وأنا غير قانع .

هذه كلمتي الآن إليك ، وختاماً تقبَّل تحيَّات وأشواق أخيك .

أبي القاسم الشابي

حاشية :

عفواً يا صديقي ! فقد جاء كتابي بالرغم عنّي ممتلئاً بالحديث عن نفسي خاصَّة وقد كان بودِّي أن أحادثك في ما هو أجلّ وأسمَى ، لكن هكذا كان .

---

(1) حزيران 1932 .

(2) يؤثر : يفضّل .

(3) اكترى : استأجر .

أرجو أن أجد عندك المقال « الشمس والقمر في الأدب العربي » لأرَجع به .

لا أستطيع أن أزيدَ فإنَّ الساعة الآن نحو نصف اللَّيل وأنا أكتب على عجل وسلام عليك من أخيك .

الرسالة الخامسة عشرة

عين دراهم في ربيع الأول سنة 1351[1]

أخي الأعزّ حفظه اللّه :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد اتصلت برسالتك بعد طول السّكوت فلم أدرِ هل أطرب أم أعتب ؛ تقول يا صديقي إنَّك لم تتصل منّي بأيّ خبر مع إنّني بمجرّد وصولي إلى هنا أرسلت إليك بمنظر من مناظر « بلد السحر والشعر والأحلام » وفي تلك الكلمة القصيرة قصة موجزة من إعجابي بهذا البلد ، وافتتاني بما فيه من فنّ وجمال على أنّني لا أكتمك أنّني فكّرت واعتزمت الكتابة إليك عن هذا البلد الصَّبوح وغاباته الملفوفة في الضباب وأوديته البديعة الخضراء وجباله المكلّلة بأشجار السنديان وأردت أن أبسط صوراً من نفسي وحياتي في ظلال الغاب الذي قلت فيه من قصيد لَم أتمه :

بَيْتٌ بَنَتْهُ لِيَ الحَياةُ مِنَ الشَّذَى ... والظلِّ ، والأضْواءِ ، والأنْغامِ

بَيْتٌ يرفُّ عَلَيْه سِحرٌ غامِضٌ ... ساهٍ ، ويَخْفِقُ فِيْهِ رُوحٌ سامِ

وإنَّ الصّور والأفكار التي أردتُ أن أحدّثك عنها ما زالت إلى الآن تجوب جوانب نفسي ، ولكنّ الكسلَ أو الملَلَ أو الخمولَ أو كلَّ ذلك منعني عن الإفضاء بها إليك .

تقول إنّنا لَم نلتقِ حتّى في مجلة « العالم الأدبي » ، وهذا غير صحيح لأنّني أسْمعتك صوتي في العدد الأخير ، وربَّما كان صحيحاً من ناحيتك أنت لأنَّك ما زلت معتصماً بسكوتك الذي لا أحْمَدُه ، رغم ما قطعته على نفسك من عهود ووعود .

وإنّني يا صديقي لآلم كلَّ الألَمِ حينما أنظر إليك فأراك تؤثر الصَّمت على

---

(1) تموز 1932 .

التحدّث بأفكارك وخطراتك ، وتستسلم بكلّيتك إلى تيَّار تلك المجتمعات الزائفة الفارغة الثرثارة .

وبعد هذا فإنّي أريد أن أنقذك يا صديقي إن سمحت : لقد قلت إنّك نظمت قصيداً في الاحتفاء بالوفد الذي جاء من صفاقس لزيارة أبي زمعة !

أمثلك يا صديقي يسفّ[1] بمواهبه ونبوغه إلى مثل هاته السخافات والمحقرات ، ويصبح بين ليلة وضحاها شاعراً مدّاحة ، وينشر أثره بجريدة «الوزير» بعد أن كان فكراً سامياً وروحاً ساحراً كنّا نرجوه لإحياء الأدب الميت والنهوض بروح الشَّعب الفنيَّة من كبوة طال عليها العهد ...

إنّني أعتقد أنّك في قرارة نفسك تسخر كلّ السخر بما أتيت ، لأنّ ما أعرف من أفكارك وآرائك لا ولن يرضى عن هذا الصنيع .

وإذن فما الذي دفعك في هاته السبيل التي لا تسلكها مختاراً ؟ إنّه الشعب الأحمق المأفون[2] ، وتيَّار تلك المجتمعات السَّخيفة الزائفة قبّحها اللّه .

ولقد كنتَ تحدثني أنّك تأنف من نشر آثارك في مجلة « العالم الأدبي » لأنّك لا ترتضي مشربها المرذول ، فما بالك تنزل إلى النشر في الوزير ؟ هل أنَّ المبادئ شيء والعمل شيء آخر ؟ كلاّ ! فإنّك عندي وفي نفس الحقيقة أرفع من هذا وأجلّ ، ولكن هو المجتمع السَّخيف دفعك إلى اقتراف الخطيئة الأولى والثانية فكنت آثماً مرتين.

وأنا أرجو يا صديقي أن تكون فوق بواعث الجماعات الحقيرة وصغائرها ، هاته الجماعات التي هي عندي :

لُعَبٌ تحرّكُها المَطامِعُ واللُّهَى وصَغائرُ الأحْقادِ والآرابِ

أودّ أن أراك أبداً فوق هاته الجماعات الثرثارة لأنَّ ذهناً مثل ذهنك لا ينبغي أن ينساق في موج هاته الجماعات الصغيرة التي لا تستحق إلاّ العطف والرثاء أو السخر والاستهزاء هذا نقد شديد يا أخي ولكنّه الحبّ الصَّادق والتقدير العميق هو الذي أملى تلك الشدّة ، وما أحسب صدرك الواسع الحليم إلا سيتقبل نقدي بما أعهده فيه من ودّ وإخاء .

---

(1) أسفّ : طلب الأمور الدنيئة .

(2) المأفون : الذي سُلب عقله .

أمّا المعافاة فإنَّ سيرها بطيء جدًّا حتّى أنّني وأنا محوط بعوالِم من جمال وسحر قد ينقبض قلبي ، وتضيق أمامي رقعة هذا الفضاء ، وتسدّ عَليّ السَّآمة والقنوط كل مذاهب المتعة والفكر والأحلام ، فأقتل ضجري بالنَّشيد وأزجي ركب الحياة المبطئ الكئيب بأنغام تلهمني إيّاها الغابة المصغية لشدو الطُيور .

أمّا الشّعر فقد لبثت نحواً من عشرين يوماً لا يخفق في نفسي شدوه أو غناؤه ، ثم أخذتني النوبة وأنا لَها كاره ، فلفّتني في مثل العاصفة الهوجاء التي لا ترحم ، وملأت عليّ صفو الحياة ألسنة الهواتف التي لا تسكت ، وتهادت حول قلبي الصور والأشباح والخواطر والذكر ، ولَم تفارقني في نوم ولا يقظة حتى لقد اضطرب عَليّ النّوم في اليومين اللذين استيقظتْ فيهما روح الشعر الخفية الغامضة ، وحتى رجوت من اللّه أن يرحمني وينقذني من هاته الثورة العنيفة العاصفة ، وقد فعل .

لقد قلت : أخذتني النوبة ، وهي حقيقة فإنّني منذ عام أصبحت ألبث الشّهر والشهرين لا يتحرّك في نفسي صوت ولا صدى ، ثم تأتي النوبة بعنف وشدّة ، وتلبث اليوم واليومين والثلاثة تنغّص عَليّ فيهما الحياة ثم تخبو وتغيض ، وتلك صورة من نفسي فحدّثْني عن نفسك وآمالك وأفكارك يا صديقي .

أبو القاسم الشابي

أرجو أن تزورني هنا فإنّ الأخوان : خريف ومهيدي سيزوراني ولا أخالك تبخل بالزورة والسَّلام .

الرسالة السادسة عشرة

عين دراهم في 9 ربيع الثاني سنة 1351[1]

حضرة الأخ الأعزّ :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد رأيتك في رسالتك تنقم على مجلة « العالم الأدبي » ترشيحها للشعراء الثلاثة ، وترى أنّ ذلك الترشيح لا يخلو من ريبة وشكّ وبهتان ، وتعزم على إبداء

---

(1) 12 آب 1932 .

رأيك في الموضوع بحريَّة تامَّة ، وعلى إتمام موضوعك الموعود « الشعر في تونس ».

وقد حمدت لمجلة « العالم الأدبي » إغضابك الذي سيثيرك من خمولك ، ويهزّ من نفسك وتراً طالَما حاولت إيقاظه ، ثم لبثت أنتظر هذا الموعد المأمول في النهضة فلم أجد لحدّ الآن شيئاً سوى أخبار مجلة « العالم الأدبي » بعزمك ذاك وإعلانها انتظار كلمتك ، وإنّني لا أخالك إلاّ جادًّا في تسطير رأيك ، أو رُبَّما كنت قد أتممته وهو الآن بإدارة النّهضة ينتظر دوره . أليس كذلك ؟

لست أدري وإنّما ننتظر الجواب منك أو من المستقبل المنظور .

إنّنا ننتظر ! والسَّلام عليك من أخيك .

أبي القاسم الشابي

الرسالة السابعة عشرة

عين دراهم في 18 جمادى الأولى سنة 1351[1]

أخي الأعزّ :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد مضى عَليّ شهر وأنا بعيد عن عين دراهم بين الحاضرة ومجاز الباب ، وقد تصرّم ذلك الشَّهر في لجاج وخصام وأعمال ماديَّة ممضّة مؤلمة حتّى لقد حسبت أنّها سيكون لَها أثرها السَّيئ في التأثير على صحتي ، ولكنّ اللّه سلّم فإن صحّتي الآن خيرٌ من قبلُ ، وقد كان لمقالك « الشعر في تونس » أثره الهائل وصداه البعيد في الأوساط الأدبية بالحاضرة ، فقد أثار ضجّة عاتية من السخط والنقمة والإعجاب والنقد .

وأنّني لشاكرك عليه يا صديقي إلاّ أنّ لي بعض ملحوظات نقدية تتعلّق ببعض الأفكار التي تضمّنها رُبَّما نشرتها قريباً في « العالم الأدبي » أو «الزمان» ، وعلى ذكر «الزمان» فإنّني أعلمك أنَّ الأخ مهيدي قد قرّر تخصيص قسم أدبي به كلّ أسبوع وأنّ مقالات الأخ عبد الخالق هي البداية في هذا الصدد ، ولهذا فإنّني أعتقد أنّك لا بُدّ أن تخرج من صمتك الطويل لتبحث في الأدب الذي اشتاق إلى قلمك ،

---

(1) 19 أيلول 1932 .

فإنّ أمامك الآن «الزمان» و «العالم الأدبي» ولا عذر لك في السكوت بعد الآن .

اتّصلت عند رجوعي أول أمس ، برسالتك الكريمة وإنّني لأشكرك على ما أظهرت فيها من إخاء غير مجهول ، وإن كنت لا أرى داعياً لمثل هاته التحرزات فيما بيننا علم اللّه ، فإنّ صداقتنا خالدة لن تضعف أو تزول .

وإن كنت تحسب أن النقد رُبَّما يعصف بهاته الرابطة السرمدية التي بين قلبينا، فإنّك واهمٌ يا صديقي ، وقديماً قلت لك في بعض رسائلي إن الصداقة شيء ، وحرية الرأي شيء آخر .

وإذن فلنكن صديقين ولتكن لنا آراؤنا الحرّة في الحياة ومن بينها أنا وأنت .

ظهر كتاب جديد تحت عنوان « على السفود » عباس محمود العقاد و لم يذكر عليه اسم مؤلفه وإنّما قيل : لإمام من أيمة العربية ، وما أحسبه إلاّ الرافعي ـ فإنّ مقدمة الكتاب تشتمّ منها روحه المستقلة المرذولة وأسلوبه المتكل الممجوج ــ تناول فيه العقاد شاعراً وكاتباً وفيلسوفاً .

والحق أقول لك يا صديقي إنّه قد ترك العقاد بالحق والباطل هيكلاً محطّماً وصنماً مسحوقاً ، وقد ركب العقاد في هذا الكتاب بالدعاية الخبيثة والمجون الأليم والسخرية التي لا تنتهي عند حدّ ، ولا تتحرج من غاية مهما سفلت حتّى لقد سمّى العقاد بـ «المراحيض» لأن العقاد قال في ابن أخته :

مرحاضه أفخر أثوابنا

وأخيراً فإنّي آسف جدّ الأسف على أنّك لَم تزرني في هاته البلاد ، أمّا أنا فإنّني رغم ذلك لا بد أن أزورك قبل رجوعي إلى الجريد . فإلى اللقاء يا صديقي في رسالتك المنتظرة قبل بني خلاد وسلام عليك من أخيك .

أبي القاسم الشابي

الرسالة الثامنة عشرة

تونس في 17 جمادى الثاني 1351[1]

حضرة الأخ الأعزّ :

تحيَّة وشوقاً وبعد :

---

(1) 18 تشرين الأول 1932 .

فقد كنت مع الأخ المهيدي حين اتّصل بكتابك وصحبته مقالك عن الرافعي والعقاد ، وكم كنت مسروراً وأنا أُمنّي النّفس بلقياك يوم الأحد كما قلت .

ولكن أبى اللّه عَليّ هاته الفرحة الصغيرة الكبيرة في آن واحد ، فقد قضت عَليّ ضرورات الأيّام القاسية أن أغادر الحاضرة إلى مجاز الباب يوم الجمعة ، وأن لا أرجع منها إلاّ عشيَّة الأحد وبعد سفرك بنحو ساعة ! ...

وفوق ذلك فإنّني لَم أقض المآرب التي غادرت الحاضرة لأجلها ورجعت كما ذهبت بلا شيء ... إلاّ حَيْرَة الفكر وعبء العمل التائه .

لقد مللت يا صديقي وطأة هاته الظروف الثقيلة ، ولكن ما عساني أن أصنع وليس لي من وليّ أو نصير في زحمة هاته الدُّنيا المرهقة .

وأخيراً فإنّني سأخفّف بلقياك عن النفس بعض ما بها من مضض الدُّنيا ونكد الأيّام ، فانتظرني مساء الأربعاء بعد غد فإنّني قادم نحوك في السيارة الكبرى التي تصلكم مساء .

وتقبّل تحياتِ أخيك وأشواق قلب أبي القاسم الشابي .

حاشية :

لك التحيات والأشواق من الإخوان : عبد السلام الشابي ، أحمد الشابي ، مهيدي ، خريف .

أبي القاسم الشابي

الرسالة التاسعة عشرة

عين دراهم في 51/6/2[1]

أخي الفاضل الأعزّ : أمتع اللّه به .

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فلقد لبثت نفسي تدافعني إلى نقدك وأدافعها ردحاً من الزمن بعدما كاتبتك . ثم إنّني كتبت بالنقد بعد صراع مع النفس عنيف وهو ينحصر في نقط ثلاثة :

* حصرك وظيفة الشاعر في تصويره لعصره ومصره .

---

(1) 30 تشرين الأول 1932 .

* جعلك لبشار شاعر فلسفة وكلام .

* اتّخاذك الشّهرة مقياساً لعظمة الأدب .

والذي دفعني إلى إشراك القراء في هذا النقد :

* ما يفهمه النّاس من أن النقد والعداء لفظتان مترادفتان .

* سكوتك أنت طيلة العام الماضي واعتزالك الأدب والكتابة .

وقد حرصت بهذا في نفس المقال ، على أنّني أحسب أنَّ ما دفعك إلى هاته الآراء التي استغربتها منك إنّما العجلة في كتابة مقالك فإنَّ عليه طابع السرعة والتعجل ، ولكن إذا جاز لنا أن نتعجّل يا صديقي في كتابة رسالتنا الخاصّة ، فإنّه لا ينبغي لنا ذلك ونحن نكتب الأدب للعموم .

لا أدري ما سيكون رأيك فيما كتبت ؟

وصلتني رسالتك أمس ، وأنا أكتب آخر كلمة من المقال ، وما أخّرني في كتابته إلى هذا الحدّ إلاّ شواغل واجتماعات ما كانت في الحساب ، ثم حيّرتني بين الإقدام على النقد والإحجام عنه .

ولهذا فإنّني لن أوجّهه في البريد لأنّني سأذهب إلى الحاضرة يوم الأحد المقبل إن شاء اللّه ، ولهذا فالأفضل أن أحمله بنفسي حتّى أقف على تصحيحه ، فإنَّ مصيبة الأخطاء المطبعية شنيعة في هاته البلاد .

لا أدري إلى الآن هل أنشره بالزمان أو بالعالم الأدبي ، وحينما أذهب إلى الحاضرة أقرّر أحد الرأيين .

رأيت كلمتك عن «العالم» وأنا ما كنت أتوقّع منها غير ذلك فقد كنت أعلم أن رئيس تحريره ليس سوى آلة يديرها محي الدين و ... ومن لف لف هذين من تلك الطائفة المرذولة .

إذا شئت أن نتلاقى بالحاضرة يوم الجمعة المقبل فإنّك تجدني بالمدرسة اليوسفية، يصلك كتاب « على السفود » صحبة هذا ، إنّني أعتذر إليك من هاته الخلبطة والخلط والأفكار المشوشة والجمل البتراء ، فإنّني أشعر بفتور ذهني وملل نفسي وسلامي عليك مضاعف .

أخوك

أبو القاسم الشابي

الرسالة العشرون

توزر الشابية في 1 شعبان 1351[1]

صديقي العزيز :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد اتّصلت أمس برسالتك الصغيرة التي كانت بشيراً أثلج الصدر وسرّ الفؤاد ، وأزاح عنه عبئاً ثقيلاً من المخاوف والأحزان والشكوك ، وإنّني أهنّئك بنجاح عملية الوالد ، وأسأل اللّه أن يمتّعك به ويمتّعه بك عمراً طويلاً ودهراً مديداً .

وإنّي وجهت لك اليوم على طريق البريد صندوق «دقلة» من ذوات العشرة كيلوات. وفي الختام تقبّل تحيات صديقك المخلص .

أبي القاسم الشابي

حاشية :

لقد كان بودّي يا صديقي أن أطيل معك الحديث ولكنّني لا أستطيع الآن فإنّني مضطر أن أحرّر الساعة تسع رسائل ، وأكثرها مِمّا يقتضيني الإطالة فألتمس عذرك في هذا الإيجاز المقتضب ولعل المستقبل يغتفر سوءة الحاضر ، والسلام .

الرسالة الواحدة والعشرون

توزر الشابية في 51/9/4[2]

أخي الأعزّ :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فإنَّ اللّيل الآن صامت ساج ، والطبيعة هادئة ساكنة ، والنّاس لائذون بالبيوت من برد الظلام ، وأنا والأخ عبد الخالق نتحادث فيما سنفضي إليك به .

لقد فكرت أنا والأخ عبد الخالق في تأسيس مشروع لا غاية له سوى النهوض بالأدب من كبوته في هاته البلاد المنكودة ، فكرنا في أن نبذر نواة الحياة الأدبية في تونس ، وذلك بأن يضع كلّ منّا مقداراً من المال بإحدى البنوك ، أو بعض

---

(1) 30 تشرين الثاني 1932 .

(2) 1 كانون الثاني 1933 .

فروع البريد ، وما يتجمع من الأصل والفائدة يكون تحت طلب من يريد طبع كتابه من المؤسسين ، فيطبع منه كتابه كقرض يقترضه ثم يؤديه بعد ذلك وهكذا دواليك .

وبهذا نكون قد فرجنا أزمة النشر في تونس على بعضنا ـ في الأقل ـ وهاته الفكرة قد كنّا تفاوضنا فيها في الصائفة الفائتة وكنت أنت من محبذيها والداعين إليها .

وهي لا تحتاج إلاّ للعمل والتنفيذ وتنفيذها سهل للغاية ، فإنّنا إذا وضع كلّ من ثلاثتنا فرنكات 700 لهذا الغرض أو ألف على الأكثر تكوّن المشروع وبرز إلى حيّز الإيجاد .

على أنّنا يمكننا بعد ذلك إدخال عناصر أخرى معنا إن كان ذلك ميسوراً وإلاّ فحسبنا أنّنا عملنا لفائدتنا عملاً منتجاً مفيداً .

ولهذا فقد عرضنا عليك فكرتنا وفي انتظار الجواب تقبل تحيات أخويك .

أبي القاسم الشابي ـ محمد البشروش

حاشية :

ورد عليّ في بحر الأسبوع الماضي العدد الرابع من مجلة «أبولو» المصرية ، وهي مجلة لخدمة الشعر الحيّ كما يقول محرّرها . وهذا العدد الرابع خصّصته بشوقي وأخباره وآثاره ودراساته بين شعر ونثر بصفتها هي لسان جمعية «أبولو» ولأن شوقي أول رئيس لهاته الجمعية ثم ورد عَليّ بعد ذلك بيوم من سكرتير الجمعية ورئيس تحرير المجلة الدكتور أبي شادي ، مكتوب قال فيه : إنّه وجّه لي العدد المذكور إلى مطبعة «العرب» لجهله بعنواني الخاص ، وإنّه يرغب منّي إمداد المجلة بما يمكن من شعر ونثر .

لست أدري هل وجّه مثل هذا الكتاب لغيري من شعراء تونس وأدبائها وإنّني سأجيبه وأوجّه له اشتراكي وشيئاً من الشعر .

أخوك

أبو القاسم الشابي

أهنيك بشفاء الوالد وأرجو لك في ظلّه حياة سعيدة منتجة .

الرسالة الثانية والعشرون

توزر في 1351/10/26[1]

أخي العزيز :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد وردت عَليّ رسالتك الحبيبة فما ذكرت ناسياً ، ولا نشرت ما في القبور ، ولكنّها عانقت في النفس ذكراً لك حيًّا وولاء قويًّا ، فكيف سوّلت لك نفسك يا صديقي أن تحصب[2] أخاك بظنون آثمة ليس لها من الحقّ نصيب ، ولكن ما لنا ولهذا؟ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الودّ لك ما ظننت .

أمّا كلمة « قبر الفولاذ » التي راسلت بها الأخ البشروش ، فقد كتبتها أثر ثورة نفسية عصفت في نفسي ومن حوالي ، وأنت تعلم أنّني رجل نوبات .

وقد كان من أسبابها أنّني لَم أقتنع بما في رسالتك الأولى من قول وحجة ، وأنّني أصارحك بعد أن قرأت رسالتك الأخيرة أنّني مقتنع برأيك مؤمن به .

وأنّني أعتذر إليك عمّا في تلك الكلمة من قسوة وعنف بثورة النفس وضعف الاقتناع . فهل أنت غافر ؟

وإنّني على رأيك في أنه لا غضاضة علينا من الدخول في جمعية التأليف والنشر المزمع على تأسيسها في تونس ـ إن صحت ـ ولكن على شرط أن لا يكون في بنودها ما ينافي مبادئنا المقدسة التي كرّسنا لَها ما لنا من قوة وحياة .

شكوت يا صديقي من جمود الشعب ، وركود الأدب ، وموت أحلام الأديب، وشكوت من قسوة هاته الحياة التي تجرّ الواحد منّا على أن يحيا حياة السوقة والرعاع[3] ، حياة السخافة والجمود ، حياة المادة الصماء الضيقة التي لا ترحم فكراً ولا عاطفة ولا خيالاً ، ولا تحيي مثلاً من الأمثلة العليا ، أو طيفاً من أطياف الحنين الأعظم والشوق الإلَهي النبيل ...

وهي شكاة لا تسمع في هذا القطر الضائع المغمور ؛ لأنّه لا يفهمها إلاّ أفراد

---

(1) 22 شباط 1933 .

(2) حصبه : رماه .

(3) السوقة : أوساط الناس . والرعاع : سفلة الناس .

قلائل ، ولا يحسّ بها إلاّ الأقلّ ، ولا يتغنّى بها إلاّ بضعة قلوب غريبة هائمة في مجاهل الأحلام ، ولكن ما لنا وشكوى الحياة ؟

فمَنْ تألّم لَم ترحمْ مضاضَتُه ومَنْ تجلّدْ لَم تهزأْ بِه القممُ

لنتركِ الألَمَ جانباً ، ولنصعدْ بأقدامٍ ثابتةٍ جبلَ الدُّنيا المقدسة ، جبلَ الفنّ والفكر والأحلام .

فالمجدُ في القممِ الرَّفيعةِ ، مالئٌ جبلَ الحَياةِ بِضَوْئِه الخلاَّبِ

ولنعرضْ بأبصارنا عن أشباح الموت وغيلان الظلام السارية في أعماق الوادي وفي شعاب الجبل ، ولنصرفْ أسْماعَنا عن صرخاتِ اليأس وأصواتِ الأبالسة ، فإن في الذروة العليا موسيقى الوجود الخالدة وفجرَ الحياةِ السرمدي .

ولنرتفعْ يا صديقي بأجنحتنا الصغيرة فوق هاته الحيوات الحقيرة التافهة ، ولنحلّق في آفاق النور والحقّ والجمال بكلّ ما في إيماننا من حماس وبكل ما في شبابنا من قوّة وحياة وطموح .

كذلك يا صديقي أكتب حينما يهيج بقلبي روح الأمل ، وتطغى حوالي أمواج الشَّباب ، ولكنّني إذا رجعتْ إليَّ نفسي وثابَتْ إليّ أشباحي الدامية ، وقرّتْ حواليّ أمواج الشَّباب ، وسكنتْ ألسنة الحياة الهاتفة ، إذ ذاك تتراخى أجنحتي وتغشاني سكرة الموت ، وأهوي إلى لجّة اليأس المظلمة هوي «ايسكاروس» إلى أعماق البحار .

أجل يا صديقي ، وإن في نفسي من مضاعفات اليأس ما أنت فيه ، فهذا الدَّاء الذي يخايلني كلّ يوم وساعة بأكفان القبر وظلام الرموس ، هو وحده كاف لأن يهدّ عزائم الأقدار .

إنّه لا يحزنني شيء في هذه الدُّنيا أكثر مِمَّا يحزنني التفكير في أنّني أموت قبل أن أؤدّي رسالة الدُّنيا التي أحسّ أنّني لَم أخلق لغيرها في هذا العالم .

رسالة ! أي سخافة وأي جنون ؟ كبرت كلمة ينطق بها فمي ويكتبها قلمي على صفحة هذا القرطاس . ومن أنا حتّى أؤمّل هذا الأمل أو أنتخب لهاته الغاية ؟ إن أنا إلاّ صدفة مكسورة تضطرب في لجّة الزمان ، وستمسي بداداً في أكفّ الرِّياح المظلمة اليوم أو غداً .

لست أدري يا صديقي كيف كتبت ما كتبت ، وهي على كل حال ثرثرة سخيفة أرجو أن تمرّ عليها ببسمة مشفقة ، وإن شئت فلتكن بسمة الساخر الحنون.

ثم ماذا عساي أن أحدّثك عن حياتي المقفرة ؟ لا شيء فيما أظنّ ، ولكن آه ، لقد ذكرت ، لقد طلب منّي في هاته الأيّام طائفة من الشّبان أرباع المثقفين أن نسعى لتأسيس نادٍ أدبيّ بتوزر ، فقابلنا عامل الجهة ، وتحادثنا معه في هذا الغرض ، فوجدنا منه نفساً غير نافرة ، وقد وعد بإعانة المشروع بما يستطيعه ، وقد أحضرت منذ يومين القانون الأساسي .

وأظنّ أنّنا سنقدّمه إلى المراجع ذات النّظر بعد يوم أو يومين ، وقد كان في الإمكان تقديمه اليوم أو أمس ، ولكن الجوّ منذ ثلاثة أيّام مغبرّ ، والرّياح عاصفة تسفي الرمال[1] على الأبصار ، فتكاد تعميها وتلحس الوجوه ببردها الشديد فتكاد تسلخها ، والنّاس ـ أو أنا إن شئت الدقّة في التعبير ـ لائذون بالبيوت ، بحيث إنّني منذ زوال أول أمس لَم أغادر منزلي .

ثم ماذا ؟ لا أدري ، ولكن لأتناول رسالتك عَليّ أجد فيها ما يفتح أمامي باباً للحديث ، ويدحو لي دنيا من التفكير والكتابة ... إنّك تتحدّث عن «أبولو» وتقول : « إنّها مجلّة عالية ، وسيكون لَها أثر عظيم في توجيه الشعر العربي من النزعة المدرسية إلى النّزعة الرومانتيكية ، وقد أعجبت بها جدًّا .. » . وأنا أشاركك في هذا الإعجاب ، ولكنّني أرى أن بينها وبين السمو خطوتين :

الأولى : أن يقسو صاحبها في انتخاب ما يرد عليه ؛ فلا ينشر إلاّ ما سمت روحه وشرف أسلوبه حتّى أصبح جديراً ، ولو أقل من كل الجدارة ، أن يصير فنّا فإنّي أراه في كثير من الأحيان ينشر بعض الأشعار السخيفة المبتذلة في روحها أو أسلوبها بالرغم من أنّه كثيراً ما يصرح ويصرح له بأنّه يجب أن يكون قاسياً لا يعرف مجاملة أو هوادة في سبيل الحقّ والفن ، ولكنّها خطوة أعتقد أنّه سيخطوها في مقتبل الأيّام .

الخطوة الثانية : مشاركة عظماء مصر في تحريرها كالعقاد والمازني وطه حسين ومن لفّ لفّهم ، فإنّ الطبقة التي تحرّرها هاته الأيّام وخصوصاً ـ في الناحية النثرية ـ

---

(1) تسفي الرمال : تحملها وتنثرها .

ليست من القوّة في شيء .

أمّا علاقتي أنا بـ «أبولو» فقد حدثتك في رسالتي السالفة بأنّني وجهت لَها قصيدتين ومعلوم الاشتراك ، وطلبت من صاحبها أن يوجّه إليَّ الأعداد الأولى منها.

وقد ورد عَليّ كتاب منه بعد ذلك وطيه معلوم الاشتراك نفسه قائلاً إنّه يستميحني عذراً في إرجاعه ، لأنَّ المجلة توجّه إليَّ كهدية خالصة وصحبته ورقة مطبوعة في طلب العضوية بجمعية «أبولو» ، وطلب منّي تعميرها وإمضاءها وتوجيهها حتّى يضمن اسمي في ثبت أعضائها .

كما طلب أن أرسل صورتي لتنشر بالمجلة ، كما أهدى إليَّ نسخة من ديوان له حديث اسمه « أشعة وظلال » ، ووجّه إليَّ الأعداد الأولى من المجلة ، وإلى هنا أقف يا صديقي لأسألك ما رأيك في أخلاق أدباء مصر وصحافييها الآن ؟

ثم لأقول لك أيضاً : ما نسبة أخلاق أدباء تونس وصحافييها إلى هاته الأخلاق النبيلة الفاضلة ؟ لست أدري ما سيكون جوابك ، وقد أهديته من «الخيال» نسخة، ووجّهت ثلاث قصائد لمجلته وصحبتها مطلب العضوية والصورة ، منذ نحو ثلاثة أيّام .

ذكرت لي أن جريدة « السياسة الأسبوعية » عادت إلى الظهور ، والذي أعلمه أنّها تظهر الآن باسم ملحق السياسة اليومية الأسبوعي . فهل عادت إلى اسمها القديم أيضاً ؟

وذكرت أنّك تريد أن تكاتب السياسة الأسبوعية ، وتنشر على صفحاتها وحي أفكارك . ورأيي أنا الذي يجب أن أصارحك به أنَّ كبرياء مصر وفرعونيتها إنّما تتمثّل في جريدة السياسة الأسبوعية وجماعتها أكثر من كلّ صحيفة وفريق ، وأنّني أفضل نشرك أبحاثك في «أبولو» لأسباب :

1 ـ لأنّها مجلّة خلقت لخدمة الأدب العربي بقطع النَّظر عن الفروق الوطنية والسياسية .

2 ـ لأنّ جماعتها أقل فرعونية وأدمث أخلاقاً من جماعة السياسة الذين على رأسهم هيكل أول داع للفرعونية ومشيد بها . وقد رأيت من أخلاق جماعة «أبولو» ذلك المثل الصغير الذي ذكرته لك .

3 ـ أن جماعة « أبولو » ما زالوا شباناً لَم يبلغوا الكهولة بعد ، ولَم يبلغوا من الشهرة وشيوع الذكر ما ينفخ في آنافهم نفخة الشَّيطان بعكس جماعة السياسة .

ولهذا فإن اقتنعت برأيي ، وبدا لك النَّشر في مجلة «أبولو» ، فإنّ مِمَّا يسرّأخاك ويثلج قلبه أن يكون واسطة التعارف بينك وبين جماعتها ، وأن ينشر أدبك وأدبه متآخيين في سجلّ واحد ، ولا تحسب أنَّها لا تنشر إلاَّ الشعر ، فإنَّها تسرّ بالأبحاث النثرية وخصوصاً إذا كانت حول الشعر العربي الحديث أو القديم أو الأدب الإفرنجي .

وإنَّني أنتظر بفارغ صبر رسالتك بالإيجاب ، وبحثك الرائع الجميل الذي لا أستطيع أن أنظر به ما نشرته المجلّة لحدّ الآن من بحث ونثر . نسيت أن أذكر لك أنّ مِمّا طلبه منّي أبو شادي في رسالته الثانية أن أمدّه من حين لآخر ببعض الدراسات والأبحاث وعلى الخصوص في الأدب الفرنسي ! فصاحبنا يعتقد أنّي أعرف الأدب الأجنبي ، ولذلك يطلب منّي هذا الطلب .

وإنَّه ليحزّ في قلبي يا صديقي ويدمي نفسي أن أعلم أنَّني عاجز ، عاجز ، عاجز، وأنَّني لا أستطيع أن أطير في عالم الأدب إلاَّ بجناح واحد منتوف . فعساك إذن تلبّي رغبتي ، وأنَّني في انتظارك .

لقد ظهرت مجلّة أسبوعية جديدة تصدر مؤقتاً نصف شهرية تحت اسم «الرسالة» يحرّرها طه حسين وهيكل والعقاد وعنان وأحمد الزيات صاحبها وغير هؤلاء ، وهي مجلّة قيّمة إن دامت على مسلكها هذا .

وقد ظهر لحدّ الآن عددان ـ فيما رأيت ـ وصاحبها يزعم أنَّه أصدرها بمشاركة « جماعة الترجمة والتأليف والنَّشر » لرفع راية الأدب العالي الذي طغت عليه السياسة وأوراق الأدب الوضيع ، فهل اطّلعت عليها ، إنَّها من ألزم اللازم للأديب الذي يريد أن يتصل معنويًّا بعظماء مصر في الوقت الحاضر .

لَم أقابل الأخ البشروش من عهد بعيد . وسلام عليك من أخيك المخلص .

أبي القاسم الشابي

الرسالة الثالثة والعشرون

توزر في 1351/10/28[1]

أخي العزيز :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد أهداني أخونا مصطفى خريف ـ أول أمس ـ ديواناً جديداً للعقاد ، اسمه «وحي الأربعين » ، وهو يقع في نحو التّسعمائة بيت ، في شكل جميل صغير وطبع متقن وورق مختار ، وفيه ما شئت من فلسفة ناضجة في الحياة والنّاس ، وغزل مطلول ، ووصف شامل نفاد ، وسخر لاذع عميق .

أمّا أسلوبه فهو أرقى من أسلوب أشعاره الماضية ، ولا غرو فهو شعر العقاد نظمه حوالي عام الأربعين من سني حياته ، وهذا هو وجه التسمية ، وإنّي أرجو أن لا يفوتك اقتناؤه .

لقد مرّ بي أمس حضرة الأخ البشروش في طريقه إلى صفاقس لإمضاء امتحان التّرسيم ، وقد سلّم إليّ رسالته إليك وقصيده اللذين يصلانك صحبة هذا .

وقد رغب إليّ أن أقول لك إنّه يرغب أن نطلع بعضنا على رسائلنا التي نتبادلها حتى تكون هاته الرسائل بمثابة صحف خاصَّة . بحيث إنّني أطلعه على رسائلك التي تردُ إليّ ، ويطلعني كذلك ، ونطلعك نحن على رسائلنا المتبادلة . وبناء على ذلك ، سلّم إليَّ رسالتك لأطلع عليها ، وقد أضاف إلى قوله المتقدم : إنّها رُبَّما يأتي عليها اليوم الذي تنشر فيه على النّاس كما يفعل ذلك أدباء الغرب في كثير من الأحيان .

أمّا أنا الآن ، إن شئت أن تعرف ذلك ، فإنَّ نوبة الشعر تمتلك عليّ عواطفي وأفكاري ، وإنّ ربّة الشعر تعزف على قيثارتها الذهبية أناشيدها بعنف هائل ترتج له أعصابي المرهفة ، ولست أدري متى تسكن النوبة ، وتتوارى ربة الإنشاد في أفقها الغامض البعيد .

لقد كنت حدّثتني في رسالة سابقة عن « مزامير داوود » ، فإن أمكنك توجيهها إليَّ قريباً ، فافعل ولك الشّكر .

---

(1) 24 فيفري 1933 .

لا زلت أنتظر رسالتك في شأن «أبولو» إنّا نريد أن نرفع من رأس «تونس» بما لنا من حول وقوّة فكن ثابت العزم قويًّا على الأيّام . سلام عليك وألف شوق وولاء خالد .

أخوك المخلص
أبو القاسم الشابي

الرسالة الرابعة والعشرون

توزر الجريد الشابية 1351/12/3[1]

أخي الأعزّ :

أحييك ، وأهنئك على نجاحك في دراسة رومانتيكية الأدب الفرنساوي ، أقول أهنئك بالنظر لِما أثارت في نفسي من لذّة وإعجاب ولِما أدركت فيه من دقّة واستيعاب . وإلاّ فإنّني لا أعرف الأدب الفرنساوي ـ كما تعلم ـ حتّى أقول لك إنّك وفّقت كلّ التوفيق في الإحاطة والدرس والاستنتاج ، وإنْ كنت أشعر أنّك كذلك فإنّ ما طالعت من دراسات عن هذا الأدب يسمح بأن أقول هذا القول .

أمّا كلمتك عن ابن رشيق ورأيه في الشعر والشاعر ، فهي كلمة موفّقة كلّ التّوفيق سديدة كلّ السداد ، وإنّني لا أشك أنّ أبا شادي سيراسلك معجباً طالباً إمداد المجلّة بدراساتك القيمة ، أمّا أنا فإنّني لا أريد منك أن تكفّ عن العمل منتظراً ما ستكون النتيجة مع «أبولو» ، وإنّما أريد منك أن تتابع دراساتك عن الأدب الفرنساوي وغيره .

وإنّما ألاحظ لك أنّني أودّ أن تضيف إلى الدراسة العامة عن أطوار الأدب الفرنساوي ، دراسة خاصّة أثناء ذلك عن أعلام كل طور حتّى تكون الدراسة وافية شاملة لَها شواهدها وآياتها .

اليوم وجّهت دراساتك إلى «أبولو» ومعها ثلاث قصائد لي :

1 ـ قلب الأم .

2 ـ الأبد الصغير .

3 ـ في ظلّ وادي الموت .

---

(1) 30 مارس 1933 .

ولاحظت له عن الأخيرة أنّها نشرت من قبل حتى يكون على بيّنة .

كما أرسلت كلمة ردّ على الأديب مختار الوكيل ، وقد لاحظت أن يكون الرد وادعاً رقيقاً ، وأنّني أصارحك أنّني لما طالعت «أبولو» ، فكّرت في الردّ عليه حتّى جاءتني رسالتك السابقة ، فأيّدت عزمي .

وقد قدّمتك إلى أبي شادي ، ولا أكتمك أن التّقديم كان أقلّ مِمّا يجب ؛ لأنّي خفت أن أتّهم بالصداقة وعواطفها إن فعلت كما أعتقد . وعلى كلٍّ فشيء خير من لا شيء .

زارني أمس الأخ البشروش في طريقه إلى بلده ، ليستريح مدة عشرة أيّام أو نصف شهر ، لأنّه يشعر بتعب كلّي في بدنه أرهقه واستيقظت علته « الضعف العصبي » فأتعبته جدًّا ، شفاه اللّه ، وهو يحييك معجباً بأدبك ، وإن كان لَم يطلع على دراساتك هاته ، فقد اتصلت بها بعد سفره بساعة .

تقبّل تحيات أخيك المخلص لك .

أبي القاسم الشابي

ملاحظة :

كان مجموع دراستك وقصائدي الموجه إلى «أبولو» ظرفاً ضخماً يستطيع وحده أن يقوم بعبء مجلّة شهرية !! ولهذا فإنّني أعتقد أنّه لو يوفّق عزمان قويّان إلى التآلف ، لاستطاعا أن يخرجا إلى العالم العربي مجلّة شهريّة قيّمة تجعل لتونس الحقيرة مكاناً رفيعاً في عالم الأدب الحيّ . ولعل الزمن يسمح بذلك يوماً ! ومن يدري ! لا تتوانَ عن مراسلتي أيُّها الأخ .

الرسالة الخامسة والعشرون

توزر الجريد الشابية 1351/12/21[1]

سلام على حضرة الأخ الفاضل العزيز ، وبعد :

فقد طالعت في «أبولو» الأخير كلمة كتبها بعض نكرات مصر عن ديوان العقاد، علمت فيها أن العقاد قد استدلّ على مكانة شعره في نفوس العالم العربي

---

(1) 17 أفريل 1933 .

ـ فيما استدلّ به ـ بكلمتك التي كتبتها في الردّ على « إمام العربية » المزيف ، وفي الإشادة بالعقاد .

وقد سرّني هذا الخبر حقًّا ، ودلّني على أن صوت تونس في الأدب لَم يعد خافتاً ولا مجهولاً . وفي ذلك ما يهون على النفس بعض أشجانها . أما ذلك الكاتب الذي قال عنك أنّك نكرة ، فإنّه يحقّ لنا أن نتساءل : وأي المعارف هو ؟ أما أنا فلا أراه واللّه إلاّ نكرة النكرات ...

وقد كُنّا نتحدّث ـ أنا والبشروش ـ حول هذا الموضوع ، حينما وردت عَليّ رسالتك الأخيرة ، وفيها رأيك عن « وحي الأربعين » ، وإذا كان لي أن أنكر عليك من هذا الرأي ، فهو زرايتك على العقاد نظمه البيت والبيتين ، وقولك : إنّ النفس تأنف من ذلك وتأبى أن يكون نفسها غير ممتد !

فالعبرة يا صديقي عندي دائماً هي بنوع الشيء ، وعلوّ عنصره ، وكرم معدنه ، لا بكميّته وكثرته ، وكم من مطولات ممدودة النفس لا يعثر فيها المرء على ما يسكر القلب أو يغذّي الفكر .

ثم ألا ترى أنّ قولك : إنّ النّفس تأبى إلاّ أن تكون ممتدّة النفس هو ضرب من « تحكم الإرادة » الذي تنعاه على العقاد في شعره ؟

أمّا أنا ، فلا أفهم من الشّعر إلاّ أنّه فيض الحياة في أيقظ ساعاتها وأحفلها بنوازع الفكر والشعور ، وكما أنّ السحابة العابرة قد تسيل السيول ، وقد تسكب القطرات ، كذلك نفس الشاعر .

أمّا الأخ البشروش حينما اطّلع على رأيك ، فقد قال مداعباً : إنّ الأخ الحليوي قد أشاد بشعر العقاد حينما ردّ على « إمام العربية » ، وقد ساقه العقاد حجة على أثر شعره في العالم العربي .

وأنكر عَليّ أن أجعل من العقاد شاعر «الاختيار» ، وها هو ذا ينفي عليه اليوم الشاعرية الصادقة الحرّة ! فبأي آرائه نأخذ ؟ ما أرى إلاّ أن ننشر رأيه هذا الأخير ليطلع عليه العقاد ، وتكون له كلمة حوله ! ...

وافترقنا بعد ذلك ، وإذا به يسجل دعابته تلك في أبياته التي تصلك صحبة هذا. ولست أدري ما قولك في قوله هذا .

بودّي أن أطلع على كلمة العقاد التي استدلّ فيها بكلامك ، فإن وقعت عليها ، فأرجو أن ترسلها إليّ .

ما زلت أفكّر في أمر المصيف ، وسأعلمك بما أرسي عليه . سلام عليك من أخيك المخلص .

أبي القاسم الشابي

حاشية :

أعارني الأخ البشروش ديوان ابن زيدون الذي طبع حديثاً ، ولا أدري هل اطّلعت عليه أم لا ـ وإنّني إلى الآن لَم أقرأه ، وربّما تحدثت إليك عنه برأيي بعد قراءته ـ أما رأي العقّاد في شعر ابن زيدون ، فلا إخالك إلاّ على علم منه .

أبو القاسم الشابي

الرسالة السادسة والعشرون

توزر الجريد 1933/11/12

عزيزي الأخ محمد الحليوي :

سلاماً وتحيَّة وبعد :

فإنّه تصلك مع هذا رسالة من هيئة «أبولو» وجّهوها صحبة رسالة لي لجهلهم بعنوانك الخاص . وإنّي لَم أتصل بهاته الرسالة إلاّ أمس عند قدومي إلى توزر .

فقد وجّهوها إلى مصطافي «المشروحة» ، وفرع البريد هناك أرسلها إلى توزر ، وأهلي تسلّموها وأبقوها عندهم ، فَلم أتّصل بها إلاّ عند مقدمي إليهم ، وأغرب ما في الأمر وأدعاه إلى خجلي العميق أن الرسالة الموجهة إليّ قد طلب إليّ فيها أبو شادي كتابة تصدير لديوانه «الينبوع» الذي يباشر طبعه الآن .

ووجّه إليّ ثلاث كراسات ، وهي ما طبع من ديوانه لحدّ كتابة رسالته إليّ ، وقد ذكر فيها أنّه يوافيني بكلّ ما يطبع من الديوان للاطلاع عليه إذا قبلت كتابة التصدير ، ولعلّه قد أيقن الآن أنّني أبيت ما طلب إليّ ، وأنّني غبيّ سيّئ الطبع لدرجة أن أرفض طلبه الرقيق الرفيق بهاته الصورة المخلّة بكرامة الأدب وذويه ، ولا أقابل عواطفه إلاّ بهذا الإعراض والسكوت المرذول ! قد يكون ظنّ مثل ذلك

الآن ، فإنّه لا يمكنه إدراك ما ذكرته لك آنفاً . وقد لا يكون ظنّه ذاك . ولكنّني على كلّ حال كتبت له اليوم رسالة اعتذرت فيها بصورة الواقع .

وقد طلب إليّ في الرسالة إعلامه بعنوانك الخاص حتّى يوجّه إليك «أبولو» ، وقد فعلت ، ولعلّك أنت من طرفك تعيد كتابة القسم الضائع من دراستك القيمة عن «الرومانتيسم» ، وتكتب إليهم غيره من الدراسات والأبحاث ، وتوافيهم بعنوانك أيضاً . وإن كنت قد قمت بهذا الواجب الأخير .

لعلّك رأيت في الصحف أنّني قرّرت العزم على طبع ديواني ، وفتحت باب الاشتراك . وأنّني لمذنب كلّ الذنب إذ لَم أكتب إليك بهذا العزم قبل أن يعلم به النّاس .

وعساك لا تكون قد أضمرت لي شيئاً من التأنيب عن ذلك ، فلا يكون هو الذي دعاك إلى السكوت عن مراسلتي كل هاته المدّة ، كأنّ قلبينا لا يخفقان بأصدق عواطف الإخاء الصادق .

يصلك مع هذا ، المقتطع به عدد عشرة وصلات أرجو أن تستعين أنت والأخ سيدي الطيب السكيك والأخ الدبابي على ترويجها بين منزل بوزلفى وبني خلاد ونيانو . ولكم الشكر .

وأحسب أنّ ترويج مثل هذا المقدار في هاته الجهات الثلاث لا يكلفكم عناء كبيراً . وتصلك مع هذا رسالة إلى الأخ السكيك وأخرى إلى الأخ الدبابي أرجوك تسليمها إليهما .

كاتبني سريعاً بما عندك من أخبار وأعمال ، وبما قررته مع «أبولو» في القسم الضائع وغيره ، وبجواب الأخوين فيما يتعلّق بالإعانة على التشريك وبمناسبة ضياع قسم دراستك ، أذكر لك أنّه ضاع لهم أيضاً قصيد لي عنوانه : « من أغاني الرعاة» .

والغريب أنّه ليس لي منه نظير صحيح ، وأنّه هو القصيد الوحيد الذي وجّهته إليهم قبل أن آخذ منه نسخة صحيحة . وأخيراً سلامي إليك .

أخوك

أبو القاسم الشابي

حاشية :

الأخ البشروش كلّفني بأن أقرئك سلامه ، وأن أقول لك أنّه يطلب إليك أن توجّه إليه رسالته حول أدب الأطفال ، لأنّه بحاجة إليها . وأحسب أنّه سيكتب إليك قريباً . أما الآن فإنّه غريق في عمل يعمله . وسلام عليك .

أبو القاسم الشابي

الرسالة السابعة والعشرون

توزر الشابية 1352/8/4[1]

أخي العزيز :

تحية وسلاماً وبعد :

فقد اتصلت برسالتك وأنّه ليسرّني ما ذكرت فيها من أنّك ستتبع دراستك عن الرومانتيسم بتحليل أعلامه وعظمائه ، وإنّنا لما تكتب لمنتظرون .

وأظنّ أنّني سأوجّه اليوم أو غداً المقدمة لديوان «الينبوع» ، وهي في نحو خمس عشرة صحيفة من الحجم الكبير . وقد تناولت فيها البحث في الأدب العربي المعاصر ، ثم تناولت شعر أبي شادي بكلمة صغيرة تحرّيت فيها الصدق والحقّ بدون تحيّز له أو عليه .

كما إنّي سأوجّه لأبولو معها قصيدين لي ودراسة عن الخيام وقطعة من الشعر المنثور للأخ البشروش .

ويصلك مع هذا مقطعان ، أحدهما به تسعة وصولات والآخر به عشرة لبني خلاد ومدرسة الترشيح ـ أمّا القيروان فقد كلفت فيها ثلاثة أفراد هم : سي التابعي الأحمر ، وسي إبراهيم بن سالم ، وسي الشاذلي عطاء اللّه ، وكلفت كلاً منهم بمقتطع ذي عشرة وصولات ، قد أنجز الأخ عطاء اللّه المقتطع الموجّه إليه ، وأرسله إلي صحبة رسالة فياضة بأدبه الرائع وخلقه الكريم ـ .

ولا أكتمك يا صديقي أنّني ندمت على تكليفه بترويج المقتطع ، فقد جشّم نفسه في سبيل ذلك أن جعل لنفسه أربعة اشتراكات ، ووزع ستة على بقية رفقائه ،

---

(1) 22 نوفمبر 1933 .

وهو عمل وإن دلّ على طيب عنصر وإخلاص متناهٍ ، إلاّ أنّني لا يسرّني أن يتجشّم إخواني كلّ ذلك في سبيل معاضدتي وتشجيعي .

ليس لديّ ما أكتبه لك الآن ، وقد كتبت هذا على عجل فكان خلطاً لا غير . أرجوك أن تحيي عنّي الصديق السكيك والسيد الدبابي وكلّ من لاذ بكم من إخوان . وسلام عليك .

أبو القاسم الشابي

ملاحظة :

اتصلت برسالتك الأولى أيضاً ، ووجّهت لك إثرها «أبو شادي في الميزان» ، ولاحظت لك عنها في كلمة مع الكتاب ، فلعلّه وصلك . ولعلّك ستوجّه صورتك مع دراساتك إلى «أبولو» ، فقد طلبوها منك . راسلني ما استطعت ، فما أعظم شوقي إلى حديثك !

أخوك الشابي

الرسالة الثامنة والعشرون

توزر الشابية 33/12/8

أخي :

تحية وسلاماً وبعد :

فقد طال انتظاري لرسالة منك تجلو عن النّفس ما بها من ملال ، وتخفّف عن القلب بعض ما ينوء به من تكاليف الحياة المتعاقبة في غير انقطاع ، فما موجب هذا يا صديقي ؟ وعلام تضنّ على أخيك بما يسرّه ، ولا يكلّفك عناء أو حرباً .

لعلّك قد شغلك عنّا ما أنت قائم به من تحرير دراسة المذهب الرومنتيكي وزعمائه ، إذا كان ذلك ؟ فإنّي ليثلج صدري مثلُ هذا العمل الجليل الذي أنت قائم به ، ولكنّي أحسب أنّ كتابة كلمة من أحاديث نفسك وتوجيهها إليّ من حين لآخر لا يكلّفك جهداً ، ولا يأخذ من وقتك كثيراً لو عزمت .

وجّهت لك اليوم صندوقاً من الدقلة على طريق البريد ، فتقبّله هنيئاً مريئاً ، ولا تنس أن تعرفني بوصوله حتّى أطمئن .

أقول « حتى أطمئن » ، لأن القدر هاته السّنة ـ فيما أرى ـ لا يريد أن يسلك

معي إلا سياسة المعاكسة والعناد ، وكيف يكون يا صديقي حال من يتعمّد القدر معاكسته ؟ .. ذلك أنّي قد ضاع لي «باقاج» أتيت به من الحاضرة قيمته تزيد على سبعمائة فرنك .

ونسيت كتباً بالحاضرة من بينها ديواني الشعري . إي نعم ، ديواني الشعري ! فأرسلت في طلب توجيه ما ذكر من نحو شهر ، ولكنّ القدر قد أبى ذلك رغم ما بذلت من جهد وإلحاح في المطالبة بالتوجيه .

وأخيراً خبرت منذ أيّام تسعة أنّه وجّه إليّ على طريق البريد مضمون الوصول . ولكن رغم ذلك ، فقد مضت تسعة أيّام ولم أتصل بأي خبر عنه . فأعجب يا صديقي أو لا تعجب لهاته الأعاجيب المتعاقبة ، ولو حدّثتك عن كل ما يملأ نفسي، وما يطيف بي من هاته المعاكسات في توزر هنا ، وفي مجاز الباب وفي الحاضرة وغيرها ، لملأت صفحات .

ولكنّي أكتفي بأن أقول إنّه لَم يمرّ عَليّ مثل هذا العام في كثرة الهموم والشواغل التي لا تعقب إلاّ الألم والعذاب ووفرة الغم والكمد .

لست أدري هل أحسنت صنعاً أو أسأته حين كتبت إليك ما كتبت مِمّا يمضّ نفسي ، ويرضي قلبي ، ولكنّي أدري أنّها نفثة نفثتها وإن كانت لا تصف لك عن سخرية القدر بي ، إلاّ جزءاً من مائة جزء .

وأخيراً ، لا أدري ما أكتب إليك بعد هذا الخلط المتدافع ، وإنّما أختصر وأقول: سلام عليك من أخيك الذي ينتظر أن ينسى في أحاديث نفسك بعض هموم الحياة .

أبو القاسم الشابي

على الهامش :

لا أدري هل يصل إليك الكتاب والصندوق أم لا ؟ فقد أصبحت لكثرة ما لقيت من عناد الأيّام أعتقد أن كلّ ما يصدر عنّي أو يرد إليّ مَقْضِيٌّ عليه بالضياع . وإلاّ فهل ثَمَّةَ ما أغرب من ضياع الديوان وهو مضمون الوصول . ثم ضياعه في هاته المدة التي أوزع فيها اشتراكاته ؟؟ أسأل اللّه أن لا يضيع . وإلاّ فقد ضاع من حياتي جانبها الحيّ الذي أحبّ ....

الرسالة التاسعة والعشرون

توزر الشابية 33/12/19

أخي :

تحيَّة وشوقاً وبعد :

فقد اتّصلت برسالتك ، وإنّها لسعادة روحيَّة تلك التي أستمتع فيها بنجوى روحك وعقلك معاً . وإنّي لأستزيدك من هاته السعادة ، وأسألك أن لا تحرم أخاك منها من حين لآخر ، فإنّني في كثير من الأحيان حينما تطغى على نفسي كآبة الملل المبهم ، فأصدف عن الكتب والنّاس ، ويوصد قلبي عن جمال الوجود ، كثيراً ما أرجع إلى مجموعة رسائلك أتلوها ، فأجد فيها من صور نفسك الحيَّة الواعية ما يذهب عنّي سآمة القلب ، وينسيني جمود الأسى .

أكثرت يا صديقي في رسالتك من إطرائي والإعجاب بمواهبي التي لا أراها قد خلقت شيئاً مذكوراً ، وإنّي أسألك أن تعفيني من مثل ذلك ، فإنّني لأنوء بحمله ، وأنّ سكوتك عن هذا لا ينقص شيئاً من هاته الحقيقة الخالدة ، وهي أنّنا قلبان متجاوبان بالمحبّة والعطف والإعجاب والمطامح .

وإن كنت لا أنكر أن رسائلك تلك كثيراً ما شحذت من قريحتي ، وخففت من نقمتي على نفسي وسخطي عليها سخطاً يؤدّي بي أحياناً إلى أن أعتزم هجرة الأدب والشعر اللذين لا أراني بلغت فيهما ما تطمح أشواقي إليه .

أمّا « دي فيني » فإذا أردت أن تكون مخلصاً للحقّ والفنّ والتاريخ ، فاكتب عنه كما برأه اللّه الذي ينقم هو عليه ويلعنه ، لا كما تريد هاته الحشرات الآدمية التي بلينا في تونس أن نحسب حسابها في كلّ شيء بدل أن ندوسها بأقدامنا ، ونمضي إلى غاياتنا البعيدة في قمم الجبال .

نعم ، اكتبْ عنه كما هو غير حاسب لغير الحقيقة حساباً ، وإذا كانت نفس «دي فيني» ثائرة متمرّدة ساخطة ناقمة من اللّه ما في وجوده هذا من بؤس وألَم وعذاب واضطراب ، فهل تكتب عنها كأنّها روح صوفية متعبّدة مستغرقة في تملي جمال العالم والاندماج بروح اللّه السارية فيه ؟

أم هل تظهره للنّاس في مظهر من يولي الحياة ظهره غير مقبل إلاّ على لذّة نفسه

ومتعة قلبه لا يسأل نفسه عن سرّ الوجود ، ولا غايته ، ولا ما قبله ، ولا ما وراءه؟

أم في أيّ صورة أخرى من صور النفس تريد أن تظهره إرضاء لهاته الطائفة الغبية العمياء التي تمشي في هذا العالم الحي المغري على التفكير والإحساس ، وكأنّها تمشي في جبّ مظلم لا حسّ فيه ولا حياة ؟

اكتبْ الحقّ خالصاً لوجه الحقّ وإلى أعماق الجحيم بهاته الأنصاب البشرية الزائفة ؟ ومثل هذا أقول لك عن بيتك الجميل الرائع :

حامِلاً كالإلَه قَلباً كَبيراً فِيه ما في الوجُودِ منْ أكوانِ

إنَّ الفنان يا صديقي لا ينبغي أن يصغيَ لغير ذلك الصوت القويّ العميق الداوي في أعماق قلبه ، أمّا إذا أصغى إلى النّاس ، وما يقولون ، وسار في هاته الدُّنيا بأقدامهم ، ورآها بأبصارهم ، وأصغى إليها بآذانهم فقد كفر بالفن ، وخان رسالة الحياة .

ولو شئت أن أسوق لك الأبيات التي لي غرار بيتك هذا في التشبيه بالإله والآلهة لأكثرت ، وخرج بي القلم عن غايته ، ولكنّك سترى ذلك في الديوان إن شاء اللّه. وإنّني لأعمق إيماناً باللّه من كل أحد حينما أعبر بهاته التعابير الكافرة في نظر أولئك النّاس .

فالألوهية وما تصرّف منها هي رمز للمثل العليا التي نصبو إليها بأرواحنا ، ونشخص إليها بأبصارنا في هاته الحياة ، ولذلك فإذا أردنا أن نعبر عن معنى نحسّ له بجلال المثل الأعلى وسموّه فإنّما سبيلنا في ذلك أن نفرغ عليه رداء الألوهية التي هي ما تتصوّره الإنسانية من جمال المثل الأعلى وجلاله .

وهذا كلام قد لا يفهمه أولئك النّاس ، أمّا أنّه كفر في نظرهم ، فهذا ما لا يقبل شكاً ولا ريباً . ولكن إلى الجحيم بهم ! ـ كما قلت ـ ولنعمل لفنّنا بإخلاص ، ولنمثّل دورنا في رواية الحياة غير حافلين بأفواج النظارة ، فإنّ الممثل إذا وضع باله إليهم لخليق أن يضطرب عليه دوره ويخسر فنّه .

وبعد هذا ، فإنّي لا أريد أن أكتمك إعجابي ببيتك ذلك وما فيه من قوّة إدراك، وعمق نظر وسموّ تفكير ، وأضيف إلى هذا أنّك ببيتك هذا قد عبرت عن معنى حاولت أنا أن أعبر عن بعضه في سبعة أبيات من قصيدة تحدّثت فيها

عن قلب الشاعر بلسان «مجنون» فلم أوفق إلى ما وفقت إليه من الدقّة والقوّة والسموّ .

وإليك الأبيات السخيفة التي كثيراً ما حاولت تمزيقها أو حرقها ، ولعلّي لا أتردّد بعد الان في تمزيقها وبقية القصيد وإلقائها للرياح العابرة :

كُلُّ ما هبَّ وما دبَّ وما ... نامَ أو حامَ على هذا الوجودْ
من طيورٍ وزهورٍ وشذى ... وينابيعَ ، وأغْصانٍ تميدْ
وبحارٍ وصحارٍ وذرى ... وبراكينَ ، ووديانٍ وبيدْ
وثلوجٍ وضبابٍ عابرٍ ... وأعاصيرَ وأمطارٍ تجودْ
وفصولٍ تملأ الدُّنيا سنا ... وظلالاً وحَياة وهمودْ
وأحاسيسَ وديْنٍ ورؤى ... وتعاليمَ ولهوٍ ونشيدْ
كلّها تحيا بِقلبي حرّةً ... غضَّةَ السّحرِ كأطفالِ الخلودْ

لا أرى في بيتك ما يوجب الإصلاح فإنّ «كبيرا» تؤدّي المعنى تماماً ، وإنْ كنت لا أنكر أنّها أقلّ مِمّا يشعرك المعنى من رحابة الأفق واتّساعه ، ولعلّ وصف القلب هنا بـ «رحيب» أليق قليلاً ، وإن كنت لا أجزم بهذا الترجيح .

نسيت أن أذكر لك أنّي اتّصلت بالديوان ، وقد تبيّن أنّه ملقى بفرع البريد من نحو ثلاثة عشر يوماً ، وأنا أتعذب أثناءها أمرّ العذاب وأحرّه ، والغريب أنّي كامل تلك المدة أسأل فرع البريد ، فلا أُجاب بغير النفي المطلق .

ولكنّي على كلّ حال ، قد ربحت في تلك الأزمة النفسية التي مرّت بي قصيداً هو « نشيد الجبار » ، فإنّي في ليلة من ليالي هاته الأزمة النفسية المرهقة ، ولعلّها ليلة كتبت لك رسالتي الأخيرة نمتُ معذّب النّفس ، مهموم القلب ، ثم استيقظت نحو الساعة الواحدة بعد منتصف اللّيل ، فلجّت بي الآلام ، وضربتْ بي في كلّ سبيل حتّى لقد كاد رأسي ينفجر .

وأحسست أنّي لا بدّ مشرف على الجنون لو دام بي ذلك الحال إلى الصّباح ، وتطوّرت نفسي في غمرة الألَم ، فبعد أن كانت معذّبة باكية في ظلمة أحزانها تكاد تجنّ من الأسى ، انقلبت ثائرة هائجة واثقة من نفسها ساخرة بالقدر والداء والأعداء وكلّ آلام الحياة .

وتحت تأثير هاته الحالة النفسية نظمت « نشيد الجبار » ، فذابت آلام نفسي ، وشعرت بالحريّة والانطلاق كأنّما ألقيت عن منكبي عبئاً ثقيلاً يهدّ القوى ، وقد نظمتها في تلك اللّيلة ، ولكنّ نفسي لَم تنهض للكتابة ولو كلمة منها .

وفي نحو الفجر نمتُ مرتاح النّفس مطمئنًّا ، وأفقتُ من الغد ، فلم أجدني قد نسيت منها كلمة واحدة ، فكتبتها ولَم أزد عليها إلاّ نحو بيت أو بيتين وبعض تنقيحات رأيتها لا بدّ منها .

وبهاته المناسبة فإنّي أقول لك إنّي لا زلت كالماضي أشعر في صميم نفسي بأنّ الأقدار تحاربني ، وهي سخافة على كل حال ....

ولكنّني أومن في قرارة نفسي بها ، وإنّما الفرق بيني وبين نفسي الأولى أنّي كنت أتقبّل آلام الحياة ، وأتحسّس أشواكها بنفسٍ ضارعةٍ ، وقلبٍ دامعٍ باكٍ ، أمّا الآن فإنّني ألقاها ببسمة الساخر ونظرة الحالم المنتشي بجمال الوجود .

وقد أحسست ببداية هذا التطور لَما اصطفت بعين دراهم ، ولعلّ جمال الطبيعة هناك قد كان له الأثر الأكبر في تلوين نفسي بهذا اللون الجديد ، كما أن مصيفي هذا العام وما رأيت من صور الطبيعة الرائعة قد أكمل هذا التطور ونماه .

أمّا الآن فإنّي أشعر بانقلاب عميق قويّ في نفسي كلّ القوّة ، وستدرك هذا التطوّر في نفسي حينما تطّلع على قصائدي الجديدة ، وقد عبّرت عن هذا الانقلاب الروحي بقصيد « الصباح الجديد » الذي أرسلته إلى «أبولو» ، وقصيد « نشيد الجبّار » هو صورة صادقة لنفسي في طورها الحاضر الجديد .

أمّا أبو شادي فيما كتبت عنه فقد حاولت أن أكون صادقاً جهدي لا أداريه ولا أغمطه[1] ، وقد تحدّثت عن أسلوبه بأعظم ما يمكنني من الصراحة في مقدمة تكتب لديوانه ، وستطلع عليها فترى أنّني لَم أجامل ولَم أدار ، وإنّما أنصفت حسب ما يقتضي المقام .

ولست أدري من أين لك « أنني كتبت عنه معجباً» ؟ والحقيقة أنّني كنت لا أستطيع أن أتمّ قصيداً لأبي شادي ، ولكنّني رضت نفسي على أن أتابعه حتّى ألفته ، فتبيّن لي أنّ الرجل في صميمه شاعر حسّاس يمتاز بروحانية صوفية

---

(1) غمط الحقّ : جحده .

في نظرته إلى الوجود ، ولكن الذي أسقط من قيمة أدبه شيئان :

1 ـ أنّه متعجّل مكثار لا يصبر على التجويد الذي هو عمل لا بدّ منه للفنان المتسامي .

2 ـ إنَّ صوره الشعرية لا تبدو واضحة كاملة في شعره بحيث ترغمك على تذوّقها واستماعها وذكراها ، بل إنّها لتبدو ملتاثة[1] غائمة سريعة كلّ السرعة كأنّها صور شريط سينمائي يدار بسرعة جنونية ، وهذا السبب الذي ينأى بالنّاس عن تذوق شعره ، وإدراك ما فيه من صور شعرية ، وإحساسات عميقة تدلّ على نفسٍ حيَّةٍ واعيةٍ ، ولذلك فشعره يبدو فاتراً ـ في كثير من الأحيان ـ لا يسيطر عليك ، ويرغمك على أن تتبعه مسحوراً دهشاً .

وما أشبه شعره في نظري بتلك المرأة الجميلة التي يعجبك جمالها ، ولكن لا تستفزّك أنوثتها القاهرةُ وسحرُها الغالبُ ، ولعلّك لو رضت نفسك على تلاوة شعره ، لأدركت منه ما أدركت .

ذلك مجمل رأيي في الرجل ، وأنّك لتدرك بالبداهة أنّه لا يمكنني أن أقول هذا القول وبهاته الطريقة في مقدمة تكتب لديوانه .

استعرت من بعض الرفقاء بالحاضرة رواية روسية اسمها « ابن الطبيعة » ترجمها المازني ، وهي رواية عالية وإنّي أرى المازني قد تأثّر بها في إبراهيم الكاتب تأثراً واضحاً عظيماً تتفق فيه في كثير من الأحيان الحوادث والصور وحتّى التعابير أيضاً .

وقد عجبت لقولك إنّك سترجئ كلمتك عن شعري إلى ما بعد صدور الديوان؟ فهل نسيت أنّنا اتّفقنا على أن تترك كتابة مقدمته لك ؟ أمّا أنا ، فإنّني لَم أنسَ ذلك وقد سُئلت في تونس وغيرها عمَّن سيكتب المقدمة ، فأعلمتهم بأن كاتبها سيكون الحليوي ، وإنّي حينما أتمّ نسخ الدِّيوان سأوجهه إليك لتكتب مقدمته .

أمّا الآن فإنّي أنتخب القصائد التي سأنشرها فيه وأجمع تواريخها لأرتبها على حسبها ، وإنّ قسماً كبيراً مِمّا نشر لي لا أريد نشره ؛ لأنّني أراه لا أهميَّة له ، إمّا

---

(1) ملتاثة : يكتنفها الالتباس والاختلاط .

في روحه أو في أسلوبه ، ولأنّني أرى فيه سذاجة كسذاجة الأطفال أبتسم لها الآن وأعجب لنفسي كيف سَوَّلَتْ لي نشره في حينه . ولكن هي الأيّام ...

ودم لأخيك المخلص الذي لا ينساك .

ولك تحيات البشروش .

أبو القاسم الشابي

الرسالة الثلاثون

الشابية 34/3/4[1]

أخي العزيز :

تحيَّة وسلاماً وبعد :

فقد كنت أودّ أن أتحدّث إليك عن مقالك الذي كتبته عن « لامرتين» ذلك المقال الساحر الجميل الذي قد كنت فيه شاعراً يتكلّم عن الشعر في أعماق معانيه ، وأسْمى آفاقه وأجمل تعابيره ، والذي قد زادني إعجاباً بمواهبك السَّامية وحباً لقلبك الحي ، ونفسك الحساسة الواعية . وإنّنا في انتظار الحَديث عن بقية الأعلام الرومانتيكيين .

نعم ، كنت أودّ أن أتحدّث إليك عن هذا ، ولكن ورد عَليَّ وأنا أفكر في ذلك من السيد بلغيث الدبابي مكتوب أخبرني فيه آسفاً مندهشاً : أنّه اتّصل من أخيه بما يفيد أنّه وقعت نقلتك إلى قربة .

وقد استغربت هذا الحادث المفاجئ الذي لَم نكن نتوقّعه ، ولعلّك أنت أيضاً ما كنت تتوقّعه أو تتهيّأ له وإلاّ لأخبرتنا به من قبل ، فما موجب هاته النقلة ؟ وهل هي بطلب منك ؟ وهل أنت مسرور بها ؟ وما هي حالتك النفسية إزاء هذا ؟ إنّني في لهفة وتشوّق إلى الاتصال بجوابكَ فإن كانت تسرّك ، زال عَنّي ما أشعر به من ألَم وما يخالجني من هواجس وشكوك .

اليوم أخبر البشروش بهذا ، لأنّه لَم يعلم بهذا الخبر ، فقد كان عندي يوم الجمعة الفائتة ، ولَم يحادثني عن هذا الشأن مع أن ذكراك كانت معنا ، وأعتذر إليك

---

(1) انظر في الملحق الرسالة رقم 15 .

إذا لَم أكاتبك من قبل ، فإنّني ما زلت مريضاً ، وإن كانت شدّة المرض قد زايلتني، أمّا ضعفي ففي منتهاه ، وقد زادني ضعفاً ملازمتي للمنزل وعدم مفارقتي إيّاه إلى الخارج لفساد الطقس في الجريد في هذا العام فقد اشتدّت فيه البرودة لدرجة لَم تكن تتوقع .

أمّا مرضي فهو مرضي المعهود ، والسبب الذي أدّى إلى انتفاضه عَليّ هو أنّي أصبت ببرد شديد ، وأنا بالغابة أقوم بإتمام بعض الشؤون ، أمّا الطبيب فَلم أعرض عليه نفسي ، ولا قابلته أصلاً ، لأنّ طبيب هاته النّاحية جاهل جدًّا ، وقد خشيت أن تكون معالجته سبباً في زيادة الداء .

وإنّي أحياناً أفكّر في الذهاب إلى الحاضرة ، ولكنّي الآن أرجو أن أتعافى ، ولا أحتاج إلى ذلك وتحمل عناء السفر في هذا البرد الشديد الذي كان سبباً في إطالة المرض ، والسلام .

الرسالة الواحدة والثلاثون

حامة توزر 34/4/24

عزيزي الأخ :

تحيَّة عاطرة :

ما أشوقني يا أخي إليك وإلى أحاديثك وإلى خطرات قلبك وأصوات نفسك ! ولكنّك قد أردت أن تحرمني حتّى هاته المتعة الصغيرة التي هي كل ما سمح به القدر لي من متع الحياة .

لا أعتقد أنّك نسيت أخاك ، وما أحسب إلاّ ظلال الخمول والسآمة هي التي صرفتك عن مراسلة أخيك ، وصدفت[1] بك عن تذكار إخوانك الذين لا تفارقهم ذكراك .

سامحك اللّه يا صديقي وغفر لك . وذلك كلّ ما أقوله لك كيفما كانت نفسك وخواطرك في هاته الساعة ، وعساك لا تضنّ عَليّ بعد الآن بما أنا إليه جدّ مشوق .

إنّي الآن من نحو شهر أقيم بالحامة بقصد تبديل الهواء والاستشفاء ، وأشعر الآن

---

(1) صدف : مال وانصرف .

أنّني أحسن قليلاً من قبل . ولست أدري ما سيكون المستقبل معي ، وتحياتي إليك.

أبو القاسم الشابي

الرسالة الثانية والثلاثون

حامة الجريد على طريق دقاش في جوان 1934

عزيزي الأخ الحبيب :

أحيّيك وأعتذر إليك ، فإنّني واللّه لَم يقعد بي عن الكتابة إليك فتور في الودّ ، أو ضعف في الادّكار ، ولكنّه خمول الحياة السائمة ، وملل الصّحة الواهية ، وحرارة الجوّ التي لا تزيد هذين إلاّ فساداً .

ولعمرك إنّه لا يَمرّ عَليّ يوم إلاّ وقد اعتزمت فيه الكتابة إليك ، ثم نفضت يدي من ذلك العزم وأخلدت للخمول الأليم .

هنا عمل واحد أقوم به مساء كلّ يوم ، ذلك العمل هو نسخ الدّيوان بصورة واضحة لأقدمه إلى الطبع في مصر ! ولكن لا تعجب يا صديقي ، فإنّني لَم يدفعني إلى القيام بهذا العمل وموالاته إلاّ صديق هنا وجدت منه عوناً لي في العمل ودافعاً مُلحًّا إليه ، ولولا أنّه يقدم إليَّ كلّ مساء ليملي عَليّ ما أنسخ ، ولولا أنّ في قدومه كلّ مساء من مكان غير قريب جبراً إليَّ على العمل لَما استطعت أن أعمل شيئاً ، ولظلّت الأيّام تنمو وتذوي وتتلاشى حوالي ، وأنا أمنّي النّفس بالعمل ولا أعمل .

وقد صادف أنّني اتصلت برسالة «الحوار» التي حرّرتها أنت والأخ البشروش ، وإن كنت تريد أن تدعوه «السيد» ، وأنا أعمل في الديوان ، فحرّكت من نفسي شجوناً لَم تكن ساكنة ، وأيقظت خواطر ما كانت نائمة ، ولكن ما عسى أن يصنع الطائر الذي نفته صروف الحياة عن سربه الحبيب ؟ يبكي ويسخط ثم يستسلم راضياً أو ناقماً لإرادة الأقدار ، وكذلك كانت نفسي إذ ذاك يا صديقي .

أمّا مصيفي بالقيروان فهو غاية ما أصبو إليه ، ولكنّي أظنّني لا أستطيع تنفيذه ، فإنّني الآن شبه معتزم الاصطياف هنا ، ولكنّني في كثير من الأحيان أفكّر في زيارة الحاضرة في منتصف أو أواخر جويليه خصوصاً ، وقد بلغني أنّه ورد عليها طبيب إيطالي أخصائي في أمراض القلب ، وعلى كلّ فإنّني لا بدّ أن أزورك إذا ما ذهبت إلى الحاضرة .

وعلى ذكر الديوان ، فإنّني أقول لك إنّني نادم كلّ الندم على إعلاني عن طبعه وتكوين الاشتراكات فيه ، فقد خبت كلّ الخيبة من هاته الناحية ، ولَم يجبني من أصدقائي ومعارفي الذين كلّفتهم بالترويج للاشتراكات إلاّ القليل النّادر ، والأقل الأندر هو الذي أخرج بعض التواصيل وأرجع البعض .

نعم يا صديقي ، فقد ندمت كثيراً ، ولكن ماذا أصنع بعد أن وعدت النّاس بطبعه ، وقبضت بعض الاشتراكات ؟ لا أستطيع أن أرجع في وعدي ، فتحقّ عَليّ كلمة كاذب ، وهي شرّ ما يوصف به المرء ، فَلم يبق إلاّ أن أضحّي ....

وإنّني الآن يا صديقي أضحّي في سبيل نسخ الديوان بما بقي من صحتي الواهية ، وسأطبع من مالي الخاص وأرهق نفسي في سبيل ذلك ما لا أستطيع ، وما لو أنفقته على صحّتي لعاد عَليّ ببعض الفائدة .

أجل سأضحّي بذلك أيضاً بعد أن ضحّيت بالصّحة ، ضحّيت من قبل بمتع الشّباب ، وراحة العقل ، وهدوء الأعصاب ، وبذلك تكمل التضحية ويتمّ ثالوثها الأقدس المخضّب بالدِّماء .

وبعد فما عساني أقول إليك ؟ إنَّ فكري متعب ، وأعصابي مكدودة ، ونفسي ملولة ضجرة ، وحرارة الجوّ المختنق تزيد النّفس والأعصاب سآمة وإرهاقاً ، ولعلّك تدرك هذا من كتابتي المتخاذلة وإنشائي هذا الفاتر السخيف ، ولكن رغم ذلك ما عساني أقوله لك ؟ إنّني أريد أن أتحدّث إليك في أمر أكيد نسيته ، فما هو ؟

سأترك القلم لحظة لأمسح جبيني المندَّى بالعرق ، وأوقظ ذاكرتي بتملي جمال الصحراء الذي يمتد أمامي ، إنه جمال ساهم محموم ، ولقد يخيّل إليّ أحياناً أنّه يفكر في ما وراء هذا العالم الصاخب الموار ... في معاين الفناء والموت والظلام ...

ولقد يبلغ بي الوهم أحياناً أن حسبه نفساً شاعرة مسلولة ، تناجي في حمى السقام أحلامها الحزينة الصامتة الموشحة بأردية الموت .. ما هذا ؟ ثرثرة متعبة وهذيان أليم .

والآن لقد تذكرت ، فإنّني أريد أن أقول لك إذا أتممت نسخ الديوان ، فهل أرسله إليك لتكتب مقدمته أم لا ؟ لقد كنت تعهّدت بهذا ، وطلبته إليّ في العام الماضي والذي قبله ، وحاولت التخلّص أو إظهار التّخلص منه في هذا العام ، فما هو رأيك الأخير الصريح الآن ؟ ودعنا بربّك من تواضع الشرقيين وأحاديثهم التشريفاتية .

أمّا رأيي أنا ، فإنّني أؤثر كلمة منك على ما يكتبه عنّي أبو شادي ، لأنّك تعرف عن نفسي وعاداتي وأطواري النفسية والجسمية ما لا يعرفه ، وبذلك تكون موفّقاً في فهمي وفهم شعري أكثر منه ، هذا بقطع النّظر عن أسلوبك وأدبك الذي تعرف رأيي فيه .

وإنّني أنتظر جوابك بصراحة تامة عن هاته النقطة بالخصوص ، وقد راسلت أبا شادي بعد أن عيّنت له مقدار ما سيكون في الديوان من الشعر ، وبعد أن ذكرت له أنّني أريد أن يكون ورقه من نوع ورق «ذكرى جوت» للعقاد ، وطلبت منه بيان السعر ، وها أنا ذا لا زلت أنتظر الجواب .

لَم أتّصل بـ «الينبوع» ، ولست أعلم ما موجب هذا ، وكذلك لَم أتّصل بعدد «ماي» من «أبولو» ، ولذا فرجائي إليك أن توجه إليّ النسخة التي جاءتك من «الينبوع» ، وبادر بإرسالها إليّ إلى الحامة .

أمّا المقتطعات التي كنت أرسلتها إليك وكلفت بها بعض معارفك ، فإذا تؤمل زيادة الرواج فيها ، فأبقها عند أصحابها إلى حين ، وإذا كان لا أمل لك في زيادته، فأرجعها إليّ إلى الحامة أيضاً ، والمجنون من يحرق نفسه بخوراً أمام هذا الإلَه الغبي الجاهل الذي يسمى : الشعب التونسي ، وأنا ذلك المجنون يا صديقي .

حسبي ما كتبت ، وإن كنت أودّ المزيد . وإلى اللقاء شخصيًّا أو كتابيًّا ، وإنّني أنتظر جوابك السريع وديوان الينبوع ، وسلام عليك من أخيك المخلص .

أبي القاسم الشابي

الرسالة الثالثة والثلاثون

حامة الجريد على طريق دقاش 34/7

عزيزي الأخ الحليوي حفظه اللّه :

تحيَّة وشوقاً وبعد :

فلعلّ رسالتي هاته تصل إليك ، وأنت تعدّ العدّة لإتمام زفافك الميمون ، والذي يؤلم قلبي أن تصدّني الأقدار عن حضور حفلته بعد اعتزامي ذلك . فقد كنت من قبل مجمعاً أمري على زيارة العاصمة في العشر الأواخر من هذا الشهر .

وجاءتني رسالة مبشّرة بقرب زفافك ، فأيقنت أنّني لا بدّ أن أشاركك في حضور حفلة أنسك ، كما شاركتك من قبل في تذوق آلام نفسك . ولكن القدر الذي يأبى إلاّ أن يكون لي عدوًّا حرداً ، قد أبى عَليّ هاته ، وقدَّرَ ما لَم يكن في الحساب ، فقد أصيبت زوجتي بمرض أنساني مرضي الذي كنت أفكّر في علاجه .

وإنّني الآن مهموم النفس ، موزّع اللبّ ، مستطار الشعور مقسّم القلب بين دائي القديم ونصفي السقيم ، ولست أدري ماذا وراء غدي المحجوب من ويلات الخطوب ، وبذلك أجّلت سفري مكرهاً ، ولست أدري متى أعتزمه .

عفواً يا صديقي ، إذا كنت أحدّثك بآلامي في رسالة بدأت بالحديث عن زفافك المنظور ؟ اندفعت إلى ذلك من غير وعي ولا تفكير ، ولكنّها حاجة القلب المتسرّع إلى التنفيس عنه .

أمّا الأخ البشروش ، فإنّه أعلمني بأنّه أيضاً ، قد كتب له عقد النكاح في هاته المدة الفارطة ، فعساه يكون عليه سعيداً .

وقد راسلت أبا شادي في شأن قصيدك ومقالك ، وفي شأن قصيدي « نشيد الجبّار » وثلاث قطع شعرية أخرى ، وفي طلب بيان تقدير قيمة طبع الديوان ، ولكنّني لَم أتصل منه بشيء رغم أنّه قد مضى على ذلك أكثر من شهر وعشرة أيّام !

كما أنّني لَم أتصل بالعدد التاسع والعاشر من هاته السّنة ، ولم أفهم موجباً لهذا. وقد أعدت إليه المراسلة في شأن طبع الديوان وتقدير ثمنه في مكتوب مضمون الوصول دفعاً لوهم الضياع . وها أنذا لا زلت منتظراً جوابه .

أرجوك أن تراسلني يا صديقي فإنّ نفسي مترعة بآلامها عن مسليات الحياة ، موصدة حتّى عن تذوق جمال هذا الوجود فراسلني وعرفني عن الوقت الذي ستعقد فيه حفلة زفافك فأقاسمك سرورك على البعد إذا أبت الأيّام أن يكون ذلك على القرب . وسلامي إليك وإلى الأخ الفاضل الأديب السيّد الشاذلي عطاء اللّه وسائر الإخوان الفضلاء .

أخوك

أبو القاسم الشابي

قد اتّصلت بالينبوع فشكراً .

الرسالة الرابعة والثلاثون

حامة الجريد 34/8/12 ← توفي بعد شهرين من صدور الرسالة

أخي :

تحيَّة عاطرة وبعد :

فقد سرّني أنّك نقلت إلى مركز «رادس» ذلك المركز الجميل الذي كنت أسْمع منك أنّ آمالك انتهت عنده ، وأنّك لا تعتزم إلاّ أن تسمح لك الأيّام بأن تبني فيه منزلك وتستقرّ فكأنّ الزّمان قد أخذ يركن إلى المهادنة ، ويتيح الفرص فما عليك إلاّ أن تهتبل[1] الفرص السانحة .

وإنّي أهنيك وأسأل اللّه أن يجعله عليك مركزاً ميموناً مباركاً على روحك وقلبك وصحّتك الغالية .

وإنّني إذا كنت أعتذر لك بيني وبين نفسي عن خمول الأمس بسأم الوحدة وجمود القرى ، فإنّني لا أجد لك عذراً بعد اليوم ، وأنت في رادس ذات الجمال الساحر ، والمركز الذي لا ينقطع دواره والعاصمة منك قاب قوسين ومرمى السّهم .

أمّا أنا فإنّني اليوم ـ بحول اللّه ـ أفارق الحامة راجعاً إلى توزر التي طال عنها غيابي من نحو ما يزيد على أربعة أشهر .

وأنّني لأحمد اللّه أنّي أتيت منها سقيماً متعباً موهون القوَى لا أملك في نفسي عضواً تعييني الخطوات اليسيرة ، وأرجع إليها معافى بعض العافية .

وأحسب أن قدومي على الحاضرة سيكون في أواخر هذا الشهر «أوت» وقد كتب إليّ الأخ البشروش أنّه انتقل أيضاً إلى مركز الكريب ، وهو مركز لا أعرفه ولكن البشروش مسرور به لقربه من العاصمة ، ولأنّه سيكون هو الوحيد بالمكتب الذي يوجد فيه مسكن للمعلم الوحيد .

ليس لدي الآن ما أكتبه إليك غير هذا ، أو لعلّ ذهني لا يستطيع أن يملي غير هذا وهو مشغول بأمر السفر ومعداته . والسلام عليك .

أخوك

أبو القاسم الشابي

---

(1) اهتبل الفرصة : اغتنمها .

ملاحظة :

كنت في أوائل الشتاء الفارط راسلت السيّد إبراهيم بن سالم وأرسلت له مقتطعاً طالباً منه ترويج ما أمكن منه ، وقد قدم في الشّتاء ووعدني بأن يعمل بعد رجوعه ، كما كاتب السيّد ....بمقتطع أيضاً ولكنّه لَم يجبني إذ ذاك بحرف وبما أنّني الآن أجمع الحساب لتقديم الدّيوان إلى الطبع فقد راسلتهما طالباً منهما الجواب، ولكن عبثاً كان ذلك ، ولذا فالرجاء أن تقابلهما وتستطلع منهما طلعة الأمر فإن كان هناك شيء فليراسلاني به وإلاّ فتسلم المقتطعين وأرسلهما إليّ وعرفني بجوابهما. والسلام .

أخوك : الشابي

محتويات الكتاب

المقدمة 5

ديوانه 9

قافية الهمزة 11

قافية الباء 15

قافية التاء 41

قافية الثاء 45

قافية الحاء 46

قافية الدال 53

قافية الراء 76

قافية السين 100

قافية العين 113

قافية الفاء 119

قافية القاف 122

قافية الكاف 125

قافية اللام 129

قافية الميم 141

قافية النون 176

قافية الهاء 191

قافية الياء 198

رسائله 205